رجالٌ صدقوا ٥

القادِمُ مِن هُناك

رواية

كمال السيّد

اسم الكتاب: القادم من هناك – رواية حول الشهيد القائد رضا الغسرة

تأليف: كمال السيّد

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام ومؤسسة كلمات للطباعة والنشر

الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٢٢م – رجب ١٤٤٣هـ

البريد الالكتروني لدار الوفاء: Mediaalwafa@gmail.com

الموقع الرسمي لمؤسسة كلمات: kamalalsayed.net

kamal.alsayeed

daralwaffa

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «المحافظة على ذكرى الشهداء اليوم هي مسؤولية وواجب. لذلك، يجب علينا أن نسعى في بيان سيرة الشهداء، وخصائص حياتهم، ونوعية سلوكهم في الحياة. إنّ روحية الإنسان، وخصائص حياته، وماضيه، ومبانيه الفكرية والعقائدية، هي قضايا في غاية الأهمية».

في كل مفصلٍ تاريخي يخرج من رحم الأرض الحرة أبطال .. يُكتبُ التاريخُ بحبر دمائهم .. وتستقي الأمة فيض عطائهم .. لترتوي من تضحياتهم عزّة .

٢٩ عاماً فقط اختُزِلَت فيها مسيرة القائد الكبير .. الشهيد رضا الغسرة .. مسيرة مليئة بالشجاعة الإيمانية والعناد في الله والتضحيات والعذابات والعشق لله والشوق للقاءه .. ٢٩ عاماً قدم فيها الشهيد انموذجاً للتفاني والعطاء والمثابرة لنيل الشهادة في سبيل الله، لينالها في نهاية المطاف مضرجاً بدمائه بين السماء والبحر.

تزامناً مع الذكرى الخامسة لشهادة الشهيد القائد رضا الغسرة ورفاقه، تقدّم دار الوفاء للثقافة والإعلام رواية القادم من هناك لتعرف الأمة على مسيرة الشهيد القائد رضا الغسرة، حيث يسردها الكاتب الأديب «كمال السيد» بصورة أدبية مشوّقة يستعرض فيها تفاصيل من حياة الشهيد القائد رضا الغسرة وتفاصيل عملية التحرير البطولية «سيوف الثأر» وتفاصيل اللحظات الأخيرة من الشهادة.

في الختام، نسأل الله الرحمة للشهداء والفرج عن الأحبة الأسرى بحق محمد وآل محمد.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

هناك..

رأيت الحقيقة..

مقطوعة الرأس فوق رمح طويل..

مقطّعة الأوصال فوق الرمال..

مكبّلة بالسلاسل والأغلال..

رأيت الحقيقة..

«فليصدق رأئد أهله.. وليكن من أبناء الآخرة.. فإنه منها قَدِم.. وإليها ينقلب»

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

«من هناك جئنا.. من الأعالي.. وإلى هناك نعود.. نحن من هناك.. لسنا من هنا»

جلال الدين مولانا

تؤلـف روايـة «القـادم من هنـاك» و«الخارجون من المـاء» عملاً أدبياً متداخـلاً ومتكاملاً يوثق ويصف بأمانة مـا يجري من وقائع صادمة على أرض البحريـن.. هـذه الأرض التـي اسـتحالت ومنـذ ١٤ مـن شـباط-فبراير ٢٠١١ إلى كربلاء ثانية..

والقصة لا زالت مستمرة..

الإهداء

إلى أم الشهيد الباسل رضا الغسرة..

المرأة الولود الصابرة..

إلى من أنجبت وقدمت للتاريخ والأجيال أسطورة البحرين الخالدة..

كمال السيّد

المدينة المنورة ٢٨ رجب ٦٠ هـ ٦ أيار-مايو ٦٨٠م

في يوم السبت قافلة الإمام الحسين التي تشتمل على أهل بيته وأسرته تغادر المدينة المنورة ليلاً صوب مكة المكرمة.. وعندما استوت القافلة على الطريق العام تلا الإمام عليه السلام الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ مِنهَا خَآئِفا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّالِمِينَ﴾[1].

مكة المكرمة ٨ ذي الحجة ٦٠ هـ ٧ أيلول-سبتمبر ٦٨٠م

في يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة عزم الإمام الحسين على مغادرة مكة صوب الأراضي العراقية.. وكان الإمام عليه السلام قد ألقى كلمة جاء فيها:

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور

١. القصص: ٢١

الصابرين».

القافلة تتجه نحو «التنعيم» على بُعد ستة كيلومترات عن مكة التاريخية ومنها إلى «الصفاح» وإلى منطقة «الهاجر» في أعالي صحارى «نجد» الأرض التي يطلع منها «قرن الشيطان»..

سجن جو الرهيب فجر الأحد الأول من كانون الثاني-يناير ٢٠١٧

بيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

بإيمان المتوكلين وبصدور مليئة بالثأر مقبلون على عملية «سيوف الثأر» بنداء الصديقة المظلومة يا فاطمة الزهراء ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى رأسهم شيخ الشهداء المجاهد آية الله نمر باقر النمر.

أدى الثوار الذين اغتسلوا غسل الشهادة صلاة الفجر مع ارتفاع النداء الخالد: الله أكبر! الله أكبر!

كانوا عشرة شبان بواسل بقيادة شاب في التاسعة والعشرين من العمر.. وهكذا بدأت ساعة الصفر..

الظلمات تغمر السجن الرهيب ما خلا أضواء الكشافات الساطعة التي تشق الضباب الكثيف..

انبعث النداء من أعماق القائد الباسل:

- يا فاطمة الزهراء

واندلع أزير الرصاص ليحطم رهبة الـ«جو» بعد دقائق من مطلع الفجر.. فجر الحرّية..

فجر الخميس ٩ شباط-فبراير ٢٠١٧م

غادر الشباب الشقة السكنية في حدود الخامسة فجراً.. وكانوا قد أحيوا ليلتهم بذكر الله.. أدوا صلاة الليل وقرؤوا من أعماق قلوبهم زيارة «عاشوراء»: إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم!

وكانوا قبل ذلك قد اغتسلوا غسل الشهادة..

انطلقت السيارة إلى شواطئ «جزيرة سترة».. فهناك «طراد» ينتظر وصول المهاجرين.. سوف يبحرون على متن «قارب الحرية» إلى الأرض التي تشرق منها الشمس.. وانطلق القارب يشق مياه البحرين الهادئة..

اجتاز القارب «الإحداثية» الأولى.. والإحداثية الثانية والإحداثية الثالثة.. القارب يشق طريقه صوب المياه الإقليمية تلقت قوات خفر السواحل إشارات أمنية من سفينة بريطانية وسرعان ما حاصرت قوات خفر السواحل «قارب الحرّية» ولم يتردد المهاجرون إلى الأرض التي تشرق منها الشمس في الاختيار؛ إما النصر وإما الحرّية..

واندلع أزيز الرصاص، وانبعث نداء القائد الخالد:

- يا فاطمة الزهراء! يا فاطمة الزهراء!

وامتزج صدى النداء مع أزيز الرصاص بين السماوات والبحر..

الفصل الأول

يطيب لأبي ياسين أن يجلس في سجادته بعد أداء صلاة الفجر.. ينتظر طلوع الشمس.. يمضي وقت ما بين الطلوعين في قراءة بعض الأذكار.. التي يفتتحها عادة بدعائه قائلاً:

- إِلَهِي بِالْمَيَامِينَ هُدَاتِي مِنْ بِنِي هَاشِمْ
- بِخَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينَ أَبِي الْوَحِي أَبِي الْقَاسِمْ
- بِمَنْ صَامَ بِمَنْ صَلَّىٰ بِمَنْ صَدَّقَ بِالْخَاتَمْ
- بِمَنْ آثَرَ بِالْقُرْصِ ثَلَاثاً وَطَوَىٰ صَائِمْ
- بِمَنْ رُدَّتْ لَهُ ٱلشَّمْسُ بِبَابِلْ وَالْمَلأُ عَالِمْ
- بِحَقِّ الْبَضْعَةِ ٱلزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ ٱلنِّسَاءِ فَاطِمْ
- وَبِالْمَسْمُومِ وَالْمَقْتُولِ ظُلْماً فَالْعَنِ ٱلظَّالِمْ
- وَبِٱلسَّجَادِ وَالْبَاقِرِ وَٱلصَّادِقِ وَالْكَاظِمْ
- وَبِالْمَسْمُومِ فِي طُوسٍ عَلِّيٍ وَٱبْنِهِ الْعَالِمْ

- بِحَقِّ الْعَسْكَرِيِّيْنِ مَعَ الْمُنْتَظَرِ الْقَائِمْ
- أَجِرْنَا مِنْ لَظَىٰ ٱلنِّيرَانِ يَا رَحْمٰنُ يَا رَاحِمْ
- أَجِرْنَا مِنْ لَظَىٰ ٱلنِّيرَانِ بَلْ مِنْ شَرِّهَا الْحَاطِمْ

كما لو كانت نشيداً مقدساً كان أبو ياسين لا ينفك يردد هذه الكلمات التي تمتد في عمق التاريخ.. تاريخ الرسالات الإلهية.. أحياناً يتلوها بعد أدائه صلاة الغفيلة بين صلاتي العشائين..

كان فجر الخامس عشر من كانون الثاني-يناير ١٩٨٨ للميلاد ندياً وقد تكاثف الضباب..

أبو ياسين من مواليد ١٩٤٣م وقبل أسبوع استقبل ابنه الخامس الذي حار في تسميته فخطر في باله أن يقصد أحد علماء الدين في «بني جمرة»، فاستخار الله سبحانه وقال:

- أرى أن تسميه «سعيداً» أو «رضا»!

إن أمر هذا الطفل لعجيب.. وُلِد وله إسمان!

اختار أبو ياسين اسم «رضا» تيمّنًا بلقب الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام «علي بن موسى الرضا» عليه السلام..

اسمه «رضا» لكن سيبقى اسم «سعيد» يرافقه مدى العمر..

كما تنبت الرياحين في البراري.. نبت هذا الطفل وسيكون ابن هذه الأرض.. يحمل في أعماق كيانه وخلاياه وحنايا قلبه نفساً كبيرة تنتمي إلى المثل العليا.. لتحطم قضبان الاعتبارات القومية والعنصرية والطائفية.. إنه وبكلمة واحدة قادم من هناك.. لكن ما بالنا نستعجل حوادث الزمن

ونحن ما نزال في مطلع حزيران-يونيو ١٩٨٩ للميلاد انبعث بكاء طفولي من مهد صغير نظرت أم فيصل التي ما تزال مستغرقة ببعض الأذكار.. نظرت إلى طفلها الذي ناهز السنة وخمسة أشهر بعينين فيهما حزن.. ارتسم في ذهنها اسمان «رضا» و«سعيد» فابتسمت على الرغم منها.. لقد أنجبت قبله أربعة بنين وكل منهم جاء باسمه ابنها البكر فيصل.. وإلى محمود الذي سبق «رضا» بعام واحد فقط كل منهم له اسم إلا طفلها الخامس.. لا أحد يعرف ما الذي رآه عالم الدين في منطقتهم وهو يفتح المصحف الشريف ثم يقول لأبي ياسين: سمّوه «سعيد» أو «رضا».

ولقد كان يطيب لبعض أشقائه وشقيقاته مناداته بـ«سعيد».

ولكن ما بال «أم فيصل» تنظر إلى رضيعها بحزن وأسى؟ كيف يتدبّر هذا الصبي أموره بهذه الكف المشوهّة؟!

كان الطفل قد رفع يده اليمنى.. وراح يحرك أصابع كفه الأربعة.. ما بين السبابة والخنصر أصبعان قصيران.. حسرت عن طفلها الغطاء وظهرت كفه اليسرى بأصابعها الخمسة..

توجهت إلى الله بالدعاء أن يختم لولدها بالسعادة والرضوان كانت تتأمل كفيه الصغيرتين.. كما لو أنها تقول في نفسها: كفه اليمنى تذكرني بالسيدة فاطمة أم البنين.. وبنيها الأربعة وكفه اليسرى تذكرني بالسيدة فاطمة الزهراء وبالخمسة أصحاب الكساء..

بدا ذلك الصباح كئيباً في عيني أبي ياسين دون أن يعرف لذلك سبباً، حتى أنه عزف عن فكرة الذهاب إلى «فدك»..

فدك ليست مزرعة وإنما هي مؤسسة صغيرة للنقليات الثقيلة أسسها

حديثاً.. ولاؤه للسيدة فاطمة الزهراء دفعه إلى انتخاب هذا الاسم الفريد..

ما تزال «فدك» رمزًا للوطن الإسلامي المقهور والحق المغتصب! ما تزال رمزًا للصراع الأبدي بين «قوة الشرعية» و«شرعية القوة»..

إحساس بالضيق لم يتبدد حتى عندما جلس عند طفله الرضيع! وقعت عيناه على الكفّ الصغيرة المشوهة وقرر في داخله أن يرعى ابنه الصغير رعاية خاصة تعوّضه عن هذا التشوّه.. سوف يصطحبه معه في أسفاره التجارية ليقف على قدميه منذ نعومة أظفاره..

تساءل في نفسه عن سرّ حزنه الغامض لكن دون جدوى..

جلس في زاوية «الديوان» وحيداً وراح يطوف من خلال المذياع الصغير على إذاعات الدنيا..

توقف عند إذاعة تبث تلاوة حزينة لآيات القرآن الكريم؛ وتلا ذلك صوت موسيقى تقطر حزنًا عميقًا.. كان الوقت ضحىً عندما جاء صوت المذيع:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. الروح العظيم لإمام المسلمين وقائد الأحرار في العالم يلتحق بالرفيق الأعلى! ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[1].

نزل الخبر كالصاعقة وبقي مشدوهًا لدقائق قبل أن يجهش بالبكاء..

---

١. الفجر: ٢٧-٣٠

ثم جاء صوت المذيع يقرأ جانباً من وصية الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني:

- أستأذنكم أيها الأخوات والإخوة لأسافر نحو مقري الأبدي بقلب هادئ، وفؤاد مطمئن وروح فرحة وضمير آمل بفضل الله، واسألكم بإلحاح الدعاء بالخير، كما اسأل الله الرحمن الرحيم أن يقبل عذري عن قصوري وتقصيري، وآمل من الشعب أن يقبل عذري لما قصرت أو كنت قاصرًا فيه، وأن ينطلق إلى الأمام بقدرة وإرادة وتصميم

وظهر أنه في الساعة العاشرة والثلث من الليلة الفائتة أغمض الإمام الخميني عينيه ويعرج الروح العظيم إلى السماوات وفي صباح اليوم الرابع من حزيران-يونيو تم الإعلان عن رحيل الإمام روح الله الموسوي الخميني..

وتدفقت الملايين إلى الشوارع وقد اجتاحها شعور مرير بالفجيعة واليتم..

انتقلت عيناه المليئتان بالدموع إلى الجدار حيث تستقر صورة كبيرة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه وإلى جانبيها صور بعض العلماء..

في قلبه حب عميق للإمام الراحل، ربما لأن ذكرى ولادة الإمام تقترن بذكرى ولادة السيدة فاطمة الزهراء وهو ابن بنت رسول الله ﷺ.. أدرك أبو ياسين سرّ إحساسه بالضيق.. صباح هذا اليوم الحزين ترحم كثيرًا وبكى كثيرًا.. وأقام في اليوم التالي مجلس العزاء وارتدى السواد وارتدى أبناؤه السواد احترامًا للأب المفجوع!

وتمرّ الأيام والشهور والأعوام.. و«رضا» أو «سعيد» ينمو ويكبر كما تنمو النبتة البرّية.. ونشأ في أجواء تسودها الروح الدينية، حيث مجالس الذكر تعقد باستمرار.. فإذا حلّ شهر محرم الحرام ساد الحزن مظاهر البيت وعقدت مجالس العزاء الحسيني..

ولكي يقف رضا على قدميه كان والده يصحبه في أسفاره ورحلاته التجارية.. واتجه رضا مبكراً إلى تعلم الميكانيك، فكان يلازم والده في السفر حيث كان يتشرّب الولاء لأهل بيت رسول الله ﷺ إلى جانب تعلمه أصول ومبادئ الميكانيك.. أحيانًا يساعد أباه في تصليح شاحنته وقد أفاده ذلك إلى أن يتشرب مهنة تصليح الشاحنات.. فنبغ في مهنته ما أثار إعجاب زملاء والده.. وكما يتدفق النبع فياضًا بالمياه الصافية كان نبع من الحب والولاء لأهل بيت رسول الله ﷺ يتدفق في قلبه الذي ينبض بحب الناس الطيبين.. عجيب أمر هذا الفتى نشأ عصاميًا نما بسرعة ونضج روحيًا في مرحلة مبكرة، حتى مرحلة المراهقة.. اتجه فيها إلى عمق التاريخ ليلتحم مع أعظم المآسي الإنسانية في تاريخ البشرية التي جرت فصولها على شاطئ الفرات في أرض كربلاء..

منذ طفولته كان دائب الحضور في المجالس الأسبوعية التي تقام في المآتم وفي المناسبات المختلفة لأئمة أهل البيت وما عاناه المعصومون من محن، فكان يتشرّب القصائد التي تلقى في العديد من المناسبات فتبلورت في وجوده شخصية «الرادود».. وما تزال أسرته تحتفظ بتسجيل صوتي طفولي شجي يتحدث عن محنة الإمام موسى الكاظم عليه السلام ومعاناته الطويلة في سجن «المطبق» الرهيب تمت الأرض.. مثقلًا بالقيود والأغلال.. لا يميز بين الليل والنهار وفي الوقت الذي كان أترابه

يمضون أوقاتهم في اللهو واللعب والمرح.. كان رضا بصوته الطفولي الشجي يشدو بقصيدة تتحدث عن محنة الإمام المعذب في قعر السجون!

- يا قلب ذوب.. ويا دمع عيني تفجّر
- للي قضى بسجن الرجس قلبه مفطّر
- ما شاف بالدنيا ولا ساعة هنية
- سرداب مظلم جرع كاسات المنيّة
- بالسجن ما يعرف نهار من العشية

وإنها لمن أسرار الخلق أن تتشكل شخصية الإنسان.. بين روح وعقل وأخلاق.. فإذا أنت في أسرة وشجرة واحدة..أب واحد وأم واحدة.. وأبناء تنوعت مشاربهم وتعددت توجهاتهم.. فإذا بمقولة «الإنسان ابن البيئة» تهتزّ..

ترى كيف تسنّى لصبي أن يخترق القرون المتمادية من الزمن ويعبر المياه والفلوات ليرحل بضميره ووجدانه إلى سجن تحت الأرض في قلب بغداد سنة ١٨٦ هـ.. فيلتحم مع إنسان سجين منذ سنين.. ويصغي إلى كلماته وهو يدعو الله عز وجل قائلاً:

- يا مخلّص الشجر من بين ماء وطين!

يا مخلص الجنين من بين مشيمة ورحم!

خلصني من سجن هارون!

ويُستجاب الدعاء؛ فكان استشهاده يوم الخلاص والحريّة!

ترى لماذا يهفو قلب هذا الفتى إلى سجين بغداد؟! لماذا هذا التعلّق؟!

يُقال إن القلب الطاهر يعرف طريقه كالنهر.. ثمة بوصلة في أعماقه تحدد له مساره في دروب الحياة.. نشأ «رضا» واشتدّ عوده.. ونما في فؤاد حب «محمد وآل محمد».. وسيكون هذا الحب العظيم نورًا ساطعًا يضيء له الطريق..

كما النحلة كان رضا يعمل في مختلف المجالات وكان يجني ثمار عمله وكدحه.. في تصليح الشاحنات والباصات والسيارات والدراجات النارية كما عمل في تربية المواشي.. واستطاع أن يشتري مزرعة.. ويمتلك «حوطة».. أصبحت ملتقى للكثيرين من أصحاب الحرف.. على تعدد مشاربهم، فاستثمر ذلك في تأسيس «هيئة حسينية» اطلق عليها اسمًا مدهشًا: «هيئة مجانين الحسين»..

لماذا هذا الاسم؟! يجمع تحت رايته شبابًا من «بني جمرة»؟!

وإنك لتجد جذوراً لهذا العنوان هناك..

أجل هناك على شواطئ نهر الفرات في أرض الطفوف.. أرض كربلاء وقد اصطف رجال صدقوا تحت راية آخر الأسباط في التاريخ البشري.. كان عددهم اثنان وسبعون.. وقفوا بوجه ثلاثين ألف ذئب بشري وكانوا أمام خيارين..

الحياة حياة الذل والخنوع أو الموت بكرامة! ولم يترددوا في

الاختيار..

ودوّت في فضاء كربلاء كلمات هتف بها صوت العدالة والإنسانية:

«الموت في حياتكم مقهورين.. والحياة في موتكم قاهرين».

وها هو نجله العظيم يهتف:

«هيهات منا الذلة»!

«إني لا أرى الموت إلا سعادة؛ والحياة مع الظالمين إلا برمًا».

من المؤكد أن وجدان «رضا» قد التحم بتلك المشاهد المزلزلة ليوم عاشوراء.. أطول يوم في تاريخ الإنسان: «ونظر الحسين إلى السماء وقال لأنصاره: يا كرام! هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها.. وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله.. يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم.. فحاموا عن دين الله! ودين نبيه! وذبوا عن حرم الرسول..

وجاء جواب الأنصار: نفوسنا لنفسك الفداء ودماؤنا لدمك الوقاء»

وانبعث من أعماق «رضا» صوت خالد:

- لبيك يا حسين!

هو ذات الصوت الذي رددته الأجيال عبر القرون.. وتوهج مشهد كربلائي في وجدان «رضا»

«تقدم عابس بن أبي شبيب الشاكري ليقف أمام القائد العظيم قائلاً:

- ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ منك ولو

قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعزّ عليّ من نفسي لفعلت!

السلام عليك! أشهد أني على هداك وهدى أبيك .

وتقدم نحو ثلاثين ألف ذئب بشري شاهرًا سيفه وعلى جبينه الاشم ضربة سيف ونادى: ألا رجل؟!

فلم يخرج لمواجهته أحد، لقد كانوا جميعًا أشباه رجال، صرخ القائد الأموي الدموي:

- أرضخوه بالحجارة

هنالك ألقى درعه وخوذته واستعدّ لشنّ الهجوم الأخير.. سمع صوتًا من أحد رفاقه:

- أجننت يا عابس؟! كيف تلقي درعك؟!

أجاب بصوت عال:

- أجل! حب الحسين أجنني!

ما تزال الأمواج الصوتية ترنّ في سمع الأجيال، ولقد سمع «رضا» الكلمات بوضوح ونفذت في قلبه فإذا به يقرر تأسيس «هيئة حسينية» تحت اسم فريد: «هيئة مجانين الحسين»، من المؤكد أن «رضا» قادم من هناك.. أجل قادم من هناك..

وتدور الأيام ويمضي نهر الزمن.. وينمو «رضا» كما تنمو الشجيرات في البراري.. رضا ابن هذه الأرض.. من ملح هذه الأرض.. جزيرة صغيرة في معايير الجغرافيا لكنها تكاد تختزل التاريخ..

وعجيب لأمر هذا الفتى يعيش همومًا هي أكبر من سنه وعمره..

هل رأيت طالبًا في الثانوية متفوقًا في دراسته وهو مع ذلك يكدح في عمله بل في أعماله!

ما إن يعود من المدرسة في نهاية الأسبوع حتى يقود شاحنته متوجهًا صوب «قطر» فيعود في وقت متأخر، وفي الصباح يذهب إلى مدرسته وربما عاد من سفره صباحًا فيتجه مباشرةً إلى المدرسة حتى أنه لا يجد الفرصة لتغيير ملابسه..

يحتفظ أساتذته المقربون في قسم السيارات في مدرسة «جدحفص» بذكريات طيبة عنه وظلّوا يتابعون أخباره بعد تخرجه من الثانوية.. فكانوا يهيبون بطلبتهم من منطقته قائلين: «صيروا مثل رضا!»

رضا تخرج من مدرسة الحياة مبكرًا.. مبكرًا جدًا.. شاء القدر أن يولد في «زمن العاصفة».. لهذا وعى وهو ما يزال في نعومة أظفاره محنة أهله الطيبين..

قاد في أيام المراهقة الحركة الطلابية في مدرسته في ظروف صعبة شهدت ذروة الحراك السياسي والمطلبي في ٢٠٠٦-٢٠٠٧ في أعقاب تسرّب ما عرف بـ«تقرير البندر» الأمني الذي فضح توجهات النظام السياسي الطائفية وتهميشه للشيعة سكان البلد الأصليين وتجنيس الغرباء..

وهكذا كانت الحوادث تصقل شخصية «رضا» وتكشف عن معدنها الأصيل.. شخصية ابن هذه الأرض السمراء.. التي قدّر لها أن تولد في مطلع عام ١٩٨٨ للميلاد.. لتظهر قوية مؤثرة في الأوساط الشبابية في مناطق «شارع البديع» لتنتشر في مناطق أخرى من الوطن المقهور.

الفصل الثاني

يقود شاحنته عائدًا إلى الديار، كان ذلك في تشرين الأول- أكتوبر ٢٠٠٩ للميلاد، يصغي إلى إحدى الإذاعات العالمية.. تقرير يتحدث عما يجري في بلاده.. آلمه كثيرًا توصيف بلده بـ«الحديقة الخلفية» لمملكة آل سعود..

تحدث التقرير عن الظروف التاريخية التي ظهرت فيها الحركات الاحتجاجية والإصلاحية في البحرين على مدى الثمانينات.. الشاب الذي بلغ الحادية والعشرين والذي يقود شاحنته خلف رفاقه في شاحنةٍ أخرى يصغي إلى تقرير حول البحرين ومخاضات الحراك السياسي الذي تزامنت ذروته مع ميلاده..

- قابلت السلطات الحراك المطلبي بالحوار أحيانًا والقمع أحيانًا أخرى..

في ١٩٩٢ تزايدت وتيرة المطالبة بإعادة الحياة النيابية وإعادة العمل بدستور ١٩٧٣.. وتصاعدت الاحتجاجات منذ عام ١٩٩٤ وحتى

عام ١٩٩٩.. حيث تسلم حمد بن عيسى آل خليفة للسلطة في البلاد.. وإطلاقه الوعود المعسولة في برنامج إصلاحي شامل تضمن الإفراج عن المعتقلين والسماح بتأسيس الجمعيات السياسية..

أطلق الملك الجديد مشروعه الذي عرف بـ«ميثاق العمل الوطني» من أجل إجراء التعديلات على دستور ١٩٧٣م والتي طالبت بها قوى المعارضة وشرائح من أبناء الشعب لضمان حقوقهم وحرياتهم، وعندما تم الاستفتاء على «الميثاق» في ١٤ شباط-فبراير ٢٠٠٢ جاءت النتائج بأغلبية ساحقة وكانت النسبة تحديدًا ٩٨,٤٪، وأعقب ذلك صدوره الدستور الجديد الذي تمخض عن «الميثاق» إلا أنه جاء أسوأ من الدستور القديم، ومنذ ذلك التاريخ «٢٠٠٢» وإلى يومنا هذا، يناضل الشعب البحريني من أجل الحصول على حقوقه المسلوبة من فئة متسلطة تسيطر على جميع مقدرات البلاد وقد جردت الشعب الأعزل من كل حقوقه السياسية..

شهد عام ٢٠٠٤م عددًا من التطورات السياسية والاحتجاجية، كشفت عن مرحلة جديدة للصراع بين الحكم الخليفي والمعارضة..

قامت الحكومة بحلّ «مركز البحرين لحقوق الإنسان» واعتقال رئيسه «عبدالهادي الخواجة» إثر قيام المركز بعقد سلسلة من الندوات.. أماطت اللثام عن الظلم الذي يمارسه آل خليفة بحق الشعب البحريني وفي الطليعة «مشكلة التجنيس السياسي» من أجل تغيير الواقع الديموغرافي للبلاد! وتحويل الأكثرية الشيعية الساحقة إلى أقلّية!

إلى جانب استقدام العمالة الأجنبية وتهميش وإقصاء أبناء البلد

عـن الوظائف، ومعاملة المجنسـين الغرباء باعتبارهـم مواطنين أصليين، بينمـا تتـم معاملـة المواطنين الحقيقييـن من المكوّن الشـيعي على أنهم مواطنون من الدرجة الرابعة!!

فـي ذلـك الغـروب الخريفـي الحزيـن تجمعـت فـي عيني رضـا دموع الحزن والأسى وسرى في عروقه غضب مقدس..

انتبـه إلـى اقترابـه مـن نقطة التفتيـش.. اجتازت شـاحنة رفاقـه نقطة التفتيش.. أشار الشرطي إليه بالتوقف والترجّل.. ربما لفت نظره عمره..

ترجّل رضا وتقدّم نحو الشـرطي بقدمين ثابتتين وقلب شـجاع.. طلب الشرطي أن يبرز رخصة القيادة..

ابتسم رضا وهو يخبر الشرطي أنه لا يملك «رخصة السياقة».. فوجئ الشرطي وبقي ذاهلًا للحظات قبل أن يأمر باقتياده إلى مركز الشرطة..

نظـر الضابـط إلـى رضـا بعينيـن نافذتين وحـدس أنه مـن البحرينيين الشـيعة.. كانـوا يعرفـون أن حكومة البحرين تحرم الشـيعة من الوظائف الحكوميـة فيضطـرون إلـى العمل فـي الزراعـة والتجارة والأعمـال الحرّة؛ سأله الضابط عن مذهبه، فأجاب رضا بلهجة فيها اعتزاز:

- أنا شيعي

نظـر الضابـط فـي عينيـه وانزلـق بصره إلـى خيط أخضر يلـفّ عضده الأيمـن ويتسـاءل عمـا يرمـز إليه هـذا الخيـط الأخضر، وابتسـم رضا وهو يخبرهم أنه يرمز إلى السـيدة «أم البنين» زوج الإمام أمير المؤمنين ولوّح له بكفه اليمنى قائلًا: كان لها بنين أربعة استشهدوا في يوم عاشوراء..

قال الضابط: أتدري أن عقوبتك السجن؟! وقد لا ترى بلدك لشهور؟

كان رضا يبتسم بطريقة فيها حالة من الاعتذار.

قال الضابط: سنفرج عنك، شرط أن تخلع هذا الخيط عن عضدك!

تصور الضابط أن هذا الشاب سيعمد على الفور إلى حلّ الخيط.. ففي ذلك حلّ لمشكلته وورطته.. فوجئ الضابط بالجواب:

- ارفض بشدّة!! حتى لو كلفني ذلك السجن في الغربة!
- لماذا؟!
- لأنه يمس عقيدتي.. ولن أتنازل عنه بأي شكلٍ من الأشكال..

قال الضابط:

- لكنه مجرد خيط لا قيمة له!

أجاب رضا بإباء شيعي:

- إذا تنازلت عن هذا الخيط فسأتنازل عما هو أكبر وأكبر فيما بعد..

فوجئ الضابط بهذا الموقف الشجاع؛ فابتسم إعجابًا على الرغم منه..

أشار إلى الشرطي الواقف قريبًا بأن يفرجوا عنه.. كان رفاق رضا ينتظرون في أول محطة بعد نقطة التفتيش.. وقاد رضا شاحنته ليعبر نقطة التفتيش، وكان رفاقه يتطلعون إلى الطريق العام.. وقبل أن يشعروا باليأس تراءت لهم عن بعد شاحنة رضا التي كانت تقترب شيئًا

فشيئًا.. شعروا بمزيج من الدهشة والفرح..

ترجّل رضا وأقبل على رفاقه بابتسامة عريضة وقبل أن يسألوه قال لهم وهو يشير بأصبعه إلى الخيط الأخضر:

- أخرجتني أم البنين ببركة هذا الخيط

عرف عن «رضا» إعراضه عن الاستماع والإصغاء إلى الأغاني، وفي رأيه أن الغناء يخدّر الروح وسمع مرّة يقول:

- إن أقل ما يفعله استماع الغناء أنه يؤدي إلى حرمان الإنسان من أداء صلاة الصبح في أول وقتها..

قرية المعامير، مساء الجمعة ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩

توجه رضا مع بعض رفاقه إلى قرية المعامير وتحديدًا «مأتم سيد الشهداء» وكان قد تم الإعلان عن كلمة سيلقيها الأستاذ «عبدالوهاب حسين» المعلم الذي دخل الوجدان الشيعي بقوّة، صوتًا معبرًا عن معاناة ومحنة الإنسان الشيعي في عموم البحرين..

كان رضا ورفاقه في طليعة الوافدين احتفاءً بذكرى ميلاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام..

كان المعلم هادئًا وقورًا وهو يفتتح كلمته مستعيذًا بالله السميع العليم من شرّ نفسي الأمارة بالسوء ومن شر الشيطان الرجيم..

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد..

اللهم اهدِ قلوبنا لمحمد وآل محمد..

اللهم معهم.. معهم.. لا مع أعدائهم..

لهذه الكلمات في «البحرين» في ظل النظام الخليفي معاني واسعة جدًا يعيها الإنسان «البحراني» جيدًا.. إنها أوسع من أن تكون ديباجة أو مقدمة.. هذه الكلمات في البحرين تختزل محنة الإنسان الشيعي الذي سلبت حقوقه وامتهنت كرامته.. إنه يدفع ثمن ولائه لمحمد وآل محمد.. ومن قبل قالت السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليها السلام:

- «ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيدًا»

بدأ المعلم الأستاذ عبدالوهاب بتقديم التهاني إلى:

- شفيع ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري.. وإلى مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها وإلى كافة المؤمنين والمؤمنات.. في مشارق الأرض ومغاربها..

وأشار المعلم إلى أن هدف أئمة أهل البيت عليهم السلام هو هدف جميع الأنبياء والأوصياء ألا وهو إقامة دولة العدل الإلهي العالمية التي تجسّد خلافة الإنسان في الأرض: ﴿وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].. هذا هو الهدف الاستراتيجي وإلى جانبه أهداف سعى الأئمة إلى تحقيقها تمهيدًا لتحقيق ذلك الهدف الكبير..

أشار المعلم إلى ضرورة إثبات حقيقة حديث الثقلين في وجدان الأمة الإسلامية من خلال إثبات خطأ الرأي الآخر..

---

١. البقرة: ٣٠

وكذلك ضرورة نشر علوم أهل البيت عليهم السلام التي تمثل الإسلام المحمدي الصحيح وتفنيد الأطروحات الأخرى في العقيدة والتشريع..

كما أشار إلى هدف آخر وهو بناء الكيان المجتمعي الذي يؤمن بقيادة أهل البيت عليهم السلام..

وكذلك تشخيص القيادة الشرعية للأمة في عصر الغيبة الكبرى..

وأشار المعلم والأستاذ إلى ملاحظات مهمة؛ في أن عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عمل تراكمي؛ بمعنى أن عمل كل إمام يتصل بعمل الأئمة قبله وعمل الأئمة بعده، فكل إمام سيستأنف مسار الإمام السابق..

إن الأئمة عليهم السلام اعتمدوا في جميع عملهم على قوة الحق وفوة الحجة والبرهان؛ إلا أن أعدائهم واجهوهم بقوة السلاح والعنف والإرهاب.. فقتلوا من قتلوا و سجنوا وعذبوا، ومارسوا النفي عن الوطن للأئمة وشيعتهم ووطّنوا الأجانب.. إلا أن قوة الحق والحجة والبرهان قد انتصرت في هذه المعركة على قوة السلاح والعنف والإرهاب..

حارب النظام الأموي أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنه ذهب وبقي أهل البيت عليهم السلام وجاء النظام العباسي وقد فعل أسوأ مما فعله النظام الأموي، إلا أنه ذهب وبقي مذهب أهل البيت..

ثم جاء النظام العثماني وفعل في أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مثل ما فعل النظامان الأموي والعباسي إلا أنه ذهب وبقيت مدرسة أهل البيت عليهم السلام..

فكل نظام يعتمد في وجوده على الباطل وقوة السلاح والعنف

والإرهاب يذهب ويبقى الحق وأصحابه.. طال الزمن أم قصر.. «قليل من الحق يهزم الكثير من الباطل، هذه سنن التاريخ»

وأشار المعلم إلى تصريح رئيس الوزراء التركي «أردوغان»؛ في «وجوب الاعتذار لأهل البيت عليهم السلام عما لحق بهم من الظلم والأذى على أيدي المسلمين أنفسهم» ووصفه بالخطاب الجريء الجدير بالاحترام!

ثم أشار المعلم إلى أن لكل إمام محنة أو محن يواجهها، فتحدث عن محنة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ واعتبر إسناد ولاية العهد له والتي تجعل منه الرجل الثاني في الدولة محنة عظيمة.. «لأن الإمام ينظر بعين الله ذي الجلال والإكرام وبعين الحق والعدالة والفضيلة والجمال وليس بعيون الدنيا والمكاسب الدنيوية...»

الأستاذ المعلم لا يتحدث عن موضوع تاريخي صرف، إنه يتحدث عن واقع مرير وعن محنة التشيع في البحرين..

«وقد جاء فرض ولاية العهد من الخليفة المأمون على الإمام الرضا عليه السلام في ظل:

- نتائج الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة، حيث التصدعات والانقسامات الخطيرة في النظام العباسي.
- وجود التشيع كقوة عقائدية وسياسية معارضة للنظام، وكانت مصدر قلق له.
- وجود الإمام الرضا عليه السلام كقائد عقائدي وسياسي رسالي قوي وفاعل معارض للنظام.

وقد تصرف المأمون بدهاء عندما واجه رفض الإمام عليه السلام بالفرض..

تحدث الأستاذ المعلم عن أهداف المأمون في احتواء التشيع ودمجه في النظام والقضاء على استقلاليته وعلى دوره المعارض.

وتضليل الرأي العام والإساءة إلى طهارة الإمام الرضا عليه السلام كقائد رسالي كنتيجة طبيعية للدخول في أي نظام فاسد بدون حصانة كافية؛ فكرية وروحية..

وأشار الأستاذ المعلم إلى نجاح الإمام الرضا عليه السلام في مواجهة تلك المحنة من خلال التأكيد على أن إمامته إنما هي امتداد لإمامة آبائه الطاهرين، وقد اضطر المأمون إلى الاعتراف حتى أشيع أن المأمون قد تشيّع!

كما أن الإمام واصل مسيرته العلمية في نشر علوم أهل البيت، فعلى سبيل المثال كيفية خروجه لصلاة العيد والكشف عن سنّة النبي صلى الله عليه وآله الحقيقية في أداء شعائر الإسلام الحقيقي.. ما اضطر المأمون إلى إرجاعه قبل أن يصل إلى «الجامع»..

وقد ضاق المأمون ذرعًا بالإمام الرضا عليه السلام فاغتاله بدس السم ومضى عليه السلام شهيدًا مظلومًا وعرجت روحه الطاهرة إلى بارئها مع السعداء..

أيها الأحبة اكتفي بهذا المقدار واعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير واستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كان رضا يتشرّب كل كلمة في هذه الكلمة ويعي محنة أهل البيت عليهم السلام ومحنة أهله في عموم المناطق التي يسكنها الشيعة بسبب ولائهم لأهل البيت عليهم السلام..

******

سرّ ما في مكنون هذا الشاب العشريني.. سرّ يوجهه في دروب الحياة.. سرّ كالبوصلة التي ترشد السفن وهي تجري في مياه البحار..

في سحر تلك الليلة الخريفية والسماء الكحلية مرصعة بملايين النجوم.. ونسائم ندية تهب من ناحية البحر.. نهض «رضا» للقاء الحبيب..

نهض رضا في ساعة السحر.. نهض للصلاة.. نهض من أجل العروج إلى السماوات.. فالصلاة معراج المؤمن..

السماء المرصعة بملايين ملايين النجوم كقلوب تنبض بالحب..

ذهنه المتوقّد يحلّق بعيدًا وروحه تسطع بنور قادم من هناك.. تنعكس الأنوار على مرايا القلب فيشرق الوعي..

الله وحده الذي يعرف ما يموج في قلب هذا الشاب العشريني.. شاب يدير ظهره إلى الدنيا ويقبل بوجهه وقلبه وضميره على نور السماوات والأرض..

أنت وحدك الحق يا رب.. أنت نور عيني وسعادة قلبي.. دعني ألج ملكوت سماواتك.. اسبح بحمدك وأطوف مع النجوم حول عرشك.. أنت وحدك الحقيقة وما سواك أوهام وأباطيل.. أنت يا رب نبع الحياة وغيرك سراب يحسبه الظمآن ماء..

إلهي!

ماذا فقد من وجدك؟!

وماذا وجد من فقدك؟!

الله وحده الذي يعلم ما يجري في أعماق النفس الإنسانية.. في داخل كل إنسان يكمن بطل مكبل بالسلاسل والأغلال..

الإيمان الوجداني هو وحده الذي يحطم القيود.. وبعيدًا عن العيون.. وفي هدأة الأسحار وسكينة الليل.. كان رضا يستحيل إلى راهب.. تتمتم شفتاه بمناجاة المحبوب ويسبّح الفؤاد بحمده.. تلك الليالي شهدت تحطم القيود الصدئة وميلاد القلب الشجاع..

قلب ينبض بالحب الإلهي.. قلب يؤمن بأن الكرامة الإنسانية هبة الله للإنسان.. كما هي الحياة.. وكما أن الانتحار حرام، كذلك الخنوع والتنازل عن الكرامة حرام..

الإنسان المؤمن لا يتنازل عن كرامته.. لأنها هبة الله للإنسان.. و«لا يحق للمؤمن أن يذلّ نفسه»..

ذهنه المتوقد يسيح في فضاء واسع يأخذه إلى هناك.. يصغي بفؤاده إلى كلمات ما تزال تطوف في السماوات..

- اسألك يا رب!

بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وأعمالي عندك مقبولة حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وردًا واحدًا وحالي في خدمتك سرمدًا!

يا رب!

قوّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي..

يا سريع الرضا!

يـا مـن اسـمه دواء و ذكـره شـفاء وطاعته غنـىً.. ارحم مـن رأس ماله الرجاء وسـلاحه البكاء! يا نور المستوحشـين في الظلم! صلِّ على محمد وآل محمد! وافعل بي ما أنت أهله

قلبه يستحم في المناجاة في هدأة الليل وسكينة السحر.. تتشكل في أعماقه المضيئة ثقافة الحب الإلهي.. وينفلق عمود الفجر ويتنفس صبح جديد ويرتفع النداء الخالد: الله أكبر.. الله أكبر

ويكاد المرء يصغي في تلك اللحظات الحالمة إلى تسبيح الكائنات..

كل شيء يسبح بحمدك يا باري العالمين..

كل شيء مستسلم لإرادتك..

تبارك اسمك يا إلهي!

أيها الموجود منذ صبح الأزل إلى ليل الأبد

سرّ ما في قلب ذلك الشاب العشريني.. سرّ ينتمي إلى أسرار الوجود.. سـرّ في قلب يتلقى الإشـراق والوعي.. بعد أن مسّه الله بالحب ونفذ في داخله نور السماوات..

لا نعرف متى أصبحت زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء جزءً من يومياته.. ومتى وعى ضميره أن كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء..

فـي كل يـوم وبيـن الطلوعيـن؛ طلوع الفجـر وطلوع الشـمس كان رضا

يتوجه بقلبه وكيانه إلى أرض كربلاء.. ويقرأ بحزن ولوعة زيارة عاشوراء:

- السلام عليك يا بن رسول الله! السلام عليك يا ثأر الله!
- إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم!
- السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك!
- اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود وثبّت لي قدم صدقٍ عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام!

تتجمع في عينيه غيوم ممطرة.. وتتدفق في أعماقه لوعة الحزن والأسى.. وقد دوّت في ضميره نداءات الحسين: هل من ناصرٍ ينصرني!

وتمتزج أصداء الكلمات مع صهيل «ذو الجناح» وقعقعة السيوف والرماح وعواء الذئاب البشرية!

وينبعث في أعماقه نداء القلب الشجاع: لبيك يا حسين!

وتنبجس الدموع من عينيه.. دموع الحزن الكربلائي.. دموع من أجل الشهيد.. شهيد الإنسانية جمعاء.. الحسين نشيد الملايين.. على مرّ قوافل الأجيال..

الحزن الحسيني حزن فريد.. إنه يغمر القلب بالسكينة والطمأنينة والسلام..

الحزن الحسيني.. هو حزن الروح الإنسانية.. حزن إنساني فريد.. حزن سماوي يسهم في بناء الإنسان والمجتمع والحياة..

ومـن هنـا نفهـم سـرّ تعلـق هـذا الشـاب العشـريني بمجالـس العزاء الحسيني..

مجالـس العزاء الحسـيني سـلوك عاطفي يموج بالمشـاعر والعواطف والأحاسـيس.. وهـو فـي نفـس الوقت سـلوك يتسـم بالوعـي العميق في إحيـاء ذكـرى رجل عظيم ضحى بحياته وحياة أبنائه وأخوته وأنصاره من أجل بث روح المواجهة ضد الظلم والقهر والاضطهاد..

لا ندري هل سمع رضا كلمة الإمام الخميني وقوله: «إن أية عقيدة لا تنهـض علـى البكاء وتمجيد دماء الفـداء لن يكتب لها البقاء»، «إن البكاء في مجالس العزاء على سـيد الشـهداء هو من حفظ نهضة عاشـوراء.. إن الأعـداء يخافـون من هـذه الدموع ويخافون من هذا البـكاء.. لأن البكاء على المظلوم صرخة بوجه الظالمين»

إن ثقافـة عاشـوراء هـي ثقافـة الحب الإلهي في مواجهـة ثقافة حب الدنيا وتمجيد الطغاة..

ثقافـة عاشـوراء هـي من وراء ميلاد القلب الشـجاع.. وميلاد أسـطورة البحريـن «رضـا الغسـرة» رمـز المقاومـة الباسـلة والاسـم الكبيـر في هذه الجزيرة الصغيرة.. ولسوف يسطع اسمه في ضمير الأجيال.. لسبب واحد فقط.. لأنه قادم من هناك..

******

أحاول الاقتراب منه.. قراءة ما في عينيه واستكشاف شخصيته.. في أبعادها الثلاثة.. بعدها الروحي وما يشمل عليه من طاقة روحية

تكونت من خلال صلاة الليل.. والمواظبة على قراءة الأدعية والأذكار.. إن خشية الله أثرت طاقته الروحية وصنعت منه إنسانًا قويًا في حياته.. ولقد سمع مرّة يقول:

- لا يكون الإنسان ليثًا في النهار ومعترك الصراع إلا إذا كان راهبًا في الليل

لهذا كان رضا مواظبًا على أداء صلاة الليل.. ينبوعًا يتدفق بالوحدانية لله سبحانه وحده.. سبحانك يا فرد تعاليت يا وتر.. الله الأحد الصمد..

والبعد الأخلاقي الذي أثرى طاقته الأخلاقية من خلال تواصله مع رفاقه ومعارفه الذين أحبوه لأدبه وتواضعه وطيبته.. تشرّب في أعماقه دعاء «مكارم الأخلاق» فكان منهجه في حياته اليومية..

وتجلّى البعد العقلي في ذهنه المتوقد ذكاءً ونظراته النافذة، وتفكيره المنظم ومحاسباته الدقيقة..

ولقد كشفت الأيام عن مكنون في الأعماق ينعم بحالة من السلام بالرغم من صخب الحوادث..

يقال إن سرعة الرياح في قلب الإعصار تبلغ الصفر.. هذا ما يمكن التعبير عنه وتوصيفه..

رضا الغسرة سيظهر على مسرح الحوادث.. شابًا باسلًا شجاع القلب قوي الإرادة.. يستمد عزمه من إيمان عميق بالله الواحد الأحد والنبي محمد وآل محمد ﷺ.. فكأنه قادم من هناك.. قبسًا من تلك الشخوص.. التي انطوت على فطرة هي مستودع السرّ الإلهي.. بما يميز آدمية الإنسان

عن سائر الكائنات.. وعلى قلب نابض هو مركز العاطفة الإنسانية والجزء الذي يتلقى الإشـراق والوعي.. وعلى ضمير يمثّل القانون الأخلاقي الذي أودعه الله في أعماق البشـر.. وعلى عقل هو مركز المحاسـبات المنطقية ودائرة التمييز بين الخطأ والصواب والقبح والجمال وعلى إرادة تعبّر عن حريـة الإنسـان فـي انتخـاب طريق الحيـاة وعن مسـؤوليته وعلـى أهواء وغرائـز محتدمة يتعين على الإنسـان ضبطها وتوجيههـا بما يحقق آدمية الإنسان وتساميه عن البهيمية..

الفصل الثالث

شتاء ٢٠١٠

الضباب المتكاثف يخيّم على الأجواء، خاصّة في المناطق الساحلية وكأن الطبيعة تعبّر عن أجواء التوتر التي تسود البلاد منذ أن أمسك «جهاز الأمن الوطني» بزمام الحكم في هذه الجزيرة المقهورة.. لقد بددت شمس الحقيقة؛ الضباب وأظهرت أكذوبة «الميثاق» ثم قضى تقرير «البندر» على كل أمل في الإصلاح.. السلطات تنظر إلى ما يجري بعيون «أمنية» و«أمن الدولة» يتعامل مع «المعارضة» على أنه «ملف أمني»..

سقطت الأقنعة عن وجوه «آل خليفة» وظهرت صورة النظام الكالحة.. نظام طائفي سيشن حربًا مدمّرة ضد المجتمع ويهدد هوية البحرين؛ إن بدايات عام ٢٠١٠ لا تبشر بخير.. بل إنها تنذر بالخطر..

٢١ كانون الثاني-يناير ٢٠١٠ مدينة عيسى

في مساء يوم الخميس ألقى الأستاذ المعلم عبدالوهاب حسين كلمة

بمناسبة استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مأتم مدينة عيسى:

على عادته استعاذ المعلم الذي سيصبح بعد عام رمزًا للثورة والمقاومة من شرّ النفس الأمارة بالسوء ومن الشيطان الرجيم..

قدّم التعازي إلى «سيدنا الإمام المهدي صاحب العصر» افتتح المعلم حديثه بتلاوة الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

تطرق المعلم إلى بيان «الحقائق الأساسية» في الآية الكريمة من أجل فهم خطوة الإمام الحسن في «الصلح»؛ أشار المعلم إلى أربع حقائق:

- إن غاية إرسال الأنبياء هي إقامة العدل الإلهي بين الناس؛ لأن الناس لا يهتدون من دون قيادة الأنبياء والأوصياء.
- إن الأنبياء والأوصياء لا يمكنهم تحقيق هذه الغاية من دون مساندة الناس لهم ووقوفهم إلى صفهم.
- إن تحقيق هذه الغاية يتطلب حشد الشروط المعنوية والمادية؛ من صدق وإخلاص في النية إلى الله سبحانه وتعالى، ومن انضباط في العمل وتوفير العتاد اللازم والثبات والتضحية.

كما أنه لا يمكن تحقيق هذه الغاية إلا من خلال رفض الظلم ومقاومة الظالمين، ولهذا حرّم الله عز وجل على الناس الركون

---

١. الحديد: ٢٥

إلى الظالمين ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1].

وأشار إلى أن الحقيقة الرابعة قائلًا: «إن الانتصار وتحقيق دولة العدل الإلهي أمر حتمي».. وهذا الانتصار يتحقق بفضل الله عز وجل وجهود المؤمنين المخلصين: «وقد أوجب الله على نفسه أن يختار في كل زمان العدد الكافي من المؤمنين ويقيضهم» للقيام بهذه المهمة.

وأشار المعلم إلى خطأ من يتصوّر أن معاوية صعد المنبر وأعلن نقضه لبنود الصلح؛ و«أن كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين» أن هذا التصور «أقرب للخيال المسرحي من الواقع».

«والصحيح أن معاوية التزم إلى فترة من الزمن ببنود الصلح ثم أدرك من خلال النتائج التي أفرزتها التجربة على الأرض بأن الأمور لا تسير في صالحه... فخشي من انقلاب الرأي العام ضده... فقرر نقض الصلح».

كان أغلب الشباب يعون جيّدًا أن الأستاذ المعلم لم يكن بصدد الحديث عن قضية تاريخية مضت عليها قرون متمادية، بقدر ما كان هاجسه.. واقع هذا البلد الممتحن والمجتمع المقهور الذي يعاني من تسلّط نظام يعد امتدادًا لنظام معاوية..

وفي نهاية الكلمة أثار أحد الحضور سؤالًا:

- تتذرع القيادات في مواقفها الضعيفة والانهزامية بالضرورة، كيف ترد على ذلك؟

---

١. هود: ١١٣

وجاء الجواب في أن هناك ضرورة واقعية كما هي في صلح الإمام الحسن عليه السلام، وفيها تتجلى قوة وكفاءة وإخلاص القائد وإصراره على التقدم ودك حصون العدو.. لكن الظروف الموضوعية تمنعه فيضطر للتوقف..

وهناك الضرورة الذاتية التي تعكس ضعف القائد وعدم كفاءته كالضرورة التي نجدها اليوم لدى الحكومات العربية في مواجهة غطرسة أمريكا والكيان الصهيوني.. والدليل على ذاتية هذه الواقعية أن السيد المظفر السيد حسن نصر الله (نصره الله تعالى على أعدائه) وهو على رأس حركة وليس على رأس دولة استطاع أن يحقق الانتصارات السياسية والعسكرية على الكيان الصهيوني وأمريكا؛ ما عجرت عن تحقيقه كل الحكومات والجيوش العربية..

كان رضا يتشرّب كلمات الأستاذ المعلم.. وكان أكثر ما يشدَ اهتمامه تعلّق الأستاذ المعلم بأهل البيت عليهم السلام..

كلمات المعلّم كما لو كانت بذورًا تنبت في الأرض لتؤتي أكلها ولو بعد حين..

ربيع ٢٠١٠

عرف عن رضا الغسرة اهتمامه الكبير بالمناسبات الثورية وخاصّة المناسبات التي تخص قريته.. أطلّت ذكرى حزينة.. ذكرى يعود تاريخها إلى خمسة عشر سنة.. أي إلى عام ١٩٩٥م.. في مطلع نيسان-أبريل هاجم مرتزقة النظام الخليفي جموع المعتصمين حول منزل الشيخ

الجمري.. كان الناس يطالبون برفع الحصار عن الشيخ المجاهد..

ارتكب المرتزقة مجزرة فظيعة بحق المعتصمين الأبرياء وعرفت الحادثة الدامية بـ«مجزرة السبت الأسود»..

قدّر له أن يولد في قلب العاصفة.. ولهذا كان يقول: الذين يولدون في قلب العواصف لا يخافون هبوب الرياح..

منذ أيام المراهقة وهو يواظب على حضور الفعاليات والمسيرات.. أمه تودعه بدعواتها النابعة من قلب يتدفق رحمة وحنانًا.. تكتفي بسؤاله عن مقصده.. يبتسم ويقول: اليوم مسيرة.. وتزداد ابتسامته إشراقًا وهو يقول:

- شكله اليوم ما بيضربون رصاص

يحاول طمأنتها.. يربط على فؤادها..

كبر رضا وكبرت همومه.. وقد سطع نور قادم من هناك في قلبه.. وأضاء طريقه.. إنه ينتمي إلى الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم الله هدى..

أدرك جيله بأن الخطب والندوات وحتى المسيرات وحدها غير قادرة على دحر هذا النظام..

سيضطر هذا الجيل إلى فرض معادلة جديدة.. السلاح في مقابل السلاح..

هذا النظام الدموي لا تردعه سوى المواجهة والتضحية..

داهموا «الحوطة» على خلفية تقارير تتحدث عن وجود أسلحة

واستعدادات وتحضير لعمليات «تخريبية».. لم يكن رضا موجودًا.. كان غائبًا..

حصلوا على رقمه واتصل ضابط يدعى «المناعي».. تحدث بغطرسة:

- تعال! سلّم روحك.. عندنا أساله

فوجئ المناعي بالجواب:

- أنت تريدني.. أنت تعال!

استشاط الضابط:

- أنا المناعي!
- اعرف! إذا تريدني.. أنت تعال!
- إذا صدتك بقتلك
- أنا بقتلك!

توارى رضا عن الأنظار.. بدأت مرحلة جديدة في حياته.. اعتقلوا العديد من رفاقه؛ علي سعد وفاضل سلمان وحسن سلمان.. أما هو فقد أصبح مطلوبًا لأمن الدولة.. المناعي في صدره حقد دفين.. كان يبحث عنه وتمكن من تجنيد أشخاص لمراقبته.. تم منعه من السفر.. وبعد أسابيع رفع عنه المنع.. ربما للإيقاع به.. عرف رضا بذلك من خلال بعض الأشخاص..

أيلول-سبتمبر ٢٠١٠

انطلقت ثلاث شاحنات نحو «جدّة».. شاحنة «أحمد» ويقودها أخوه «رضا» وشاحنة يقودها أبو هاشم وشاحنة ثالثة يقودها صديق لهما..

في طريق العودة تعطلت شاحنة الصديق في طريق «السيل الكبير».. أوقف رضا الشاحنة وبادر إلى تصليح شاحنة صديقه.. كانت بحاجة إلى «كراج».. ولكن رضا تمكن من إصلاح العطل بصعوبة بالغة..

اتجهت الشاحنات نحو قطر.. في الطريق توقف الأصدقاء للاستراحة والاستحمام..

أكمل الصديق الثالث عمله.. لذلك تعيّن عليه أن يعود إلى البحرين.. سأل صديقيه عما إذا كانا بحاجة إلى شيء؟ ثم ودعهما للعودة إلى الديار..

بقيا وحدهما وقد نفد ما لديهما من نقود؛ قال أبو هاشم:

- والآن ماذا نفعل؟

قال رضا:

- عندي كم ريال قطري، نشتري بعض الخضار ونطبخها..

في اليوم التالي غادرا قطر متجهين إلى الديار عبر السعودية..

الشاحنات تطويان الطريق الساحلي الذي ينتهي إلى «الجسر».. كانت عناصر «الأمن الوطني» أو أمن الدولة تداهم «الحوطة» مرّة أخرى وتقبض على عدد من الشباب.. يبحثون عن رضا..

كان أحد الضباط يجري اتصالات.. عرفوا أن رضا خارج البلاد.. اتصلوا بالحدود..

أكمل أبو هاشم الإجراءات في الجانب السعودي وختم على جوازه.. وهكذا بالنسبة إلى رضا.. عبرت الشاحنتان باتجاه «جمارك البحرين».. ودائرة الجوازات.. أكمل أبو هاشم الإجراءات.. وختم على جوازه.. وكانت الأمور تسير على نحو طبيعي.. اتجه أبو هاشم يقود شاحنته إلى الباب الرئيسي.. ونظر في المرآة مستغربًا.. شاحنة رضا بقيت جاثمة ولم تتحرك خطوة.. اتصل على رضا الذي أجابه بكلمة واحدة:

- راح يعتقلوني!

وانهى الاتصال بسرعة..

ركن أبو هاشم الشاحنة وعاد أدراجه إلى رضا:

- وين أغراضك؟

- خليتها في السيارة الخضرة!

كان رضا قد أيقن بأنهم سيعتقلونه لذا بادر إلى تسليم ما معه من بطاقات اعتماد وتلفونات إلى صاحبه..

فوجئ رضا بسيارات «الأمن الوطني» تحاصر شاحنته.. صعد أحدهم إلى الشاحنة وخاطبه قائلًا:

- تفكر إنك تتعامل مع شرطة عاديين؟ أنت تلعب مع أعلى سلطة بالبلد!

ابتسم ساخرًا بالرغم من فوهات البنادق المتجهة صوبه:

- ما اشوف عندكم أيادي أزيد.. ولا راسين دبل! راس واحد.. حالكم حال غيركم!

وفي الأثناء كان أبو هاشم يتصل بـ«أحمد» شقيق رضا:

- راح يعتقلون رضا.. وصّل روحك بسرعة!

قصد أبو هاشم موظف الجوازات وسأله عن الموضوع؛ أجاب الموظف مطمئنًا:

- لا تخاف.. مجرد اشتباه في السيارة!

- اشتباه في السيارة؟! هو الآن بعده في الجوازات لم يصل إلى مرحلة السيارات حتى يكون هناك اشتباه!!

اتصل أبو هاشم بـ«أحمد» مرّة أخرى:

- وينك أحمد؟

- دقايق وأوصل.. وينك أنته؟

- انتظر في الجوازات!

رجل الأمن كان ينصت للمكالمة.. تقدم إلى أبو هاشم وسأله:

- ما علاقتك برضا؟

- صاحبي.. صديقي

- وين سيارتك أنت؟ تعال معي، ممكن اشتباه في سيارتك أنت!

وكان رجل الأمن يستدرج أبو هاشم من أجل اعتقال «رضا».. لذلك ما

إن وصلا إلى الشاحنة المركونة حتى قال:

- يكفي.. نرجع!

عاد أبو هاشم إلى كابينة الجوازات وسأل عن رضا وكان الجواب: راح من هني!

وصل أحمد وسأل عن رضا؛ قال موظف الجوازات: راح من هني!

سأل رجل الأمن: ما علاقتك برضا؟

كان أحمد محتدًا في كلامه.. أراد رجل الأمن أن يرهبه فقال:

- أنا من «أمن الدولة».. امشوا من هني ما دامت النفس عليكم طيبة!

- أنا أخوه وصاحب السيارة.. نبغى نعرف وينه رضا؟

- رضا يكمل إجراءاته!

بحثا في كل مكان في الجسر.. لكن رضا اختفى تمامًا وبحجة متابعة موضوع السيارة كان أحمد يسأل عن رضا.. تم حجز الشاحنة لمدّة أسبوع..

أعلنت السلطات الأمنية أنها داهمت مقرًا لتخزين الأسلحة والتدريب، وأنها اعتقلت المشتبه بهم.. وجاءت المداهمة على خلفية تقارير استخبارية..

كان جهاز أمن الدولة يهدف إلى توجيه ضربة استباقية.. ضربة قاتلة.. لذلك اقتيد المعتقلون إلى سراديب «القلعة» وتم تغييبهم في

زنزانات انفرادية..

«جهاز الأمن الوطني» يقيم حفلات التعذيب في كل مساء ولم يكن التعذيب بهدف انتزاع اعترافات وإنما لكسر شوكة الشباب وتحطيم إرادتهم.. وإظهار النظام بأنه المارد الجبار..

ثلاثون شابًا يرزحون تحت العذاب والتعذيب في أقبية النظام..

كانوا طليعة الحراك.. وجهت إلى تسعة منهم اتهامات في قضية «معسكر بني جمرة» و«تفجيرات مدينة حمد».. لا يتذكر رضا عدد المرات التي قام جلاوزة الأمن الوطني بعرض مسرحية إعدام.. في كل مرّة كانوا يطلبون من المعتقلين الاستعداد لتنفيذ الإعدام بحقهم.. إلى أن أيقنوا بأن الإعدام مجرد مسألة وقت فقط..

أحيانًا يصبح الموت حلمًا بالخلاص، وتصبح «المنية» «أمنية» في ظل الأنظمة الهمجية تصبح «المنايا» «أمانيا»..

وكما قال المتنبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يصرن أمانيا

ربما يهتف أحدهم تحت التعذيب من أعماقه: أين أنت أيها الموت الرحيم..

يواجهون الموت في زنزانات انفرادية.. في عالم مثقل بالنفاق والدّجل.. مليء بالصخب والضجيج عن حقوق الإنسان..

حقًا ما يقال؛ السجن مقبرة الأحياء، الداخل في سجون آل خليفة

«مفقـود» والخـارج منها «مولود».. وأن أي أحـد يدخل معتقلات «الأمن الوطنـي» لا يخـرج منهـا إلا «مجنونًا» أو «عميـلًا» أو «قويًا» جدًا وأصلب من الأيام..

اسـتمر التعذيـب أسـابيع .. تعذيـب بهـدف التعذيـب.. بهدف كسـر شـوكة المعارضين وتحطيم إرادتهم وتحويلهم إلى انهزاميين.. أربعة من الشـباب قضوا نحبهم.. رحلوا عن هـذه الجزيرة الظالم حكمها.. انطلقت أرواحهم بعيداً إلى عالم مفعم بالحب والصفاء والسلام..

وبقي رضا يقاوم.. كما لو كان مسـمارًا كلما انهالوا عليه بالضرب يزداد ثباتًا ورسوخًا..

في زنزانته الانفرادية أدرك وأكثر من أي وقت مضى أنه ليس وحيدًا.. هناك من يؤنسه ويرافقه.. ينهض للصلاة وقد خيّم السكون على الوجود.. لم يعد يسمع خطى السجانين ولا آهات السجناء وصرخات المعذبين..

- يا أنيس من لا أنيس له!

يا حبيب من لا حبيب له!

يا رفيق من لا رفيق له!

ولا تسـل عـن فرحتـه الكبـرى يـوم تمكـن مـن الحصـول علـى «تربـة الحسين» هذه التربة المقدسة تنطوي على وهج الرسالات الإلهية.. فوق هذه التربة جرت ملحمة كربلاء الخالدة..

عندما يسـجد فوق «أرض الحسين» يشـعر بالتسامي.. يشعر بالقوّة.. فـي الليالـي وفـي ظلمات السـجن كانت مشـاهد من الملحمة الإنسـانية

الخالدة تشتعل في خياله الوثاب..

يحلّق روحه فوق الأسوار.. ينطلق إلى هناك إلى حيث ألقت قافلة الحسين رحالها.. لتبدأ الملحمة الكبرى في ظهيرة عاشوراء.. يرهف سمعه إلى وارث الأنبياء يخاطب قوافل الأجيال:

- أيها الناس! إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالًا بعد حال..

فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته..

فلا تغرّنكم هذه الدنيا!

فإنها تقطع رجاء من ركن إليها!

وتخيب طمع من طمع فيها!

انبعث من أعماقه نداء: لبيك يا حسين!

وتجمعت في عينيه غيوم ممطرة.. تلمّس «التربة الحسينية» وشمّها ملأ صدره من نسيم الكرامة.. هذه التربة كانت جزءً من مسرح مقدس جرت فوقها أعظم ملحمة إنسانية في تاريخ البشرية على الإطلاق..

«رضا عبدالله الغسرة» شاب في الثانية والعشرين من ربيع العمر.. يبدو أكبر من سنّه بكثير.. ظهر فجأة على مسرح الحوادث.. ترى أي سرّ يكمن في شخصيته!! وأي مكنون تنطوي عليه الأعماق..

يقال إن الإنسان ابن البيئة.. رضا ابن هذه الأرض.. ابن هذه الجزيرة المقهورة.. تخرج من مدرسة الحياة.. الحياة بكل ما فيها من أفراح وأتراح..

نشأ في أحضان أم عظيمة.. ونما في ظلال أب كادح.. وتلقى معارفه من منبر الحسين.. كان يتشرّب الولاء لمحمد وآل محمد مذ كان رضيعًا.. كان يتشرّب الحب مع اللبن.. ألم يقل آخر الأنبياء في التاريخ:

- إنـي تـارك فيكـم الثقلين؛ ما إن تمسـكتم بهما لـن تضلوا بعدي؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي

مـن حبـه وولائه لأهل البيت كان يسـتمد قوته وإرادتـه.. كانت هذه «التربة الحسينية» التي كانت موضعًا للسجود بوابة للخلود.. رمزًا لانتصار الـدم علـى السـيف.. تشـتمل ذراتها المضمخـة بعبق الكرامـة على كل ما تشتمل عليه أرض «فدك»..

معتقـلات النظـام الخليفـي تسـتحيل فـي فصـل الصيـف إلـى جحيـم مستعر وفي الشتاء إلى زمهرير.. لا دفء في سراديب «الأمن الوطني»..

«رضـا» فـي زنزانته الانفراديـة يعاني من البرد عاريًـا.. قد جردوه من ثيابـه.. فـي منتصـف الليل.. يحطم السـكون صـوت ضابـط المخابرات.. تقتـرب خطـاه المترنحـة وهو يهذي مـن كثرة ما أفرط في سـكره.. اعتاد رضا على هذه المشاهد..

كان ضباط المخابرات يأتون سكارى في منتصف الليل..

تعـوّد رضـا على دخول أحدهم ومهاجمتـه وضربه بالعصا أو ركله من دون سبب..

فوجـئ رضـا بأحدهـم يداهـم زنزانتـه وبيده سـيف.. كان ثملًا يترنح عينـاه تبرقـان بالجريمـة.. رضـا يقـف أسـيرًا وحيدًا عاريًـا في ليلـة زمهرير

قارسة البرد..

ضابط المخابرات كان يحمل في الحقيقة سيفًا أمويًا دمويًا..

رضا على وشك أن يكون الشهيد الخامس في سراديب القلعة..

وتمرّ الأيام.. أيام العذاب والتعذيب.. وتمضي ليالي الزمهرير القاسية البرد..

وكان رضا ينمو كشجرّة برّية.. فهي أصلب عودًا وأبطأ خمودًا..

كان منقطعًا عما يجري خارج أسوار القلعة..

فوجئ الأسرى ذات ليلة بحفلة تعذيب شارك فيها الضباط..

تصوّر رضا أن حوادث مزلزلة قد حصلت خارج الأسوار.. ثم يكتشف الأسرى أن الفريق المفضل لأحد الضباط قد خسر في المباراة!!

رغم المحنة.. كان «رضا» ينمو ويكبر وتتبلور شخصيته على نحو متوازن.. ذهن يتوقد ذكاءً.. وقلب نقي ينبض حنانًا كما لو كان مرآة صافية ينعكس عليها نور قادم من هناك.. وخلق إنساني رفيع.. رغم قسوة الجلادين.. ما تزال الابتسامة تشرق كالأمل.. ابتسامة تعبّر عن صفاء الباطن وقد تستحيل إلى ابتسامة ساخرة يواجه بها جلّاديه..

حفظ عن ظهر قلب زيارة الحسين في يوم عاشوراء.. يشدو بها صباحًا ومساءً:

- السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك.. عليك منّي سلام الله أبدًا ما بقيت وبقي الليل والنهار

وتنبعث دعوته من الأعماق المسكونة بحب الحسين:

- اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين..

ليلة ٧ كانون الثاني-يناير ٢٠١١

لم يخطر في باله أن تكون هذه الليلة هي ذكرى ليلة ميلاده.. وحيدًا أسيرًا عاريًا.. في زنزانته الانفرادية.. قلبه يستحيل إلى عصفور في القفص الصدري يرنو إلى الحرّية.. الوقت بعد منتصف الليل..

تنبعث من قلبه دعوات..

- يا الله! يا الله! يا الله!

يا مجيب دعوة المضطرين!

يا كاشف كروب المكروبين!

يا غياث المستغيثين!

يا صريخ المستصرخين!

ويا هو أقرب إلي! من حبل الوريد!

اسألك أن تصلي على محمد وآل محمد

وأن تكشف عني غمّي وهمي وكربي

وأفوض أمري إلى الله..

وقد اعتاد أن يتوجه بكلّه ليسلّم على سيدة العصور:

- السلام عليك يا ممتحنة!

أنا لك مصدّق.. صابر على ما أتى به أبوك ووصيه فاشهدي أني ظاهر بولايتك وولاية آل بيتك صلوات الله عليهم أجمعين..

رضا في «مقبرة الأحياء» لا يعلم بما يجري خارج أسوار القلعة الرهيبة..

١٤ شباط-فبراير ٢٠١١

في ليلة الرابع عشر من شباط-فبراير انتشرت أخبار حول عزم الأستاذ المعلم عبدالوهاب حسين على الخروج فجرًا في مسيرة في منطقة «نويدرات» لتكون البداية في انطلاق ملحمة المقاومة والثورة لشعب مقهور..

ستكون هذه المسيرة بداية لمسيرات شعبية في أنحاء عديدة من هذه الجزيرة المقهورة.. وسيكون فجر الرابع عشر من فبراير فجرًا للحرّية..

المعلّم يمثل ضمير المجتمع البحراني.. يقرر النزول إلى الشارع وإشعال الثورة..

فوجئ النظام الأموي بانطلاق المسيرات الشعبية في المناطق الساخنة..

السماء ملبّدة بالغيوم.. والسحب مشحونة بالبروق ومخزونة بالرعود..

حقًا إن الجماهير هي دائمًا أقوى من الطغاة.. مهما تفرعن الطغاة.. وأنها قد تصبر ولكنها لا تستسلم..

وإنه من الممكن تحطيم الإنسان المؤمن ولكن من المستحيل هزيمته..

في جزيرة سترة.. تدفق الشباب والشيوخ والأطفال والأمهات والفتيات.. يخرجون وينزلون في الشوارع يطالبون برحيل الغزاة الغرباء القادمين من صحراء نجد.. من المكان الذي يطلع منه قرن الشيطان.. جاء آل خليفة وغزوا البحرين في ٢٣ تموز-يوليو عام ١٧٨٣..

خرج الأستاذ عبدالوهاب يتقدم الصفوف بعينيه النافذتين ولحيته التي اشتعلت شيبًا..

كان أمة في رجل.. وكانت خطوته التاريخية في فجر الرابع عشر من شباط-فبراير إيذانًا ببدء فصل مثير من نضال شعب مقهور ينشد الانعتاق ويتطلع إلى حياة حرّة كريمة..

عبدالوهاب حسين هو ضمير الشعب البحراني الذي يتطلع إلى الخلاص من حكم الغزاة الطغاة القادمين من نجد.. ذلك المعلم الذي يدعو إلى قيادة الربانيين من أهل بيت رسول الله ﷺ منذ إعلان النبي الأكرم ﷺ بعد عودته من حجة البلاغ:

«من كنت مولاه فعلي مولاه؛ اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله».

«إني تارك فيكم الثقلين؛ ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدًا؛

كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا».

ولقد آمن المجتمع البحراني منذ قرون بقيادة أهل البيت وأعلن ولاءه العميق لهم وتمسكه بهم استجابة لأمر رسول الله ﷺ والتزامًا بوصاياه؛ ولهذا فهو يدفع الثمن وتعصف به المحن..

المجتمع البحراني يتطلع إلى الإصلاح ويطالب بالإصلاح.. تدوي في ضميره كلمات سيد شهداء الحسين بن علي سبط رسول الله وهو في طريقه إلى كربلاء:

- قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله ناكثًا لعهده مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ،يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله

هنا تكمن أسرار ما جرى في يوم ١٤ فبراير ٢٠١١ وما سيجري بعد هذا اليوم التاريخي.. أجل هنا تكمن أسرار الثورة..

في جزيرة سترة..

كانت المشاركة الشعبية في جزيرة سترة واسعة.. حشود الشباب تهتف بحماس.. تطلعات وأحلام وآمال وآلام.. الجموع تصل إلى مدخل «سترة» الرئيسي..

مرتزقة النظام الأموي مدججون بالسلاح.. قوات «الشغب» في أتم الاستعداد لقمع الشعب الأعزل..

وصلت الحشود إلى المدخل الرئيسي.. الشباب الغاضب لم يعد يتهيّب قوات «الشغب».. تقدّم ضابط وهو يتصفح الوجوه.. كان يبحث عن رجل مسنّ وفي رأيه أن الحوار مع الشباب لا طائل من ورائه.. الشباب تدفعه «العاطفة» وفي اندفاعه ما يشبه «العاصفة».. برزت شخصيات متقدمة في العمر، قال الضابط متوعدًا:

- أمامكم دقائق لتفريق التجمع! وإلا!!

قالها بغظاظة تعكس غطرسة النظام الخليفي! فكان الجواب هتاف يشق الفضاء الملتهب:

- اللهم صلّ على محمد وآل محمد!

- سلمية! سلمية! سلمية!

هذه الجموع لا تريد أن تبدأ الحرب.. يتظاهرون ويهتفون ويحتجّون.. بسلام.. يريدون أن يصغي العالم إلى مطالبهم.. يريدون حقوقهم المصادرة.. ينشدون الإصلاح..

حشود الشعب المقهور ترفع أعلام البحرين.. فردّت قوات «الشغب» بإطلاق القنابل والغازات المسيّلة للدموع.. المرتزقة يطلقون الرصاص ضد الشباب الأعزل وسقط عدد من الجرحى..

واستمرت المواجهة بين الشعب والنظام.. بين قوة الشرعية وشرعية القوة إلى الغروب حيث خفّت حدة الصراع.. ومع ارتفاع أذان المغرب.. وضعت المواجهة أوزارها.. وتوجه المؤمنون لأداء الصلاة..

بعد صلاة العشاء انتشر خبر استشهاد الشاب «علي مشيمع» ليحمل

وسام أول شهيد للثورة التاريخية..

في مستشفى السلمانية وفي قسم «المشرحة» ظهرت أم الشهيد قوية أبيّة تحث على مواصلة الطريق.. طريق الحرية والكرامة والخلاص..

وفي يوم ١٥ فبراير نظم موكب مهيب لتشييع جثمان أول شهداء الثورة.. تحوّل موكب التشييع إلى مسيرة غاضبة.. الجموع تزحف باتجاه «دوار اللؤلؤة».. هوى على الأرض شهيد آخر هو «فاضل متروك».. استهدفه شرطي بسلاح «الشوزن» فأرداه قتيلًا..

أرض الصراع تلوّنها دماء الشهادة ودماء الجراح القانية.. يقول أحد القادة الخالدين: «عندما تنتهي المعركة يخسر الجميع ويفوز الشهداء»..

في هذا اليوم الدامي سيولد اسم جديد لـ«ميدان اللؤلؤة» سيصبح اسمه «ميدان الشهداء»..

عندما انفلق عمود الفجر دوّت في السماء أصداء النشيد السماوي:

- الله أكبر! الله أكبر

أشهد ألا إله إلا الله

أشهد أن محمدًا رسول الله

أشهد أن عليًّا ولي الله

حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح

حيّ على خير العمل

وترددت في أعماق الثوّار: حيّ على الجهاد!

في منتصف تلك الليلة.. هاجمت قوات المرتزقة برصاص الشوزن الانشطاري المعتصمين في «ميدان الشهداء» واستشهد الحاج «علي خضير» والشاب «محمود أبو تاكي» وانتشرت الأخبار قبيل طلوع فجر الخميس.. وتدفق الشباب الغاضب لنجدة رفاقهم المعتصمين في ميدان الشهداء.. هوى «الحاج عيسى» والشاب الباسل «علي المؤمن» الذي كان يحلم بتحرير القدس وكان يقول: نخرج هنا وعيوننا على القدس..

أعلنت السلطات حالة «السلامة الوطنية» حالة الطوارئ التي تسوّغ للنظام الأموي ارتكاب المجازر وقتل الناس الأبرياء.. استحال النظام الأموي الدموي إلى ذئب كاسر يكشّر عن أنيابه ليتخطف لحوم الضحايا لا لذنب سوى تنظيم مسيرات سلمية تطالب بالإصلاح..

النظام يقابل مسيرات الإصلاح بالعنف والسلاح.. هذه المعادلة لا يمكن أن تستمر!!

في الخامس عشر من آذار-مارس تجمعت في سماء سترة نذر المواجهة.. كان النظام الأموي يحضّر لهجوم همجي على جزيرة سترة..

انطلقت نداءات من مآذن بعض المساجد..

- يا أهالي سترة هبّوا إلى الشوارع!

ومع أذان الظهر ظهرت قوات المرتزقة وبدأت عدوانها الوحشي.. وتصدّى الشباب للعدوان وهوى بعضهم صريعًا تنزف جراحه دمًا عبيطًا..

١٠ محرم ٦١ هـ ١٠ تشرين الأول-أكتوبر ٦٨٠م

في العاشر من المحرم.. العاشر من تشرين الأول-أكتوبر ٦٨٠ للميلاد.. وكانت الشمس في برج الميزان والقمر في برج الدلو وزحل في برج السرطان[١]..

وفي أرض كربلاء صلّى الإمام الحسين عليه السلام بأنصاره صلاة الصبح وألقى كلمة موجزة مجّد فيها الله سبحانه وتعالى ثم قال:

- إن الله تعالى قد أَذن في قتلكم وقتلي في اليوم فعليكم بالصبر والقتال..

ثم صفّهم للحرب وكانوا اثنين وسبعين رجلًا، فجعل زهير بن القين على الميمنة وحبيب بن مظاهر الأسدي على الميسرة وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب وأعطى الراية أخاه العباس..

وتقدّم عمر بن سعد يقود جيشه الجرّار المؤلف من ثلاثين ألف جندي وكان على الجناح الأيمن عمرو بن الحجاج وعلى الجناح الأيسر عمر بن سعد..

وسرت في الطبيعة رعدة مخيفة ولاحت في السماء نذر الملحمة الكبرى في يوم عاشوراء.. أطول يوم في تاريخ الإنسان..

الجيش الأموي لن يتردد في ارتكاب المذبحة الكبرى وسوف تسفك الدماء الزكية في هذه الأرض الطاهرة..

ودوّت أصداء كلمة الحسين بن علي:

---

١. تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، صفحة ٢٤٣

- هيهات منّا الذلة!

إني لا أرى الموت إلا سعادة..

ويوّدع شقيقته زينب الكبرى:

- أريدك أن تكونين صوتي وكلماتي التي سأقولها للآتين!

وتمزّق سنابك خيل النظام الأموي جسم الحسين فانهارت السدود ولم يعد هناك معقول وغير معقول.. كل الحرمات مستباحة أمام الغازي يزيد..

ولسوف تجتاح مرتزقة النظام المدينة المنورة وتقتل صحابة النبي ﷺ وتنتهك الأعراض.. الذئاب البشرية سوف تهاجم مكة المكرمة وتقصف بيت الله الحرام وتحرق الكعبة المشرّفة..

دوار اللؤلؤة ١٦ شباط-فبراير ٢٠١١

الحشود الجماهيرية تتدفق صوب دوّار اللؤلؤة الذي أصبح رمزًا للتحدي.. في يوم الثلاثاء الخامس عشر من شباط-فبراير أصبح دوّار اللؤلؤة ميدانًا للمواجهة.. الجموع تتحدى دبابات النظام الأموي..

وفي يوم الخميس وقعت المجزرة.. النظام يقرر البطش.. فتح النار على المعتصمين واستخدم الرصاص الانشطاري..

سيبقى يوم الخميس ١٦ شباط-فبراير ٢٠١١ داميًا في ذاكرة الشعب.. سيبقى حيًّا ينبض في تاريخ البحرين.. سيبقى رمزًا لانتصار الدماء القانية على دبابات النظام الأموي الدموي..

بدأت ملحمة الاعتصام التاريخي في دوّار اللؤلؤة الذين استحال إلى «ميدان الشهداء» وعلى مدى ثلاثين ليلة سيكون مصنعًا للأبطال..

تتجلّى ثقافة عاشوراء بكل عنفوانها في عيون المعتصمين.. لا معنى للحياة من دون كرامة ومن دون حريّة..

فالموت هو في حياة الذل والخنوع والحياة الحقيقية في الموت بكرامة وإباء..

وتدوي أصداء الكلمات المقدّسة في وجدان الشعب.. كلمات دوّت أصداؤها على شطآن الفرات في وادي صفين:

«الموت في حياتكم مقهورين؛ والحياة في موتكم قاهرين»

وتتسارع الحوادث وتجري الاتصالات وتحاك المؤامرات.. ويستنجد آل خليفة القادمون من الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان بأسيادهم النجديين.. يستنجدون بـ«آل سعود».. وربما العكس فآل سعود هم المتسلطون في هذه الجزيرة..

وتزحف قوات «درع الجزيرة» وجنود آل سعود يعبرون الجسر لتعزيز سلطة عملائهم..

٢٣ شباط-فبراير ٢٠١١

مرّت ستة أيام على بدء الاعتصام التاريخي في دوار اللؤلؤة.. جرت خلالها حوادث دامية..

لا أحد يدري لماذا قررت السلطات الإفراج عن «رضا الغسرة»

ورفاقه..

في ذلك اليوم القارس البرد فتحت الزنازين في طوامير القلعة.. وخرج المعتقلون.. حشروا في إحدى الغرف..

أشار الضابط إلى خصره ووضع كفه على مسدسه وقال:

- هل تعرفون هذا الشيء؟

هزّ البعض رؤوسهم وتمتم أحدهم:

- سلاح!

نظر الضابط إليهم بحدّة وقال بغطرسة وفظاظة:

- في المرّة القادمة ما فيه اعتقال! فيه قتل! اسمعوا زين.. اعتقال ما فيه! فيه رصاص..

غادر رضا الغسرة زنزانات الأمن الوطني، ذلك المعتقل الرهيب في ضحى الثلاثاء ٢٣ شباط-فبراير.. اتسعت عيناه دهشة وهو يرى رفاقه المطلوبين بانتظاره! من غير المعقول أن يحضروا في هذا المكان!

جلس في المقعد الخلفي لإحدى السيارات التي جاءت لاستقباله.. «رضا» حتى هذه اللحظة لم يسمع بالحادثة التاريخية الكبرى.. لم يسمع بانطلاق الثورة الشعبية قبل تسعة أيام.. لم يسمع بما جرى من حوادث دامية قبل سبعة أيام.. كان يتصوّر إن السيارة تسير باتجاه قريته «بني جمرة».. تحدث لرفاقه عما قاساه في زنزانات أمن الدولة وما لاقاه من ضباط الأمن الوطني.. تحدث عن التعذيب.. عن رفاقه في المعتقل.. عن الديرة.. ومن خلال النافذة انتبه إلى أن السيارة لا تتجه

صوب «الديرة».. لا تسير باتجاه قريته الحبيبة «بني جمرة»..

تساءل مستغربًا:

- وين بتودوني؟!

- إلى ميدان الشهداء

- وين؟!!

- ميدان الشهداء

ترّن هواتف رفاقه.. الجميع يسأل عن رضا الغسرة.. واصلت السيارة والسيارات المرافقة قريبًا من الميدان.. حيث جرت فصول يوم الخميس الدامي..

الجموع تواصل توافدها على الميدان للمشاركة في ملحمة الاعتصام التاريخي..

نسائم شباط-فبراير مفعمة بأريج الكرامة والشهادة.. ما تزال ملامح الاستغراب ترتسم على وجه رضا.. قال مستفهمًا:

- كل هؤلاء الناس جاؤوا لاستقبالنا؟! وفي هذا المكان؟!!

توقفت السيارات قريبًا من مكان مكلل بالورود والرياحين.. ترجّل رضا ورفاق الدرب.. تقدموا نحو المكان المضمخ بدماء الشهداء!

قال أبو هاشم:

- هنا في هذا المكان هوى عبدالرضا بو حميد شهيدًا!

أشار أحدهم إلى عمود الإنارة الذي اخترقته رصاصة المرتزقة..

هنا جرت الملحمة التاريخية.. هنا دوّت هتافات الجماهير بالثورة والخلاص والحرّية..

هنا هوى خمسة شهداء.. هنا استشهد علي المؤمن وعبدالرضا بو حميد..

هنا دوّت شعارات الثورة: «الشعب يريد إسقاط النظام»

هنا انطلقت صرخة قوية: ارحلوا!

أجل ارحلوا أيها الغرباء!

شدّ رضا الغسرة رأسه وجبهته بوثاق أبيض مكتوب عليه: لا حوار!

ثمة لافتة كبيرة مرفوعة عاليًا وقد كتب عليها:

- ارحلوا!

في ميدان الشهداء والأحلام الوردية بنصر سريع تدغدغ قلوب المعتصمين، قال رضا الغسرة وقد ركّز بصره على اللافتة:

- ما يرحلون بالسهل!

وأردف وكأنه ينظر إلى الأفق البعيد:

- آل خليفة دخلوا بالسيف.. وما بيطلعون إلا بالسيف!

- السلاح مقابل السلاح!

بقي رضا في الميدان حتى الساعة الثالثة صباحًا، يروي ظمأه.. كان يستفهم عن كل تفاصيل ما جرى من حوادث مزلزلة منذ اندلاع الثورة في فجر الرابع عشر من شباط-فبراير..

سيبدأ مخاض ولادة الجيل الواعي.. سيولد جيل مثقف بثقافة عاشوراء.. ثقافة المقاومة والانتصار على الذات والتغلب على أوهام قلة العدد وغياب الناصر!

في ميدان الشهداء.. تفتحت في أعماق رضا الغسرة مواهبه القيادية وتألقت إرادته قوية أبية.. في عينيه بريق حسيني قادم من كربلاء.. وقد سطعت في أعماقه أشعة من شمس عاشوراء.. هذا الفتى العشريني يسير في طريق الثورة الدامية.. ثمة بركان على وشك الانفجار تتهدد الغرباء الغزاة القادمين من صحارى نجد.. من المكان الذي يطلع منه قرن الشيطان!

الفصل الرابع

خمسة شهور أمضاها في أقبية الأمن الوطني، خمسة شهور من العذاب والتعذيب، تمرّ الليالي والأيام وهو لا يعلم بما يجري في البلد..

وعندما أفرجوا عنه.. إذا به يخرج قويًا أبيًا.. ثمة شيء في داخله يضطرم.. لم تنكسر إرادته.. ثمة شعلة متوقدة حفظت في أعماقه كل العناصر التي كوّنت شخصيته..

صحيح أن مشهد الاعتصام في دوار اللؤلؤة شكّل له مفاجأة وأثار العديد من الأسئلة في داخله.. إلا أنه سرعان ما استوعب الحوادث المزلزلة التي جرت خلال الأيام التسعة والليالي العشر..

لقد بدأت مرحلة جديدة من الجهاد..

«خيمة بني جمرة» استحالت إلى قلب نابض بالحياة والحركة والوعي.. يجب استثمار فترة الاعتصام في بث الوعي العميق.. الحراك الشعبي مقبل على مرحلة فاصلة.. هذا الشاب البالغ من العمر ثلاثة

وعشرين سنة يفكر بعمق وينظر إلى المدى الأبعد..

آمن رضا أنه «لا جهاد إلا بالإيمان.. ولا إيمان إلا بالصبر.. ولا صبر إلا بالقوة» هذه هي عناصر الحراك العميق.. إنها تمتزج في بودقة واحدة.. وهي وحدها التي تكتب «سورة النصر»..

استحال رضا الغسرة إلى «نحلة» في نشاطه الدؤوب وإلى «نخلة» في ثباته العجيب..

كان يعمل بصمت.. ارتفعت لافتات كبيرة جدًا في ميدان الشهداء..

- الشعب يريد إسقاط النظام

وظهر شباب يرتدون الأكفان.. وقد خطّت على الكفن وباللون القاني:

- أنا الشهيد التالي

كان رضا يدرك جدًا أن الطريق إلى «الفتح المبين» لا بد وأنه يمرّ بـ«سورة المقاومة»..

الشعب المقهور يتحدّى بأيد خالية نظامًا مدججًا بالسلاح وبكل وسائل القمع والبطش..

النظام الأموي يصرّ على غطرسته، يفتح الطريق للتدخل السعودي..

جيوش الأنظمة العربية أدارت ظهرها لفلسطين وراحت تستعرض عضلاتها أمام الشعوب المستضعفة.. شخصيات ورموز إسلامية ظهرت توجهاتها الطائفية على نحو واضح وفاضح.. تؤيد «الربيع العربي» في تونس ومصر وتدين ما يجري من تحركات «طائفية شيعية» ضد «النظام السني».. ظهر نفاقها وانكشفت أوراقها واتضحت تمامًا ازدواجية

معاييرها.. وشخصيات «مدفوعة» و«مدفوع» لها.. تبارك التدخل السعودي وتقف إلى جانب النظام الخليفي ضد شعب محاصر مقهور.. تؤيد تدخل قوات «درع الجزيرة» حتى لا تصل نسائم «الربيع العربي» إلى البحرين.. يجب أن تبقى هذه الجزيرة الصغيرة في قعر الجحيم..

ملحمة الاعتصام التاريخي متواصلة.. اللؤلؤة تزداد تألقًا.. وأحلام الانتصار تداعب الرؤى.. آمال وردية ومشاهد ملوّنة ترتسم في الخيال!

كان النظام الخليفي يستعد لتوجيه ضربة قاسية لتكون «الضربة القاضية»..

آل سعود يتوجسون خيفة.. فالشيعة في القطيف والإحساء يتطلعون بأمل إلى ما يجري في البحرين.. يستلهمون «الدروس».. تنتعش آمالهم بـ«يوم الخلاص»..

«العناكب» تحيك خيوط التآمر.. يجب القضاء على هذا «التمرد» و«العصيان».. يجب سحق «المعارضة».. آن الأوان لسحق «الإرهاب»..

١٠ محرم ٦١ هـ ١٠ تشرين الأول-أكتوبر ٦٨٠م

لاحت في سماء كربلاء نذر الملحمة الكبرى.. اثنان وسبعون رجلًا يصطفون تحت راية ترفرف فوق هامات رجال أشدّاء من أهل بيت رسول الله.. في مواجهة جيش النظام الأموي المؤلف من ثلاثين ألف ذئب بشري..

يقول أرباب المقاتل:

- وأقبل عمر بن سعد في ثلاثين ألفًا.. وعلى الميمنة عمرو بن الحجاج وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن..

وأقبلوا يجولون حول البيوت، فيرون النار تضطرم في الخندق..

ولما نظر الحسين إلى جمعهم يموج كأنه السيل؛ رفع يديه بالدعاء وقال:

- اللهم أنت ثقتي في كل كرب

وأنت رجائي في كل شدَّة

وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدَّة

كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقلُّ فيه الحيلة

ويخذل فيه القريب ، ويشمت به العدو

أنزلته بك وشكوته إليك راغباً فيه إليك عمن سواك

ففرَّجته وكشفته عني وكفيتنيه

فأنت ولي كل نعمة، ومنتهى كل رغبة

ولما لم يبق مع الحسين إلا أهل بيته، عزموا على ملاقاة الحتوف ببأس شديد ونفوس أبية، وأقبل بعضهم يودّع بعضًا؛ وأول من تقدم أبو الحسن علي الأكبر وعمره سبع وعشرون سنة..

ورفع الحسين شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

- اللهم أشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد خلقًا وخُلقًا ومنطقًا، وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه

ولما قُتِل عبدالله بن مسلم بن عقيل، حمل آل أبي طالب حملة واحدة فنادى الحسين عليه السلام:

- صبرًا على الموت يا بني عمومتي!

والله لا رأيتم هوانًا بعد هذا اليوم!

وخرج القاسم بن الحسن المجتبى وهو غلام لم يبغ الحلم، فلما نظر إليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى..

ولما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى من أله، قال لإخوته من أمه وأبيه: عبدالله وعثمان وجعفر:

- تقدموا يا بنيّ أمي! حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله!

وسمع العباس صراخ الأطفال من العطش.. فثارت به الحمية الهاشمية..

ولم يستطع العباس صبرًا على البقاء؛ فركب جواده وأخذ القربة واتجه إلى نهر الفرات فأحاط به أربعة آلاف.. فلم يعبأ بهم وتقدم نحو الشريعة وكانت الراية ترفرف فوق هامته ولم يثبت له أحد، وأقحم الفرس النهر وملأ القربة بالماء..

وركب جواده وتوجه نحو المخيم، فقطع عليه الطريق، وكمّن له «الجهني» وراء نخلة فضربه على يمينه فلم يعبأ..

وكمّن له آخر فضربه على شماله.. وأتته السهام كالمطر.. وضربه رجل بالعمود على رأسه.. فهوى على الأرض ونادى: عليك مني السلام يا أبا عبدالله!

١٦ آذار-مارس ٢٠١١ ميدان اللؤلؤة

الحشود تواصل اعتصامها في «دوار اللؤلؤة»، الشيخ المجاهد علي الجدحفصي فوق المنصة دموعه تجري على شيبته وهو يتلو آيات الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1].. الأمويون يهاجمون المعتصمين في كل مكان.. جنود «درع الجزيرة» القادمون من نجد يحوّلون الشوارع في أرجاء البحرين إلى مسرح رهيب لعمليات دموية..

بنو أمية ينبعثون من نجد ويقتلون الأبرياء في الشوارع ويسفكون الدماء..

شهد رضا الغسرة حادثة استشهاد «أحمد العرنوط» وشاهد تفاصيلها الدامية.. دوار اللؤلؤة يستحيل إلى مشهد كربلائي.. وقوّات «درع الجزيرة» الأموية تبطش بقسوة بالأبرياء..

الدبابات والمدرعات تجوب الشوارع في أرجاء البلاد..

أمضى رضا الغسرة ورفاق الدرب الليل في شوارع «بني جمرة» يدافعون عن الأرض والعرض والحرمات، ونادى رضا: «السلاح مقابل السلاح»

آل خليفة لا يفهمون إلا لغة القوّة! بدا المشهد وكأن النظام الأموي قد انتصر في المواجهة..

هؤلاء الجبناء يستأسدون في مواجهة شعب أعزل ما يزال يتمسك

---

١. الأحزاب: ٩

بالاحتجاج السلمي!

ساد الوجوم الشوارع والأزقة الغارفة في حزن مرير.. قوات درع الجزيرة تجوب الشوارع وتنشر أجواء الرعب وأزيز الرصاص في كل مكان..

لكنّ الشعب أصرّ على تشييع شهداء كربلاء الجديدة.. فـ«كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»..

وانبعث من عمق الضمير والوجدان الشعبي نداء خالد:

- لبيك يا حسين!

ولدت «سورة المقاومة»..

مواكب تشييع الشهداء تستحيل إلى مسيرات، وكان رضا الغسرة يصرّ على المشاركة في مواكب التشييع هنا وهناك، كان يتعمّد الظهور وهو يحمل السلاح.. مشهده وهو يحمل السلاح رسالة واضحة إلى شعبه المقهور: السلاح مقابل السلاح!

بدأت مرحلة جديدة في نضال الشعب البحراني.. أعلنت سلطات آل خليفة حالة الطوارئ.. وانبرى رضا الغسرة ورفاقه للدفاع عن الأرض والعرض.. قوات المرتزقة ستبدأ بحملة المداهمات للانتقام.. لم يقف رضا موقف المتفرج.. تمكن بجهود فردية من سدّ مداخل «بني جمرة» بمقطورات الشاحنات التي استحالت إلى سدّ منيع.. حال دون اقتحام «بني جمرة» واستباحتها..

الملحمة ما تزال مستمرة.. أرض الجزيرة المقهورة تهتز تحت سنابك خيل النجديين الغزاة..

في يوم ١٨ آذار-مارس أذاعت وكالة أنباء الأناضول تصريحات رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان:

- حذّر رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان من أن تؤدي أحداث البحرين إلى «كربلاء جديدة».

في إشارة إلى إراقة الدماء في صفوف المحتجين ومعظمهم من الشيعة..

وقال أردوغان في تعليقه:

- نحن مع الحفاظ على النظام في الدول كافة، لأننا نريد الاستقرار أولًا ولا نريد أن نرى اضطرابات؛ فإذا كان الشعب يريد «التغيير» فذلك يتم بـ«هدوء» وبـ«التفاهم»..

وحذّر أردوغان من عواقب تدخل قوات «درع الجزيرة» في الشأن الداخلي البحريني وقال:

- إنها ستؤدي إلى عواقب وخيمة ومشابهة لـ«كربلاء»

وكانت صحيفة الشرق الأوسط قد نشرت تقريرًا عما يجري من حوادث دامية في البحرين..

وفاحت رائحة البترول السعودي والدولار ونزّ من الأفواه صديد الطائفية..

القرضاوي يصرّح بأن ما يجري في البحرين مخطط «شيعي» للإطاحة بالحكم «السني».. وتابعه «زعيم» النهضة (التونسي) «الغنوشي» وانكشفت عورة الأحزاب الإسلامية وتوجهات بعضها الطائفية، وخذل

العالـم العربـي ثـورة الشـعب البحرينـي رغـم مسـاندته القويـة لقضيـة فلسطين السليبة والقدس العزيزة!

الجرّافـات تجتـاح «ميـدان اللؤلـؤة» وتسـوّيه بالتراب حتـى لا تتحول «اللؤلؤة» رمزًا لثورة الشعب المقهور..

«آل سـعود» ومـن ورائهم «اليهود» يقررون سـلخ البحرين عن هويتها الثقافيـة.. سياسـة تجنيـس الغربـاء تتصاعـد وتيرتها.. منذ سـنوات تعامل النظام الخليفي مع المعارضة السلمية باعتبارها «ملفًا أمنيًا» وشهر السيف بوجه شعب اختار الطريق السلمي لتحقيق التغيير والإصلاح..

٢٥ آذار-مارس ٢٠١١

قبيـل انفـلاق الفجـر، تجمعـت فـي عينيـه الدمـوع كغيـوم ممطـرة.. ملامح وجهه الحزين تعبّر عن شـعور بالمأسـاة.. تسـاءل أحد رفاقه وقد استيقظ لصلاة الفجر، قال رضا:

- النظام قام بهدم عدد من مساجدنا.. وأقل ما نفعله غدًا الجمعة هو أن نصلّي في المساجد..

آل خليفـة الأمويـون يهدمون المسـاجد التي يذكر فيها اسـم الله كثيرًا ويحرقون عشرات المصاحف..

في ساعة السحر انطلق رضا ورفاقه إلى أحد المساجد المهدمة لأداء صلاة الليل..

«ومـذ هويت يا حسـين.. ومرّت الخيول علـى ربىً من صدرك الكبير..

انهارت السدود.. واجتاحت السيول.. فلا حدود.. مدينة الرسول.. وعربد الغزاة في المحاريب وأحرقوا الحقول.. شراذم الأوغاد واليهود يصلبون في حضرة.. العذراء ابنها الوحيد.. لينتشي بسكره يزيد.. يا أيها الحسين.. يا دمك المطلول في الرمال.. في التاريخ.. في ذاكرة الأجيال»

في سحر تلك الليلة الرهيبة وقد نشر الرعب أجنحته في القرى والمدن الخائفة.. كان نبع من السكينة يترقرق في المسجد..

صلّى رفاق الدرب المرير صلاة الفجر وقرأ رضا دعاء العهد بصوت حزين:

- اللهم رب النور العظيم..
- ورب الكرسي الرفيع..
- ورب البحر المسجور..
- ومنزل التوراة والإنجيل والزبور..
- ورب الظل والحرور..
- ومنزل القرآن العظيم..
- اللهم بلغ مولانا الإمام الهادي المهدي.. القائم بأمرك.. صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها..
- اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي.. عهدًا وعقدًا وبيعة له في عنقي..

- اللهم اجعلني من أنصاره.. والمسارعين إليه.. والممتثلين لأوامره.. والمستشهدين بين يديه..
- اللهم اكشف هذه الغمّة عن هذه الأمة بحضوره وعجّل لنا ظهوره.. إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا..

وانسابت كلمات دعاء «الندبة» لتروي قصة الإسلام المضطهد والإنسان المقهور

- اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها

كلمات الدعاء تؤرخ فجر الرسالات الإلهية وحمل الأمانة.. مذ هبط آدم على الأرض بعد أن أسكنه الجنّة.. ثم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى..

«إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد.. قدمته على أنبيائك»

«ثم جعلت محمد صلواتك عليه وآله مودتهم في كتابك فقلت: قل لا اسألكم عليه أجرًا إلى إلّا المودة في القربى»

«فلما انقضت أيامه أقام وليّه علي بن أبي طالب هاديًا، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد.. فقال والملأ أمامه: من كنت مولاه فعلي مولاه.. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله..

وأحلّه محل هارون من موسى، فقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»

ويبدأ العدوان على الشجرة النبوية.. بين قتيل بسيوف الغدر.. وبين مسموم.. إلى أن توارى الإمام الثاني عشر عن الأنظار إلى يوم الوعد الإلهي الحق:

- أين بقية؟!
- أين المعد لقطع دابر الظلمة؟!
- أين المنتظر لإزالة الجور والعدوان؟!
- أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده؟!
- أين باب الله الذي منه يؤتى؟!
- أين الطالب بدم المقتول بكربلاء؟!

إن من يريد أن يلج إلى مكنون الثورة ومن يريد معرفة أسرار الثورة ومخزونها.. ما عليه إلا أن يغوص في قصة كربلاء ونهضة عاشوراء.. إن جيل رضا الغسرة قادم من هناك.. رضا الغسرة رمز لثورة هذا الجيل وشاهد على براءتها ونقائها واستمرارها بنفس الزخم وفي ذات الاتجاه.. ربما سيطول الطريق.. إلا أنه يجب مواصلة السير وعدم التراجع.. لأن التراجع خطوة واحدة إلى الوراء يجعلك تتراجع مئة خطوة.. هكذا كان يفكر رضا وهو يخطو في طريق المقاومة باتجاه النصر الذي وعد الله عباده المؤمنين ومن المؤكد أن هذا الجيل أو الجيل الذي يليه سيشهد ساعة الانتصار واجتثاث الشجرة الملعونة.. من أرض البحرين الطاهرة..

الفصل الخامس

التقارير الأمنية تشير إلى نشاط واسع لشاب من مواليد شتاء ١٩٨٨ يسكن في منطقة بني جمرة، كان قد اعتقل في خريف العام الماضي، تم أفرج عنه في ٢٣ شباط-فبراير ٢٠١١.. إنه «رضا عبدالله عيسى الغسرة».. تؤكد التقارير الأمنية أن «رضا» يقود تنظيم شبابي..

أصبح رضا الغسرة المطلوب رقم واحد في «بني جمرة».. فترة اعتقاله في أقبية القلعة لم «تروّضه» ولم تكسر إرادته..

وحقًا ما قيل «الضربة التي لا تقصم الظهر تقويه».. المعاناة المريرة والتعذيب الجسدي والنفسي صقلته.. زادته ثباتًا..

عندما أفرج عنه بعد تسعة أيام من انطلاق «ثورة ١٤ فبراير» ووجد نفسه في ميدان اللؤلؤة عانى من حالة ذهول لكنها كانت قصيرة وتمكن أن يلتحم بالمسيرة ويندمج في ملحمة الاعتصام التاريخي بعد ساعات فقط من الإفراج عنه.. وها هو الآن مطارد من قبل مرتزقة النظام الخليفي..

بيتـه مراقـب وخطواتـه مطاردة.. اضطـر مع بعض رفاقـه للمبيت هنا وهناك ولم يكن هناك من يقدّم له المأوى والملاذ.. قوات «درع الجزيرة» القادمـة مـن نجد ومرتزقة النظام نشـرت الرعب فـي كل مكان.. هدمت المساجد وأحرقت عشرات المصاحف..

اضطـر رضـا ورفاقـه المطاردون للمبيت في بركة سـباحة.. رضا يشـعر بأنه ارتكب خطأ.. يجب أن نستأذن من صاحب البركة.. قال رضا ذلك..

صاحـب البركـة قام بقفل الأبواب في وجـوه المطاردين.. قال صادق معاتبًا: لويش استأذنت منه؟

أصبحوا بلا مأوى ولا ملاذ..

رضـا اختـار طريـق المقاومـة.. فـي النهـار كان يشـارك فـي جميـع الفعاليـات.. وعندمـا يحل المسـاء يبحث عن مكان ينام فيـه.. لقد اختار طريقـه الصعـب في الزمـن الصعب.. تعمّد الظهور مسـلّحًا هنـا وهناك.. كان يريد أن ينشر ثقافة المقاومة المسلّحة.. فهذا النظام الجائر لا يفهم إلا لغة القوّة..

سـرعان مـا أصبـح رضـا رمـزًا فـي «بنـي جمـرة» ونجـح رضـا في نشـر شعاره: «السلاح يقابل السلاح» والدفاع عن الأرض والعرض واجب على الجميع..

في لقاءاته الدورية رضا يتحدث ويصغي، ينظّر للمقاومة المسلحة:

- ارفعوا راية سيد الشهداء!

كانـت اجتماعاتـه عبارة عن منتديات فكريـة وعقائدية، وعندما يدور

النقاش حول مشروعية المقاومة المسلحة وتطرح بعض الآراء الفقهية.. كان يشعر بالألم والمرارة ويقول:

- لماذا تنتظرون فتاوى الفقهاء؟! وهذا القرآن بين أيدينا وأحاديث أهل البيت عليهم السلام! وهذا القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] عدوّنا قوي ومدجج بالسلاح وعلينا مواجهته بقوّة..
- علينا أن نردع العدو من خلال المقاومة المسلحة.. ومن دون المقاومة المسلحة سوف يستبيحون قرانا ومناطقنا.. هؤلاء جبناء ومن عادة الجبناء أنهم يصبحون أسودًا أمام الناس العزل من السلاح..
- لا نريد أن تكون أرضنا ومناطقنا مستباحة للمرتزقة يسرحون ويمرحون وينتهكون الأعراض والحرمات..
- يجب أن نقاومهم عندما يريدون اقتحام مناطقنا ومداهمة بيوتنا..
- يجب تحطيم هيبة هذا النظام الجائر.. يجب كسر جبروتهم..
- يجب أن نوجه ضربات استباقية لبعض النقاط الحساسة أمنيًا واقتصاديًا..
- يجب إرهاق أعصابهم وألا تتحول اقتحاماتهم ومداهماتهم إلى نزهة وجولة ترفيهية..
- يجب ألا يتصوروا أنهم يواجهون شعبًا مغلوبًا على أمره..

---

١. الأنفال: ٦٠

- يجب علينا أن نحوّل «بني جمرة» إلى نموذج للمقاومة والثبات..
- نحن نستمد عزتنا وقوتنا من سيد الشهداء.. أرض البحرين اليوم هي أرض كربلاء.. ونحن جنود وأنصار لسيد الشهداء..
- لا بد أن يأتي اليوم الذي يقيم فيه أهل البيت عليهم السلام حكومة العدل الإلهي ويمنّ الله سبحانه على المستضعفين فيورثهم الأرض ويكونوا هم القادة.. ويتحقق السلام في أرجاء العالم..
- أقولها بصراحة! قالوا: أين تكونون؟ قلت: حيثما كان الحسين! لأن التخلّي عن الحسين يحول نصرنا إلى هزيمة.. علمتنا كربلاء أن الحق حقٌّ ولو سحقته سنابك خيل الطغاة وإن الباطل باطل ولو بنى إمبراطورية..
- الشهادة سلاح لا يُقهر!

قوات من المرتزقة تتوجه نحو أحد البيوت في «بني جمرة».. في داخل كل إنسان يكمن بطل وجبان، ومنذ زمن بعيد تمكن النظام الأموي بقيادة معاوية من شراء الذمم والضمائر وها هم خلفاء معاوية من آل خليفة يجنّدون العملاء.. لينفذوا إلى دائرة قريبة جدًا من «رضا الغسرة»..

تلقت الأجهزة الأمنية للمرتزقة معلومات حول اجتماع للشباب في أحد البيوت في «بني جمرة»..

التقارير تفيد أن رضا الغسرة يقود تنظيم «إرهابي» للقيام بعمليات «تخريبية»..

دوهم البيت وكان فيه أكثر من عشرة مطلوبين.. بينهم «ياسر» شقيق رضا والضابط «علي الغانمي».. كان ذلك في ٥ أيار-مايو ٢٠١١ بعد أقل من ثلاثة أشهر من الإفراج عنه في أواخر شباط-فبراير..

سيق رضا إلى سجن «الحوض الجاف» ليتم تغييبه مدّة خمسة شهور كان خلالها يعاني كما يعاني غيره من المعتقلين من ظروف الاعتقال الكيفي المنفصل عن القضاء.. غير أن رضا في ظروف اعتقاله الثاني قد بدا أقوى إرادة وأشدّ عزيمة وأكثر صبرًا..

تمكّن من تهريب جهازه النقال.. وقد كان يهدف إلى كسر طوق الخوف في نفوس رفاقه.. كان يسخر من السجن والسجانين..

ومن المؤكد أنه كان يستمدّ قوّته من حبه للشهادة.. ثقافة عاشوراء هي التي منحته هذه الشجاعة، إن أشدّ ما يعاني منه المعتقل هو ليست الجدران الأربعة التي يشعر بقسوتها الإنسان السجين وإنما «الجدار الخامس».. إنه جدار الخوف القابع في أعماق الإنسان الذي يجد نفسه وجهًا لوجه أمام نظام دموي مدجج بالسلاح وبكل وسائل التعذيب!

وقد حطم رضا جدار الخوف في نفسه التي تشرّبت ثقافة عاشوراء.. ثقافة الحب الإلهي.. لأن الإنسان الذي يتشبث بالحياة بأي ثمن حتى لو كان ثمن ذلك التنازل عن كرامته وحرّيته..

في فترة الاعتقال كان يبث في نفوس رفاقه روح التحدي..

- نحن أصحاب الأرض.. الإنسان الشيعي هو صاحب هذه الأرض..

- آل خليفة هم الغزاة.. يريدون أن نشعر بأننا مواطنون من الدرجة الرابعة.. يمنحون الجنسية للآسيويين الغرباء ويعاملونهم كمواطنين من الدرجة الأولى وسكان البلد الأصليين.. ولكن هيهات.. فالحق ثابت باق والباطل زائل لا محالة..
- آل خليفة كآل سعود غصنان في شجرة بني أمية.. شجرة ملعونة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار..
- لا مكان للشيعي إلّا في القمة..
- علّمنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن يكون الشيعي الأكثر أمانة وصدقًا وإخلاصًا وولاءً لعقيدته والأكثر خدمة لبلاده وشعبه

بين الحين والآخر كان ضباط المخابرات يحاولون كسبه إلى جانبهم.. كانوا يدركون مدى تأثيره على الشباب.. وإذن فإن «شراءه» و«كسبه» و«تعاونه» معهم يعني القضاء على «حراك» هؤلاء الشباب..

قال الضابط بلهجة تقطر إغراءً:

- رضا! ابتعد عن هؤلاء وستخرج من السجن! وسنرفع عنك «المنع»

كان الضابط يلوّح بورقة «السفر».. وكان يبتسم ساخرًا..

في أيلول-سبتمبر تم الإفراج عن رضا ورفاقه.. كان صائمًا في الأسبوع الأخير من شهر رمضان المبارك.. خرج رضا لا ليركن إلى حياة الدعة والراحة وإنما إلى حياة الجهاد والمقاومة وقد استحالت قرية «بني جمرة» إلى قلعة عنيدة صامدة، كان المرتزقة يتهيبون دخولها..

- السلاح يقابل السلاح!

وفي الوقت الذي كان الجدل يحتدم في بعض القرى حول استخدام قنابل «المولوتوف» كان أطفال «بني جمرة» يواجهون المرتزقة بالقنابل الانشطارية التي كان يصنعها رضا..

استحالت «بني جمرة» إلى مسرح لعمليات المقاومة الباسلة..

وأدرك جلاوزة النظام أنهم يواجهون مقاومة منظمة وشبابًا مدرّبين..

خاطب رفاقه في أحد لقاءاته الدورية قائلًا:

- نعم للمقاومة التي ولدت من عيدان الثقاب ونمت بأموال الفقراء وجوع وحرمان المقاومين..
- تمسكوا براية سيد الشهداء.. فكرًا وعقيدة فهي سفينة النجاة «الأسرع والأوسع» في الدنيا والآخرة..

في تشرين الثاني-نوفمبر ٢٠١١ هاجم رضا الغسرة مركبة لقوات المرتزقة بـ«عبوة» متفجّرة عن بعد «قاذف» وقد فوجئت أجهزة الأمن بهذه العملية..

قررت أجهزة الأمن التكتّم على العملية، حتى لا تنتشر ثقافة المقاومة المسلحة إلى المناطق والقرى الأخرى!

رضا يعزز علاقاته مع الكثيرين.. يمدّ جسور التعاون مع المقاومين في المنطقة الشرقية، لقد عبرت قوات الاحتلال السعودي الجسر لتغزو أرض البحرين وتقهر شعبها، فليعبر هو إلى أرض الحجاز ويلتحم مع أخوته في النضال والجهاد ضد العدو الأموي الدموي!

كان على اتصال مستمر مع «عبدالله سريح»[1] و«خالد اللباد»[2] و«حسين الفرج»[3] وغيرهم من شباب المقاومة في المنطقة الشرقية التي تعاني من بطش آل سعود..

ينظر إلى «الشيخ نمر باقر النمر» بإجلال.. أنه شيخ المجاهدين و«أبو ذر» الذي نهض بوجه الأمويين الجدد القادمين من نجد.. من تلك الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان!

رضا يعمل بصمت وشعاره كلمات الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن قدرت ألّا تُعرف فافعل! وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس، إذا كنت محمودًا عند الله»[4]

«كونوا لنا دعاةً بغير ألسنتكم»

رضا يستمد قوته من قوّة الحق.. وكان يعي جيدًا أن المظلوم هو الذي سينتصر في نهاية الصراع؛ ولقد كان سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام هو رمز انتصار الحق المقهور.. كم تألم عندما لاحظ البعض يتخلّون عن راية الحسين مع علمهم بأنها راية الحق؛ ولكنها السياسة التي سلبت الناس دينهم إرضاءً للغرب.. ألم يقل محرر الهند غاندي: «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فانتصر»!

- إن من يملك الشهادة لا يمكن أن يُهزم

١. استشهد بتاريخ ٢٣-٤-٢٠١٩م

٢. استشهد بتاريخ ٢٦-٩-٢٠١٢م

٣. استشهد بتاريخ ٢٠-٢-٢٠١٤م

٤. الكافي، الشيخ الكليني، الجزء الثاني، صفحة ٤٥٦

- ومن أجل هذا وجّه الإمام الحسين رسالته من أرض كربلاء إلى عموم بني هاشم وإلى قوافل الأجيال: «من لحق بي استشهد ومن تخلّف لم يبلغ الفتح»

في تلك الليلة الخريفية وكانت نسائم السحر ندية تثير مشاعر الحنين في نفوس العاشقين.. نهض رضا لصلاة الليل.. همس في مناجاته:

- يا من توحّد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء! اجعل موتي شهادةً في سبيلك!

يؤمن رضا أعمق الإيمان أن العالم يتجه إلى دولة آل محمد وأنه يتعيّن على الإنسان المؤمن أن يمهّد الطريق لحكومة أهل البيت.. وأن الشهادة من الأمور التي تسهم في تمهيد الطريق.. عجيب أمر هذا الشاب.. حتى الشهادة لم تكن هدفه وغايته وإنما وسيلة لتحقيق الغاية الكبرى في إقامة دولة العدل الإلهي حيث تنعم البشرية بالخصب والعدالة والأمن والسلام وذلك عندما يأذن الله سبحانه وتعالى لوليه بالظهور ويبدأ الفصل الأخير من نهاية التاريخ..

آذار-مارس ٢٠١٢

في ربيع ٢٠١٢ استشهد فاضل العبيدي وهو في ربيع العمر.. قرر رضا المشاركة في تشييع الشاب الباسل مسلّحًا.. كان يوجه رسالة صريحة إلى جيله.. يريد أن يقول لشباب البحرين.. إن الطريق إلى الخلاص والحرية يكمن بإعلان الحرب.. هذا النظام الأموي الدموي لا يفهم إلّا القوّة..

انتشرت صورته وهو يحمل السلاح وهو يستند إلى نخلة في مواقع

التواصل.. كانت رسالة واضحة إلى جيل الشباب أن يبادر إلى حمل السلاح لطرد الغزاة الغرباء.. وكانت في نفس الوقت رسالة إلى آل خليفة تقول لهم: نحن هنا كأشجار النخيل.. جذورنا في هذه الأرض.. عروقنا كعروق النخيل.. أما أنتم فغرباء ستلفظكم هذه الأرض لأنكم شجرة ملعونة اجتثت من فوق الأرض ما لكم من قرار..

أنا رضا الغسرة سأقاومكم واتحدّى جبروتكم.. وفي النهاية إذا قدّر لي أن أموت فسأموت واقفًا كالنخيل..

كثّف رضا التواصل مع ابن «الدراز» حسين البناء الشاب الباسل.. ومع غيره من الشبّان الثوار الذين وعن وعي اختاروا السير في الطريق الذي سارت فيه قافلة سيد الشهداء..

اليوم أرض البحرين هي أرض كربلاء وملحمة الصراع مع نظام آل خليفة الغرباء الغزاة هي امتداد لملحمة عاشوراء الخالدة؛ ولهذا كان رضا يشدّد على رفع راية الحسين في مواكب تشييع الشهداء..

انتشرت صورة رضا يحمل سلاحه ويستند إلى نخلة في شارع «البديع» حيث سار موكب تشييع الشهيد فاضل العبيدي.. بدا وكأنه يواجه الجيش الخليفي المدجج بالسلاح..

صدرت الأوامر السرّية بضرورة القبض على «رضا عبدالله الغسرة» وبدأت التقارير ترد على الأجهزة الأمنية.. تترصد تحركاته وتطارد خطواته.. تلقت مكالمات من أحد عملائهم حول اجتماع في أحد البيوت في «بني جمرة» وعلى الفور تحركت قوة أمنية تحت جنح الظلام.. لمداهمة المكان واعتقال المطلوب رقم واحد.. انتبه رضا في

اللحظات الأخيرة فأشار إلى رفاق الدرب بالخروج فورًا من البيت، وبدأت المطاردة.. رضا ورفاقه يركضون وعناصر المرتزقة يطاردونهم شاهري السلاح وكانت أزقة القرية مسرح المطاردة.. خاطب رضا رفاقه بمواصلة الجري.. أما هو فوقف عند نهاية الزقاق في الزاوية عند المنحنى وكانت فوهة سلاحه مصوبة نحو العدو، وعندما أصبح قريبًا فتح النار عليهم.. وانبعثت صرخاتهم تشق سكينة الليل وهم يتساقطون صرعى.. الكثيرون في تلك الليلة سمعوا أزيز الرصاص.. وبعد دقائق سمعوا صفارات سيارات الإسعاف!

في تلك الليلة ارتسمت في خيال الكثيرين صورة للشاب البحراني الشجاع الذي يواجه وحيدًا نظامًا مدججًا بالسلاح!

ولأنه رائد المقاومة المسلحة كان عليه أن يصنع العبوات بنفسه وكان عليه أن يزرع ما يصنع تحت أقدام الغزاة.. لهذا كان قريبًا من الشهادة.. قريبًا جدًا!!

انفجرت إحداها في مخبأه.. كان يريد بها مواجهة المرتزقة إذا ما اكتشفوا مكان اختبائه.. وأخرى انفجرت قريبًا منه بعدما زرعها في طريق المرتزقة!

حصل المرتزقة على معلومات حول تواجده في أحد البيوت.. كان المرتزقة قد ضربوا طوقًا على الحي وبدأوا بتمشيط البيوت.. تلقى رضا اتصالًا من أحد رفاقه يحذره من الاعتقال!

قال رضا بكل طمأنينة:

- لا مجال للاعتقال.. الشهادة أقرب من أن يعتقلوني!!

رضا يؤمن أشدّ الإيمان بأن على المرء ألا يموت دون معركة.. قال لرفيقه وهو يحاوره:

- إذا دشّوا عليّ.. بسوّي فيهم مجازر!!

رضا يتحدى الموت.. ينظر إليه كما ينظر المرء إلى قنطرة يعبر من خلالها النهر إلى الجانب الآخر.. ولأنه يترسّم خطى أهل البيت عليهم السلام فقد كان واثقًا من النهاية..

رضا يؤمن إيمانًا عميقًا أن حقيقة الإسلام تكمن في مذهب أهل البيت.. بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.. الضمان الأكيد في عدم الانحراف والضلال في دار الدنيا؛ وهم الشفعاء عند الله في الدار الآخرة.. من أجل هذا كانت يتوجّه بكل وجوده إلى كربلاء ويقرأ زيارة «عاشوراء» وتدمع عيناه وهو يقول:

- اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود وثبّت لي قدم صدقٍ عندك مع الحسين وأصحاب الحسين

ولهذا كان يوصي رفاقه في دربه الدامي المرير:

- كونوا على العهد وقووا أنفسكم بالتقرب إلى الله وأهل البيت فهم الوسيلة في ذلك.. وليس هناك نجاح إلّا بالتقرب بهم!
- تعلمنا إنك إن لم تشهر سلاحك من جرحك الدامي، صرت رقيقًا في سوق نخاسة لا تعرف الرحمة

يؤلمه كثيرًا ما يلاحظه أحيانًا من صراعات داخل «البيت» لهذا يقول بمرارة:

- لازم ما نستنزف طاقتنا في التصارع فيما بيننا؛ في حين أن الواجب علينا أن نوظف كل جهدنا في سبيل تحقيق الهدف المنشود..

١٨ نيسان-أبريل ٢٠١٢

كانت التقارير الأمنية تشير بأصابع الاتهام في الغالب إلى «رضا الغسرة» في كل عملية «تخريب» أو «تفجير».. كانت نتائج التحقيق تؤكد تورط «رضا الغسرة» ومشاركته في التخطيط والتنفيذ.. أصبح المطلوب رقم واحد.. مخابرات جهاز الأمن الوطني تطارد خطواته في كل مكان.. وكان رضا سريع التنقل من مكان إلى آخر.. كان يسبقهم بخطوة.. وبالرغم من عنف المطاردة.. فقد كان دائم الحضور في جميع الساحات والميادين..

نصبت له كمائن عديدة للإيقاع به.. لكنه كان يفلت إلى أن شاء القدر أن يقع في قبضة المرتزقة الذين حاصروا المنزل بإحكام ولم يتركوا للمطارد ثغرة للإفلات.. أراد رضا إغلاق الباب بوجوه المهاجمين.. أحدهم دفع برجله ليحول دون إغلاق الباب.. أمسك برجل «رجل» الأمن وأراد جرّه إلى الداخل.. لكنّ عناصر الأمن تداركوا صاحبهم.. وجرّوه..

وأخيرًا تفوّقت الكثرة على «القلب الشجاع» هذه المرّة حيث تكاثروا عليه وأحاطوا به كالذئاب الكاسرة..

قُبِض على جميع الشباب في المنزل.. راحوا يتفحصون الأسرى..

يبحثون عن صاحب الكف اليمنى ذات الأصابع الأربعة!

ما إن تأكدوا من اعتقاله حتى انهالوا عليه ضربًا.. وتوافدت قطعان الذئاب إلى مكان الاعتقال.. هبطت مروحية في القرية.. وترجّل منها أحد الضباط.. وعندما دخل المنزل، والتقت عيناه بعيني الأسير الباسل صرخ بوجهه وهو يكشف عن صدره:

- هذه إصابتك.. وقد أعاقتني عن الخدمة!

سيق الأسير إلى التحقيق تحت إشراف التحقيقات الجنائية.. وبعد انتهاء التحقيق الأولي نقلوه إلى سجن الحوض الجاف حيث أمسك بزمام المبادرة وراح يبث روح الجهاد الأكبر في نفوس رفاقه وأهل قريته:

- لا تعتقدوا أن جهادكم قد انتهى.. أنتم ما تزالون في الجهاد.. انتقلتم من الجهاد الأصغر وهو مواجهة العدو.. لقد بدأت مرحلة الجهاد الأكبر «جهاد النفس»

- استعينوا بالصبر! عليكم بالصبر!

- لا يوجد مكان يعلّم الإنسان الصبر مثل السجن..

- القرآن الكريم خير جليس..

- لا تتبعوا الهوى، فتضّلوا السبيل.. وسبيلكم إلى الله هو أهل البيت!

وسمحوا لأهله بزيارته.. قال لأمه وأخواته وهو يتحدث عن نفسه وإخوانه والشهادة:

- لا بد من استشهاد أحدنا! هيأوا أنفسكم لهذه الحتمية!

قالت أمه:

- نحن نتمنى لكم الشـهادة.. ولكن مع القائم من آل محمد عجل الله فرجه!

قال رضا:

- استشهدُ الآن لأرجع مع الحجة واستشهد مرّة أخرى

يؤمـن رضـا أن عـودة أهل البيـت ورجعتهم أمر حتمي وسـوف تزدهر الأرض.. كل الأرض فـي ظـلال قيادتهـم.. إنـه يتطلـع إلـى هـذا الحلـم الأخضـر.. يـوم يـورث الله الأرض عبـاده الصالحيـن.. وتشـرق الأرض بنور ربهـا.. وتلـوذ الأم بالصمت وتدعو الله في قلبها أن ينصره في صراعه ضد عدوه..

ويمرّ أسبوعان على الاعتقال.. قال رضا لرفاقه وهو يبتسم:

- حرّر نفسك بنفسك!

نظر بعضهم في وجوه بعض! ترى ماذا يقول رضا؟!

٨ أيار-مايو ٢٠١٢

مـرّت أسـابيع ثلاثـة علـى اعتقـال رضـا بالضبـط.. فـي اليـوم الثانـي والعشـرين علـى اعتقاله بـدأ توافد عوائل المعتقلين على سـجن الحوض الجاف لزيارة ذويهم من الشباب..

السلطات الأمنية كانت تهدف من وراء هذه الزيارة إلى إثارة عواطف الشـباب وحنينهم إلى حياة الحرّية والتخلّي عن «العناد» والانصراف إلى

الحياة بعيدًا عن السياسة..

غير أن رضا قالها بصراحة وعناد:

- هذا أنا! لن انحني!

انتهت الزيارة العائلية.. وغادرت العوائل مبنى السجن.. واختفى «رضا عبدالله الغسرة».. بحثوا عنه هنا وهناك.. لكن دون جدوى..

هنالك أدرك رفاق الدرب ماذا كان يعني رضا من قوله: «حرّر نفسك بنفسك»!

وبقيت التساؤلات تطفو في أذهانهم كالفقاعات: كيف تمكّن رضا من الهروب؟!

كيف استطاع أن يحرّر نفسه من الأسر؟!

في الثامن من أيار-مايو ٢٠١٢ فرّ رضا الغسرة من سجن الحوض الجاف..

تمكن الأسير من تحرير نفسه ليخوض معارك جديدة في ميادين الصراع المرير ضد النظام الخليفي الأموي الدموي..

الفصل السادس

رضا يبدأ مرحلة جديدة من الصراع.. اختفى رضا عن الأنظار ولم يعد يشاهده أحد في الميادين.. رضا ينتقل من مكان إلى آخر.. استحال إلى لغز لدى الدوائر الأمنية.. أصبح شبحًا وهاجسًا مقلقًا لدى أعدائه..وحلمًا ملهمًا لدى أحبته وجيله..

كسر هيبة النظام الخليفي في هروبه من سجن الحوض الجاف بعد ثلاثة أسابيع فقط من اعتقاله!

«رضا الغسرة» يشنّ غاراته هنا وهناك.. يرفع راية الحسين في كل مكان..

لديه رفاق يساندوه.. يترصدون خطوات العدو أينما يقرر الذهاب.. هناك من يترصّد له المكان الذي سيقصده والذي سيصبح مسرحًا لعملياته البطولية؛ بل أنه بات أكثر حذرًا من ذي قبل، فقد يتطلّب منه العمل المرور بمكانٍ ما.. عليه أن يتأكد من خلوّه من مرتزقة النظام.. ينتظر الضوء الأخضر من رفاق الدرب..

تبلـورت لديـه خارطة أمنية.. ومن خلالهـا كان ينظّم تحركاته ويوقت عملياته!

كان المطلوب الأول.. جهاز أمن الدولة يبحث عنه ويطارد خطواته.. عاش رضا في الزمن الصعب واتخذ القرار الصعب..

لـم تكـن الحاضنـة الشـعبية فـي الغالب تستسـيغ قـرار الحـرب الذي اتخذه رضا الغسرة..

كانت الحاضنة الشـعبية أقرب إلى الخذلان منها إلى تمجيد التضحية وما يزال المجتمع ينظر إلى «رضا» نظرة ليس فيها أي نسبة من «الرضا»..

لكـن رضـا كان ينظـر إلى المسـتقبل.. ولأنـه كان قادمًا مـن هناك فقد كان لا يكترث إلى من يتحدث عنه بسوء..

كان يصغي إلى صوت قادم من هناك:

- إن الدنيـا قـد تغيّـرت وتنكّرت وأدبر معروفها، ولـم يبقَ منها إلا صبابـة كصبابـة الإناء، وخسـيس عيش كالمرعـى الوبيل.. ليرغب المؤمن في لقاء الله! فإني لا أرى الموت إلّا سـعادة والحياة مع الظالمين إلا برما

آل خليفة يريدون مسـخ هوية هذا البلد.. يشـيعون الفسـاد في حياة الشـباب.. بيـوت دعـارة محليـة وأخـرى مسـتوردة.. يجنسـون الغربـاء وينتزعون الجنسية من أهل البلاد الأصلاء!

مـن أجـل هذا نهـض رضا وحمل السـلاح من أجـل العدالة والسـلام، فإمـا حياة تسـرّ الصديق وإما ممات يغيـظ العدا.. ولأنه لا معنى للحياة

مـن دون كرامـة ومن دون حريّـة.. فالنهاية المرّة هي أفضل ألف مرّة من مرارة بلا نهاية..

«رضـا» لا ينظـر إلى الموت الدامي على أنه نهاية مرّة.. فالشـهادة في سبيل الله أحلى من الشهد.. والشهيد لا يموت.. إنه خالد إلى الأبد!

هـذا هـو المخزون المكنون الذي يموج في أعماق ذلك الشـاب الذي يهتف من أعمق أعماق وجوده: لبيك يا حسـين.. نهض يواجه آل خليفة خلفاء بني أمية..

دخلـت مخابـرات الجيـش على خـط المواجهة لاعتقالـه.. يخططون لاغتياله! بعد أن أصبح المطلوب الأول حيًّا أو ميتًا..

زادت وتيـرة العمليـات التي يقـوم بتنفيذها.. وكان بعضها في شـوارع حساسـة جـدًا.. لـم يخطـر فـي بـال الدوائـر الأمنيـة أن أحدًا يجـرؤ على الاقتراب منها..

رضا يشن الحرب على نظام آل خليفة ويعلنها بصراحة:

- لقد ولّى ذلك الزمن الذي نقدّم فيه خدنا الأيسر لمن يلطم خدنا الأيمن!
- علـى العـدو أن يسـتعد لدفـع الثمـن إذا ما فكر أن يطـأ أرضنا أو يمس عرضنا وقبل ذلك أن يتعرّض لعقيدتنا!

حمـل روحـه علـى كفّه وخـاض المعركة ضد آل خليفـة وكل طواغيت الخليج.. قالها صراحة:

- من أجل الدين ومن أجل شهداء القطيف والعراق وشهداء سوريا

ولبنـان وكل شـهيد قتلـه الإرهـاب الخليجي.. أنا أرفـض الخضوع لطواغيت الخليج مهما كان الثمن!

بات رضا أكثر حذرًا لذلك كان يقول:

- المعلومة على قدر الحاجة لا على قدر الثقة

٦ حزيران-يونيو ٢٠١٢

تمكنـت عناصـر المخابرات من التوصل إلى المـكان الذي يتواجد فيه رضا الغسرة..

كانت أجهزة الأمن قد تمكنت من تجنيد أحد أصدقاء رضا المقربين.. بل كان صديق طفولته . وعدوه بإسقاط جميع القضايا التي أُدين فيها!

تلقـت الدوائـر الأمنيـة معلومات أكيـدة حول تواجد رضا الغسـرة في شقة سكنية في منطقة «المالكية»!

وعلى الفور تحركت قوّة مسلحة لتطوق المكان قبل مداهمة الشقة.. كان رضـا مسـتعدًا للمواجهة.. أصبعه على الزنـاد كما يقال وجرت معركة ضاريـة.. خاضهـا رضـا بالرصـاص وبالسـلاح الأبيـض.. ذئـاب المخابـرات تحاول القبض عليه وتشـدد الحصار لكنه اسـتطاع كسـر الطوق والإفلات بعد إصابته بجروح شبه بليغة..

ذئاب المخابرات تستشـيط غضبًا وتسـتعر حقدًا بعد أن مرّغ أنوفهم بوحل الهزيمة.. يشنون حملة على مزرعته وعلى بيته لترويع أهله .

مرّت أيام.. كان رضا الغسرة يداوي جراحه..

١٤ كانون الأول-ديسمبر ٢٠١٢

تكون الطعنة أكثر إيلامًا عندما يطعنك صديق الطفولة في الظهر! وأنت في غمرة الصراع..

انتبه رضا إلى تغيّر في سلوك «س» صديق الطفولة.. بعدها تأكد لديه أنه يتعاون مع مرتزقة النظام.. صديق الطفولة ورفيق الدرب كان معه في المعتقل.. لكنه لم يواصل الطريق وتخلّى عن مرافقة الصديق؛ بل رضي أن يطعن صديق طفولته من الظهر..

تأكد رضا من تواصل (صديقه) مع ضباط المخابرات.. كيف عرف رضا بهذه الخيانة والعمالة للنظام.. لا أحد يدري! رضا ليس من النوع الذي ينشر هذه المواضيع.. أنه ينظر إليها كقضايا عائلية.. لا يريد أن ينسف حالة الثقة داخل البيت البحراني..

نسائم أخريات الخريف تهب نديّة.. تبشر بشتاء بارد.. كان رضا مع شقيقه وكان صديقه عقيل يجلس خلف المقود..السيارة كانت مركونة في زاوية بعيدة نسبيًا عن أنظار العابرين.. وفي الأثناء مرّ «صديق الطفولة» ولاحظ السيارة المركونة.. تظاهر أنه يواصل طريقه.. بعد دقائق معدودة تلقى عقيل اتصالًا من ذلك الصديق «اللدود» وسأله عن مكان تواجده.. كان يريد التمويه فقط!

بعد دقائق ظهرت باص ١٦ راكب تتجه بسرعة لتقف بمحاذاة السيارة المركونة.. تقافز من داخلها المرتزقة.. وفتحوا النار على السيارة..

بادر عقيل فأدار مفتاح السيارة لتنطلق.. الرصاص ينهمر على السيارة.. أصابت رصاصة كتف رضا ومزقت رصاصة شوزن وجه عقيل ويده

اليسرى.. لكنه واصل قيادة السيارة لمسافة قصيرة.. قفز رضا ليجلس وراء المقود وهي ما تزال تنهب الشارع..

قاد رضا السيارة بأقصى سرعة إلى إحدى المزارع.. عقيل على وشك أن يفقد الوعي..

أجرى شقيق رضا عدة اتصالات وطلب المساعدة لنقل الجريح للمستشفى..

حوصرت القرية! تمهيدًا لتمشيطها..

قام رضا وشقيقه بنقل عقيل إلى مكان بعيد عن السيارة.. وافق شخصان على الحضور لنقل عقيل وكان في حالة حرجة جدًا لكنهما تأخرا بسبب الوضع الأمني.. بادر رضا وشقيقه لنقل عقيل إلى أحد المنازل القريبة، وبعدها واصل هروبه إلى المزارع وتمكن من استخراج رصاصة الغدر.. دوهمت بعض الأحياء وتفتيش المنازل التي يُشك في اختباء رضا فيها!

كثيرون جدًا فرحوا بنجاة رضا.. وجوده على قيد الحياة يعني استمرار الأمل متوهجًا كشمعة تبدد ما حولها من الظلام! ولد الأمل في قلوب الباحثين عن بطل يواجه النظام.. ها هو رضا الغسرة يخوض المعركة.. ما يزال يقود «تنظيم ١٤ فبراير» بعزم لا يلين وإرادة مستمدة من «ثقافة عاشوراء».. ثقافة الحب الإلهي.. حيث تتجلّى معاني الكرامة والعدالة والإنسانية..

انتشرت قصة المواجهة ونجاة رضا الغسرة من محاولة الاغتيال

بأعجوبة! مواقع التواصل الاجتماعي تتحدث وتعلّق على ما جرى.. كتب أحدهم:

- يذكرني رضا الغسرة بشيخ الأنصار حبيب بن مظاهر الأسدي.. كان ينشد الشهادة على مدى سنين طويلة.. خاض معارك عديدة.. وفي كل مرّة كان يشعر بالحسرة على فوات الشهادة.. وأخيرًا وفقه الله للشهادة الكبرى تحت راية الحسين..

إن رضا كان قريبًا جدًا من الشهادة.. صادفها وجهًا لوجه في العديد من المواقف البطولية.. إلا أنها كانت تفوته في كل مرّة.. يخيل إليّ أن الله سبحانه قد ادّخره لشهادة دامية مدوّية ستبقى حديثًا للأجيال..

تتجمع الدموع في عينيه كغيوم ممطرة.. لقد فاتته الشهادة.. الحسرة تموج في أعماقه.. حقًا ما قاله أحد الخالدين:

- عندما تنتهي المعركة يخسر الجميع ويفوز الشهداء

رضا يتفقّد صديقه ورفيق دربه الدامي المرير «عقيل عبد المحسن».. لقد مزق الرصاص الانشطاري وجهه.. دمعت عيناه وهو يدعو الله سبحانه له بالشفاء..

تنفس الصعداء بعد أن تأكد من سلامته.. قالوا له أن حالته مستقرّة الآن ولا خوف عليه..

وتمرّ أيام ساد فيها «الهدوء».. مرتزقة النظام ما يزالون يبحثون عن «القلب الشجاع»..

نعم ساد «الهدوء» لكنه كان الهدوء الذي يسبق زمجرة «العاصفة»..

١٣ أيار-مايو ٢٠١٣

انطوى عام ٢٠١٢ وبدأ عام ميلادي جديد، منذ نهايات العام الماضي كان رضا الغسرة يعمل بـ«هدوء» يعمل بـ«صمت»..

إذا أردت للمقاومة أن تستمر.. فعليك أن تؤسس لاستمرارها.. عليك أن ترسي دعائم ثقافية أن توقد شعلتها ومن دون الزيت المقدس ستنطفئ وتنتهي ويسود الظلام الدامس الغارق في برودة الموت.. السياسة موسم حصاد.. السلاح يحتاج إلى سواعد.. إلى قلب شجاع يستمد نبضه من شعلة الإيمان..

آمن رضا الغسرة بالنهج الحسيني طريقًا للمقاومة.. تشرّب ثقافة عاشوراء..

من الصعب أن تدرك الطريقة التي يفكر بها رضا الغسرة الذي بلغ الخامسة والعشرين من ربيع العمر.. إذا أردنا أن نفهم ذلك الشاب الذي أدار ظهره للدنيا.. علينا أن نصغي إليه وهو يتلو آيات كتاب الله وقرآنه المجيد.. أن نصغي إليه وهو يولّي شطره إلى كربلاء ويقرأ زيارة عاشوراء.. أو عندما يقرأ «الزيارة الجامعة» ودعاء «العهد» و«دعاء الندبة»..

اهتم رضا بالاحتفال بذكرى انطلاق ثورة ١٤ فبراير وإعلان التضامن مع رمز الثورة المعلم عبدالوهاب حسين الذي ما يزال يرزح وراء القضبان منذ شهور طويلة.. والاحتفال بذكرى السبت الأسود واجتياح قوات درع الجزيرة السعودية التي أدارت ظهرها لفلسطين وجاءت لقمع الشعب البحريني وكذلك الذكرى الأولى لانطلاق المقاومة الإسلامية المسلّحة..

في بلدته «بني جمرة» كان رضا وراء ظهور تجمع تحت عنوان

«أشبال المنهج الحسيني المقاوم».. كان ينظر إلى الأفق البعيد فبادر إلى صنع جيل مقاوم فالطريق طويل.. طريق المقاومة وتحرير الوطن وتطهير الأرض من دنس الغزاة القادمين من نجد.. من الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان!

ولم ينسَ رضا جيله المقاوم فأسس «كتيبة القائم».. اسم يشعّ بوهج الأمل القادم من المستقبل ونهاية التاريخ..

«رضا الغسرة» الشاب الذي ناهز من العمر خمسة وعشرين سنة رمز الجيل المقاوم.. مثال الإنسان الشيعي الذي يعي جيدًا طريقه في الحياة.. قلبه الشجاع يتلقى إشراق القيم والمبادئ التي تسطع في كربلاء من شمس عاشوراء.. من عمق التاريخ المضمخ بدماء الكرامة الإنسانية..

ومن وهج المستقبل المفعم بالأمل بغدٍ أخضر ينتظر مسيرة الإنسانية..

هكذا كان يفكر رضا الغسرة عندما أسس «أشبال المنهج الحسيني المقاوم» و«كتيبة القائم»..

الشعب البحراني سيظل يقاوم.. سيظل يحلّق عاليًا لأنه يطير بجناحين.. جناح أحمر مضمخ بلون دماء الحسين وجناح أخضر مفعم بلون جنات الفردوس بلون الأمل لظهور القائم من آل محمد وأبناء الحسين!

هنالك ترفرف راية العدالة وتشرق الأرض بنور ربها ويسود الصفاء ويعمّ السلام..

إن شـعبًا يؤمـن بالحسـين ويرفع راية الحسـين وهو يعـدّ العدّة لقيام نجل الحسـين لن يخضع للظلم ولن يرضى بحياة الذل وسـيكون القتل له عادة وكرامته من الله الشهادة..

أمضـى رضـا كعادتـه وقت ما بين الطلوعين جالسًـا فـي مصلّاه.. كتلة من الهدوء والسكينة..

زار الإمـام الحسـين وبعينيـن مخظلتيـن بالدمـوع يقرأ زيارة عاشـوراء، ومن كل خليّة في وجوده سأل الله سبحانه:

- اللهـم ارزقني شـفاعة الحسـين يوم الورود وثبّت لـي عندك قدم صدقٍ مع الحسين وأنصار الحسين

«يا من أرجوه لكل خير! وآمن سخطه عند كل شر! يا من يعطي الكثير بالقليـل! يـا مـن يعطـي مـن سـأله! يا مـن يعطي من لـم يسـأله ومن لم يعرفه! تحننًا منه ورحمة! اعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة!»

واختتم دعاءه:

- اللهم كن لوليك الحجة بن الحسين صلواتك عليه وعلى آبائه في هـذه السـاعة وفي كل سـاعة وليًـا وحافظًا وقائدًا وناصـرًا ودليلًا وعينًـا حتى تسـكنه أرضـك طوعًا وتمتعه فيها طويـلًا.. وتجعلني من أعوانه وأنصاره ومن المستشهدين بين يديه!

اتصـل علـى والدته وطلب منها كعادته أن تدعو له، ودعت له بالنصر كعادتها..

حمل سلاحه وتوجه إلى الهدف.. قوة عسكرية من المرتزقة متمركزة عند كوبري القدم.. وحده يشنّ هجومًا صاعقًا وامتزج أزيز الرصاص مع صرخة القلب الشجاع: يا زهراء!

وكانت المفاجأة المرتزقة الجبناء يفرّون مذعورين كالجرذان!

قليل من الحق يهزم الكثير من الباطل! وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله!

جرت اتصالات، وطارت تقارير المخابرات؛ «هجوم على كوبري القدم» «نقطة أمنية تتعرض إلى هجوم إرهابي»!

أما رضا فقد عاد إلى «معسكره» في بيت من بيوت «بني جمرة» وعاد الهدوء المشوب بالحذر!

الأجهزة الأمنية تعدّ العدّة للرد؛ حصلت على معلومات حول وجود مطلوبين في أحد منازل «بني جمرة»..

تحركت قوات أمنية مؤلفة من عناصر المخابرات تساندها طائرة مروحية وقوات الكوماندوز.. القوات المدججة بالسلاح تقتحم البلدة وتثير أجواء الرعب وتحاصر أحد المنازل.. وفي المنزل نسوة وحرائر.. المرتزقة الغرباء ينتهكون الحرمات.. النسوة يقفن في وجوه أزلام آل خليفة الأمويين.. أصداء الشجار يعلو في الفضاء.. ينتقل إلى مواقع التواصل.. حتى صرخات الحرائر تصل إلى أسماع العالم الافتراضي.. الخبر العاجل يطير هنا وهناك.. صدى الحوادث الساخنة..

يطرق أسماع «رضا الغسرة»؛ دوّت كلمات الشيخ المجاهد نمر باقر

النمر في وجدانه: «دافع عن عرضك حتى لو كان في ذلك سفك دمك»

هنالك نهض رضا الغسرة.. أمسك ببندقيته المقاتلة وانطلق صوب «أرض المعركة»..

وحده برز للمواجهة.. رأى أطفالًا ونساءً وصراخًا.. أطلق زخة من الرصاص في الهواء إيذانًا ببدء الهجوم..

الجبناء يتقافزون إلى سياراتهم ويولّون الأدبار.. ويقترب وقد أشرقت ابتسامة النصر في محيّاه.. الأطفال ينظرون إلى «البطل» وعلت في الفضاء زغردة النساء!

وطارت أنباء المعركة في مواقع التواصل.. «رضا الغسرة» يلج في وجدان الشعب بطلًا باسلًا وقلبًا شجاعًا.. إنه بلا شك أحد أنصار الحسين وقد جاء إلى أرض كربلاء الجديدة!

سيبقى يوم ١٣ أيار-مايو ٢٠١٣ يشعّ في وجدان «بني جمرة» إلى ما شاء الله..

كثّفت المخابرات نشاطها في مطاردة خطوات «رضا الغسرة».. راحت تضيّق عليه الخناق.. ومع ذلك كان يعمل ويخطط ويخوض الصراع في أكثر من جبهة.. يستمد العزم والإرادة من عمق التاريخ.. من تلك الملحمة الكبرى على شطآن الفرات في وادي صفين وفي أرض الطفوف.. في عينيه حزن مقدس.. حزن حسيني يشعّ في أعماقه الصفاء والسلام.. يتطلع بأمل إلى المستقبل الأخضر القادم من هناك..

«رضا» في إحدى الشقق السكنية في «بني جمرة».. المرتزقة

يطـاردون خطواته.. يكتشـفون مكانـه.. يحاصرون المبنى.. «رضا» يشـهر بندقيته المقاتلة ويفرق جمعهم وتمكن من كسر الطوق والإفلات..

«رضا الغسرة» يتوارى عن الأنظار.. فرّ إلى جهة مجهولة..

الفصل السابع

«رضا الغسـرة» ينتقل من مكان إلى آخر اضطرته الظروف الأمنية إلى أن ينـام في السـاحل.. يجـري اتصالات مع رفاق الـدرب.. يتصل أحدهم بـ«سيد مرتضى»..

مـن أرض المهجـر يتواصـل مـع أحـد أخـوة المسـيرة فـي «الداخل».. وأخيرًا وجد «رضا» مكانًا آمنًا في قرية «سـند».. شـقة سـكنية سـرعان ما استحالت إلى مقرّ للقيادة..

يمضـي «رضـا» سـاعات من الليل فـي التخطيط.. لتنفيـذ عملية تحرير الأسـرى في سـجن «الحوض الجاف».. تسـعة أسـرى من شباب المقاومة يرزحون في السجن من بينهم شقيقه «ياسر»..

كان يضع اللمسـات الأخيرة على مخططه.. كان قد اسـتغل جلسـات المحاكمة فأوصل إلى شـقيقه «مفل البراغي».. كان رضا يختار الأشـخاص بدقـة.. يحتـاج الأمـر إلـى أشـخاص شـجعان.. تظاهر هذا الشـخص بأنه يـودع أحـد المتهميـن فأوصل إليه «المفلّ».. رضا يتابع مع شـقيقه جميع

التفاصيل؛ عليهم أن يهربوا من خلال فتحة المكيف وبعدها تسلّق الجدار إلى «شركة الرمل» ومنها إلى الشارع العام حيث تنتظرهم سيارة.. كان رضا يراقب الطريق من جهة «شارع الحد».. كان رضا يتحرك ولم تكن له نقطة ثابتة.. ونجحت الخطة وتم تحرير الأسرى من جحيم الحوض الجاف.. وكانت صفعة للنظام الأموي..

كان يتواصل مع رفاق الدرب باستمرار.. شباب باسل آمن بـ«رضا الغسرة» قائدًا ورمزًا.. يتصل رضا على هذا وذاك.. تتحرك سيارة «بيكب» تحمل صناديق «موز» مشحونة بالسلاح.. ملابس محملة بالعتاد.. يتم تسليمها إلى أشخاص.. رضا يقود المقاومة المسلحة ضد نظام إجرامي لا يفهم سوى لغة القوّة.. «شعار رضا»: لا مجال للاعتقال الشهادة أقرب..

رضا يخطط لاغتيال أحد الضباط الذين تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء.. اجتمع مع إخوانه في طريق النضال.. وبدأ العد العكسي لساعة الصفر.. قبل أقل من يومين على التنفيذ قررت السلطات الإفراج المؤقت عن رمز الثورة الأستاذ عبدالوهاب حسين فرج الله عنه للمشاركة في تشييع جثمان والدته..

قرر رضا تغيير الخطة من عملية اغتيال الضابط المجرم إلى اختطاف «رمز الثورة البحرانية» وتهريبه إلى خارج البلاد!

تداول رضا مع رفاقه في الدرب.. تساءل بعضهم ولكن قد لا يوافق الأستاذ على هذه الفكرة.. اقترحوا إعلام أحد المقربين منه وإطلاعه!.. كان جواب رضا حاسمًا:

- مو على كيفه!

يعني أن رضا قد اتخذ قراره؛ يجب استثمار هذه الفرصة وإنقاذ الأستاذ المعلـم من أسـر النظام الأموي.. اسـتكمل رضا مراجعـة خطة الاختطاف قبـل أن يتوجـه إلـى بلـدة الأسـتاذ للمشـاركة في موكـب التشـييع.. تصوّر الكثيـرون أن حضـور رضا الغسـرة في مثل هذه الظـروف الخطيرة هو من أجـل تسـجيل موقف تضامني مـع رمز الثورة.. قليلون جـدًا كانوا يعرفون لماذا حضر رضا الغسـرة.. توجه رضا إلى المقبرة.. واسـتعد الجميع لتنفيذ خطة الاختطاف في «المغتسل».. أبلغ «الأستاذ» بالفكرة!

فوجـئ الأسـتاذ والمعلـم والرمز.. لكنه رفض بشـدّة.. وفـي اللحظات الأخيرة ألغيت العملية وتم دفنها قبل مواراة جثمان «الأم» الثرى..

اضطـر رضـا الغسـرة للعـودة إلـى الخطة الأصليـة في اغتيـال الضابط الأموي الحاقد.. كان هذا الضابط يمثل سطوة النظام الخليفي وفي حالة اغتيـال هـذا الضابط الوغد يعنـي توجيه صفعة للنظام الغاشـم وتحطيم جبروتـه في نفوس الآلاف مـن الذين فضلوا التفرّج على ملحمة الصراع.. وهنا تكمن محنة الشـعوب المقهورة.. عندما يقف المجتمع على الحياد في الساعة التي يحتدم فيها الصراع ضد الظالمين!

كان رضـا الغسـرة ينظـر بأمـل كبيـر إلـى مسـتقبل الصـراع.. لن يسـتمر «المشـهد البحرانـي» علـى مـا هـو عليـه إذا مـا نظر إلـى المـوت على أنه قنطرة إلى عالم مفعم بالصفاء والسلام.. كما لو أنه تشرّب كلمات الشيخ العارف الذي أمضى عمره في الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر وهو يتحدث عن تلك القنطرة الحالمة:

- للموت وجهان.. سلبي وإيجابي.. «فصل» و«وصل»

- الموت يقطع كل العلاقات الدنيوية.. يفصل بين الإنسان وبين كل ما كوّنه من ثروات من خلال التعب والحرص ويقطع كل العلاقات مع الأزواج والأبناء.. وهذا هو الوجه السلبي المخيف للموت.. أما الوجه الإيجابي فهو «الوصل» وهو الوجه الإيجابي المشرق للموت.. لأنه النافذة التي فتحها الله على عباده الصالحين من أجل لقائه ولهذا هتف الإمام علي في محرابه: فزت ورب الكعبة!

ولهذا قال الإمام الحسين وهو يتوجه إلى أرض الميعاد: «من كان فينا باذلًا مهجته موطنًا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»..

رضا اختار الطريق إلى كربلاء وكل خلية في كيانه تنادي: لبيك يا حسين!

يقاتل في الخطوط الأمامية من جبهة الصراع المرير..

صباح الجمعة ٢٤ أيار-مايو ٢٠١٣

فوق دراجته النارية ومعه أحد رفاق الدرب يجوب شوارع «بني جمرة».. الشمس بزغت قبل دقائق.. شوارع بني جمرة شبه مقفرة..

تلقت فرقة من قوات التدخل السريع المتمركزة قريبًا من البلدة معلومات حول أحد المطلوبين يستقل دراجة نارية..

كان رضا ورفيق الدرب في مهمة لاستكمال التدابير والإعداد لتنفيذ عملية جريئة..

اقتحمت قوات التدخل السريع البلدة.. واتجهت نحو الهدف لتصدمه بقوّة..

هوى الفارس على اسفلت الشارع.. لينهض محاولًا الإفلات.. كان المرتزقة يطوقون المنطقة وينتشرون في الأزقة.. حاول أن يشهر السلاح في وجوه الذئاب البشرية التي تكالبت لتتخطف لحمه.. على المرء ألا يموت من دون معركة.. لا مجال للاعتقال.. الشهادة أقرب..

هذه الكلمات التي كان يرددها دائمًا غير أن شدّة الصدمة والإجهاد وتكالب الذئاب خطفت منه فرصة الاستشهاد..

وجد رضا نفسه مكبّلًا.. أسدًا جريحًا وسط الضباع.. كان يهتف عاليًا:

- يا علي! يا علي!

تداعت في تلك اللحظات ذكرى قديمة.. قديمة جدًا يوم كان صغيرًا وقد صدمته شاحنة ألقته صريعًا.. كان يصرخ بصوت طفولي:

- يا علي! يا علي!

تداعت في خاطره ليالي التعذيب والعذاب في سجن الحوض الجاف.. في أقبية التحقيق كان الجلادون يعذبونه بقسوة.. كان ينادي من أعماقه:

- يا علي! يا علي!

اقتيد الأسد المكبّل إلى معسكر «الخيالة» وانقطعت أخباره..

مع ارتفاع النهار انتشرت صورة على أحد مواقع التواصل.. الصفحة تعود لضابط في جهاز الأمن الوطني.. ويظهر في الصورة رضا الغسرة

ملقىً على الأرض مكبّل اليدين من الخلف مغمىً عليه ممزّق الثياب . انتشرت صورة الفارس الصريع لتلهب مشاعر عشرات الشباب.. وتأججت الصيحات الغاضبة: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.. العيون تذرف الدموع.. الشباب الغاضب يتنادى للردّ والثأر..

الصورة تؤكد أنّ المرتزقة انهالوا بالضرب الشديد علي الأسير المكبّل إلى حدّ الإغماء!

تجمعت حشود الشباب الغاضب وزحفت باتجاه «معسكر الخيالة» وجرت مواجهة غير متكافئة بين قبضات مشدودة وقوّات مدججة بالسلاح.. استمرت مظاهر الاحتجاج والمواجهة حتى آخر النهار..

تطورت الاحتجاجات لتدخل مرحلة أكثر سخونة.. رفاق الدرب يجتمعون.. يقررون ويخططون.. يهاجمون قوات للمرتزقة.. تدوّي أصداء انفجارات..

«رضا الغسرة» لم يعد شخصًا وحيدًا معتقلًا بعد اليوم.. «رضا الغسرة» أصبح «ظاهرة» و«رمزًا» لجيل قرر السير في طريق المقاومة المسلحة.. رضا الغسرة أضحى مبادئ مقدسة وغايات ومثل عليا ومنهجًا حسينيًا لا يرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا شقاءً في شقاء!

من الممكن جدًا تحطيم الإنسان المؤمن.. من الممكن جدًا تمزيقه إربًا إربًا.. تقطيع أوصاله.. ولكن من المستحيل.. أجل من المستحيل أبدًا هزيمته..

هذه هي رسالة عاشوراء للأجيال..

انقطعت أخبار رضا الغسرة سبعة أيام وسبع ليال

١ حزيران-يونيو ٢٠١٣

أطلّ حزيران-يونيو كئيبًا كعادته في سجن جو الرهيب.. قررت أجهزة الأمن ومن أجل «تحطيم» رضا الغسرة سجنه في «العنبر ٢» في «العزل» المكان الأكثر تشددًا في الإجراءات الأمنية..

العنبر رقم ٢ حيث يوجد ٣٠ سجينًا بعضهم من أرباب السوابق وبعضهم محكومون بسبب حيازتهم «ممنوعات» أو «قضايا مخدرات».. والبعض بسبب تصادمهم مع قوات الشرطة..

هتف أحد السجناء من النافذة المطلّة على الساحة الخارجية:

- رضا يجيبونه هني! رضا أخوك!
- ؟!؟!
- شفته بعيوني!

أصداء طائرة هليكوبتر تحوم فوق السجن.. وقد استنفرت قوات الشرطة في المبنى.. وتمرّ الدقائق ثقيلة.. ويقاد الأسد الجريح المكبّل بالأغلال نحو العنبر ٢.. يودع في الزنزانة «٢٢»..

الكثيرون حاولوا التطلّع إلى «البطل» المكبّل لكن حشود القوات التي تحاصره حالت دون تحقق «الرؤية» ,, وأخيرًا استقر بـ«رضا الغسرة» المطاف في سجن «جو» الرهيب وفي العنبر الأكثر رهبة.. الأسد الجريح تحيط به الضباع.. إنه الآن في الزنزانة «٢٢» يربض وراء الأبواب

الموصـدة.. شـأنه عجيـب.. ينظـر إلى زنزانتـه الصدئة فيراها «مدرسـة».. أجل مدرسة يتعلم فيها دروسًا في «الاستقامة».. ذلك أنه تعلّم من سيرة أهل البيت عليهم السلام أن «البلاء مدرسة الاستقامة»..

وأسـوأ ما في السـجن أن يلقى السـجين مع سجناء لا يمت لهم بصلة ولا يمتّون لـه بصلـة.. سـجناء مـن عالـم آخـر.. عالـم بعيـد عـن همومه وأحلامـه وآمالـه وآلامـه.. وهـذا هـو الجـدار الخامـس الأكثـر قسـوة من الجدران الأربعة..

رضـا مـن النـوع الذي يرى أن الدنيا سـجن المؤمن.. السـجن الحقيقي للإنسـان هـو هـذه الدنيا.. لهذا ينظـر ابن الدنيا إلى الموت فيراه موحشًـا مخيفًـا.. وقـد سـأل أحدهـم أبـا ذر الغفـاري: مـا لـي أخـاف مـن المـوت وأخشاه؟!

فقـال أبـو ذر: لأنك عمّـرت دنياك وتركت آخرتك خرابًا.. والإنسـان لا يريد الانتقال من العمران إلى الخراب..

رضـا ينظـر إلى الدنيا فيراهـا مزرعة للآخرة.. موسـمًا للزراعة.. والآخرة موسـم حصـاد وقطـف الثمـار.. مـن أجـل هـذا يقـول: لا مجـال للاعتقال الشهادة أقرب!

يتردد النداء بين الأبواب الموصدة:

- رضا! رضا!

أخـوة لـه ينادونـه مـن وراء الأبـواب الموصـدة! لكن ما مـن مجيب.. وأخيرًا جاء الجواب:

- رضا مشغول بالصلاة!
- ما هذه الصلاة التي تطول ساعات!
- «قضاء» ثمانية أيام قضاها تحت التعذيب.. نظام آل خليفة لا يمنح أسراه حتى فرصة للصلاة!

١٠ تشرين الأول-أكتوبر ٦٨٠م - ١٠ محرم ٦١ هـ

في أرض كربلاء في تلك الظهيرة العظمى وقد اشتدّ القتال، التفت أبو ثمامة الصائدي إلى الشمس قد زالت فقال للحسين:

- نفسي لك الفداء.. إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك.. لا والله لا تُقتل حتى اقتل دونك.. وأحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها..

فرفع الإمام رأسه إلى السماء وقال:

- ذكرت الصلاة! جعلك الله من المصلّين الذاكرين.. نعم هذا أول وقتها.. سلوهم أن يكفّوا عنا حتّى نصلّي!

لكن جيش النظام الأموي لم يمنح الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره فرصة للصلاة..

١ تشرين الثاني-نوفمبر ٦٨٠م - ١ صفر ٦١ هـ

في قصر يزيد بن معاوية وقد وضع رأس الحسين أمامه في طشت من ذهب.. راح يزيد ينكت بالقضيب على ثغر الحسين متشفيًا وهو

يقول: يوم بيوم بدر!

فقالت السيدة زينب الكبرى:

- صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾

- أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أنّ بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟!.. مهلًا مهلًا أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾!

- اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

- وحسبك بالله حاكما، وبمحمد خصيما وبجبرئيل ظهيرا، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلا، وأيكم شر مكانا وأضعف جندا.. ولئن جرت على علي الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك!

- فكد كيدك! واسع سعيك!

- فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا!
- وهل رأيك إلا فند! وأيامك إلا عدد! وجمعك إلا بدد!
- يوم ينادي المنادي؛ ألا لعنة الله على الظالمين!

٢ حزيران-يونيو ٢٠١٣

انفتحت أبواب الزنزانات لإخراج القمامة، وكانت فرصة لمن تشوّق أن يرى الأسد الأسير.. كانت آثار القيود محفورة في يديه وقد هزل بدنه وبدت ثيابه فضفاضة جدًا..

نظراته الثابتة الثاقبة تعبّر عن روح قوية وإرادة لا تقهر..

كان كتلة من الهدوء والسكينة وبدا أنه قد ألف الزنزانة.. أشرق اليوم التالي وخرج المعتقلون إلى الفناء الخارجي.. كان يكبت مشاعر الألم كلما عانقه أحد الشباب.. ما تزال آثار التعذيب الهمجي بادية عليه لا يستطيع أن يتحرك دون شعور بالألم..

أحد الشباب ينادي عليه من «اللنقر».. اتجه صوب صالة السجن وحوله بعض الشباب.. صور «رضا الغسرة» تملأ الصحف..

عندما انتهى وقت «التشميس» قال رضا:

- اليوم سنزور السيدة زينب الكبرى.. نقرأ الزيارة وبنجيب «لطمية»

«العنبر ٢٢» سجن داخل سجن وزنزانة داخل زنزانة.. ومرارة السجن تكمن في اعتقال السجين مع أشخاص غرباء عنه في كل شيء.. زج رضا مع ناس مدمنين وجناة.. لا يشعرون بما يشعر به رضا ولا يدركون

همومه الكبرى..

وعندما يكون رفاق الأسر أشخاص بعيدين كل البعد عن همومك وأحلامك وآمالك وآلامك.. هنالك يتضاعف الشعور بالمرارة والإحساس بالألم!

من أجل هذا ورد في الأثر «الدنيا سجن المؤمن» لأنه مكتوب عليه أن يعيش مع أناس غارقين في حب الدنيا بينما هو مستغرق في الحب الإلهي!

ومخطئ من يتصور أن النظام الذي أسسه معاوية بن أبي سفيان قد اندثر وأن النظام الأموي قد انهار سنة ١٣٢ هجرية.. النظام الأموي نظام دنيوي ينهض على دار الدنيا ويجحد وجود الدار الآخرة.. ولذا فهو نظام يتجدد ظهوره عبر القرون.. فالنظام الذي أقامه العفالقة في العراق كان نظامًا أمويًا دمويًا عنصريًا طائفيًا نصب العداء وأعلن الحرب ضد الشعائر الحسينية.. النظام الوهابي الذي أقامه آل سعود النجديون هو نظام أموي يشن الحرب على شيعة أهل البيت.. غزا المدن المقدسة في العراق وارتكب المذابح في كربلاء والنجف وما يزال يشنّ الحرب ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام في القطيف والإحساء والمنطقة الشرقية ويستضعف أتباع أهل البيت في المدينة المنورة ويرتكب المذابح ويقتل الأبرياء في اليمن وما تزال قوات درع الجزيرة الوهابية القادمة من نجد تتربص بالشعب البحراني الدوائر وتقمع تطلعاته إلى الحرية والكرامة الإنسانية..

أجل النظام الأموي هو نظام شيطاني يغير أقنعته فيظهر في صور متعددة؛ ولهذا لا يستطيع الاستمرار في رفع الشعارات الخادعة؛ إذ

سـرعان ما تظهر حقيقته الشـيطانية فـي المنعطفـات التاريخية المصيرية وتنكشف علاقاته مع الشيطان الأكبر..

مـن أجـل ذلـك قرأ رضا في ذلك اليوم زيارة الحوراء زينب بطلة كربلاء وعقيلة بني هاشم ورمز الثورة المعتقلة..

ردد رضا كلماتها الثائرة في وجه الطاغية:

- فكد كيدك واسع سعيك!
- فوالله لا تمحو ذكرنا! ولا تميت وحينا!
- فما أيامك إلا عدد! ورأيك إلا فند!
- وجمعك إلا بدد!
- يوم ينادي المنادي؛ ألا لعنة الله على الظالمين

وبعـد ختـام الزيارة انشـد قصيدته في مظلومية سـيدة النسـاء فاطمة الزهراء بعد رحيل والدها العظيم آخر الأنبياء في تاريخ الإنسانية:

- صرختها ما بين الجمعِ
- يا أبتي قد كسروا ضلعي!
- يا أبتي قد كسروا ضلعي!

وقد جاء العدوان على أهل بيت رسول الله من أجل إطفاء «المصباح» وهذا لا يمكن أن يحصل إلا بعد «كسر» وتحطيم «المشكاة»..

- يا أبتي قد كسروا ضلعي!

وفي تلك وقبل أن يغمض عينيه كان رضا يسيح في عالم فسيح مفعم بالصفاء تضيء فيه كلمات من الوحي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]

---

١. النور: ٣٥

٢. النور: ٣٩

الفصل الثامن

هـذا السـجين المدعـو «رضا الغسـرة» يختلف عن باقي السـجناء.. لا يعترف في قرارة نفسه بالجدران القاسية..

المكان الذي ألقي فيه «رضا الغسرة» هو من أكثر الأماكن في السجن تشـددًا في التدابير الأمنية.. ثم أضافت سـلطات السـدن إلى ذلك تدابير جديـدة.. فقـد زرعـت حوله العيون ووكلت به شـرطيًا يرافقـه كظله.. إن كل مـن يقـع فـي العنبر رقم ٢ في عنبر العـزل لن يفكر أبدًا في الهروب.. لـن تخطـر فـي باله مثل هذه الخيالات والأوهـام.. غير أن رضا الذي رفع شـعاره «حرّر نفسـك بنفسـك» لم يكن مـن النوع الذي يُصـاب بالإحباط واليـأس، كان ذهنـه المتوقّـد يعمل.. وكان يؤمـن إيمانًا عميقًـا بأن المرء إذا تـوكّل علـى الله فإن الله سـينصره.. وإن هؤلاء الأوغاد ومهما تشـددوا فـي إجراءاتهـم الأمنيـة فإنه ولابـد من وجود ثغرة يمكنه اسـتثمارها في عملية تحرير ما.. لهذا كان ذهنه المتوقّد يرصد كل ما يجري من حوله..

كل المعتقليـن فـي تلـك الظروف ممن يخطر فـي بالهم فكرة الهروب

تتبخر أفكارهم وتتبدد خواطرهم بمجرد انتهاء فترة التحقيق ولذلك ما إن يتم نقلهم إلى سجن جو الرهيب حتى يستسلموا لقدرهم وتتبخر آمالهم وتذوب أحلامهم كما تذوب حبّات الملح في سواحل البحرين..

رضا الغسرة وخلال بضعة أسابيع تمكن من اكتشاف «ثغرات» في المنظومة الأمنية للسجن العتيد.. وسرعان ما تمكن ومعه أحد رفاق السجن من تنفيذ عملية هروب جريئة وتكمن جرأتها في بساطتها.. كان رضا صائمًا وقد مضت أيام وليالي من شهر رمضان المبارك.. قام رضا وبرفقة أحد رفاق السجن بإبهام الحرس بأنهما ينويان «الحلاقة».. الشرطي الذي يلازم رضا ملازمة الظل رافقهما في الخروج من «العنبر»..

وما إن وضع رضا قدميه خارج العنبر حتى بادر إلى التخلص من الشرطي.. وفتح الباب الرئيسي المحمي.. ثم تسلّقا السور الخارجي.. حصل كل ذلك في دقائق..

يمكن رفيق السجن من الهروب والإفلات.. غير أن رضا الذي رسم خطة الهروب يقع في براثن الحرس الذين كانوا يطاردونه ليقبض عليه..

كسرت عملية الهروب إلى الحرّية حاجز الخوف والرهبة وتحطمت هيبة «جو» في نفوس الأسرى المعتقلين..

في صباح اليوم التالي فوجئ الكثيرون بما جرى وكانت الحادثة بمثابة إلقاء حجر كبير في بحيرة ساكنة..

اختفى «رضا» ولم يعد أحد يراه وانقطعت أخباره.. رأى البعض رضا وهو مكبل بالقيود والأغلال يُنقل من «الانفرادي» إلى جهة مجهولة..

نسجت حوله حكايات وأكد البعض بأنه نقل إلى إحدى الزنزانات الانفرادية في المبنى المجاور لـ«العيادة».. واستدلوا على ذلك بوجود قوّة من «الكوماندوز» متمركزة بالقرب من عيادة السجن وعلى مدار الساعة.. وتمرّ الأيام ولا أحد يعرف ما يجري على رضا الغسرة من عذابات.. أبسطها حرمانه من النوم لأيام..

في زنزانة انفرادية في صيف تموز-يوليو عاش منقطعًا عن العالم لا يرى أحدًا ولا يراه أحد.. عاش تحت رحمة ذئاب بشرية لا تعرف الرحمة.. مكبلًا بالأغلال.. تتداعى في وجدانه محنة الإمام موسى بن جعفر.. تحلّق روحه بعيدًا تطوي المسافات الطويلة.. تجتاز القرون.. يقترب من المحراب.. محراب المسجد الأعظم في مدينة الكوفة.. وقد أوشك عمود الفجر على الانفلاق.. برق سيف الغدر المسموم ليهوي على هامة آخر الأوصياء في تاريخ الرسالات الإلهية.. وينبعث صوت العدالة والإنسانية عليًا:

- فزت ورب الكعبة!

تحلّق الروح إلى شواطئ الفرات إلى أرض كربلاء؛ تقف في رحاب سيد الشهداء.. تشتعل كلمات في الأعماق وتحيّي أبطال الملحمة الخالدة:

- السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.. اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود! وثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين!

تنطلق الروح بعيدًا إلى شواطئ دجلة.. ينحني بإجلال للسجين

المكبل بالسلاسل والأغلال في سجن تحت الأرض.. لا تشرق عليه شمس ولا يطلع قمر.. وسماؤه بلا نجوم:

- السلام عليك يا موسى بن جعفر ورحمة الله وبركاته.. أشهد أنك الإمام الهادي المهدي والعلي المرشد.. وأنك معدن التنزيل وصاحب التأويل وحامل التوراة والإنجيل!

- يا مولاي أبرأ إلى الله من أعدائك.. وأتقرب إلى الله بموالاتك.. صلى الله عليك وعلى آبائك وأجدادك وأبنائك وشيعتك ومحبّيك!

شعر أنه يلتحم بكل المقهورين الرازحين في أرض الجزيرة العربية، يشعر بآلامهم ويتألم لمحنتهم!

وحيدًا في تلك الزنزانة الانفرادية.. وقد شعر بالإعياء.. جفناه ينطبقان.. وتنزلق الروح في خدر النوم.. فجأة تنبعث ضجة الذئاب البشرية تقتحم عليه الزنزانة توقظه ركلًا وضربًا.. أحدهم يبصق عليه بحقد أموس ورثه من «يزيد» و«ابن زياد»!

تغادر الذئاب تاركة الجسد الآدمي يتلّوى من الألم.. هذا هو طريق الأحرار.. ينطوي على آلامه وتتوقد آماله وأحلامه بغدٍ مشرق.. ينبعث دعاء في أعماقه من أجل ظهور الذي يأتي في آخر الزمان.. من أجل اسمه اسم النبي وكنيته كنية النبي.. من أجل الذي سيأتي فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.. وتشرق بنور ربها وتنعم الإنسانية جمعاء بالأمن والخصب والسلام..

وتستحيل تلك الزنزانة بمساحتها الضيقة التي لا تزيد مساحتها عن مترين مربعين إلى صومعة عبادة يتأسّى بسجين بغداد المعذب في

«قعر السجون وظلم المطامير ذي الساق المرضوض بحلق القيود»..

ثلاثة أسابيع أمضاها «رضا الغسرة» في الزنزانة الانفرادية شهد خلالها المديات الرهيبة من التي يمكن أن يبلغها الإنسان في وحشيته وقسوته وانحطاطه.. لمس «رضا» عن قرب كيف يستحيل هذا الكائن الآدمي إلى مسخ فيصبح كائنًا أسوأ بكثير من الذئاب الكاسرة..

بعد تلك الأيام والليالي الرهيبة سمحت إدارة السجن فجأة السماح لـ«رضا الغسرة» بـ«الزيارة» وأبلغت أسرته وأهله..

حضر السجناء إلى صالة «الزيارات» واجتمع المعتقلون والأسرى بالأهل.. ولكن رضا كان غائبًا.. فجأة جيء به مكبلًا بالسلاسل والأغلال..

ساد صمت رهيب لدى ظهوره وامتدّت الأعناق وتطلعت العيون إلى مقدمه.. وصعقت الأبصار.. واجهش الكثيرون وخاصّة الأمهات بالبكاء وارتفع صوت أم جاءت زيارة لولدها.. لهت عن ولدها لتخاطب هذا الشاب الباسل المثقل بالسلاسل:

- السلام عليك يا زين العابدين!

بهذه الكلمات اختصرت هذه الأم محنة رضا الغسرة.. زين العابدين الذي اقتيد أسيرًا بعد انتهاء ملحمة عاشوراء إلى الكوفة ومنها إلى الشام..

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب!

علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله!

يمثل أسيرًا مكبلًا بالسلاسل أمام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان!

«رضا الغسرة» ابن هذه الأرض السمراء العريقة يقاد أسيرًا حتى في

«مبنى الزيارات»!

بـدا «رضا» متماسـكًا تشـع عينـاه بـ«الرضـا».. لم يخبر أهلـه بما جرى عليه.. لا يريد أن يتسبب في إيلامهم..

همس في إذن شـقيقه «صادق» أخبره عن مكان اعتقاله.. أخبره بما لاقـاه مـن عذاب.. أمام حديثه مع والدته فقـد دار عن الصبر والامتحان والعبادة وكيف شـكر الإمام الكاظم الله سـبحانه وبعد إلقائه في سـجن المطبق الرهيب تحت الأرض لأنه فرّغه للعبادة!

همس في إذن شقيقه أخبره بأنه قطع التدخين منذ اليوم الأول الذي ألقـي بـه فـي «الانفـرادي»! لا يريد أن يسـتغل العـدو «السـيجارة» ورقة ضغط ضده أو كسلاح بأيدي الجلادين!

أعيـد الأسـير المكبل بالسلاسـل إلـى زنزانته.. وبعد بضعـة أيام قررت سلطات السجن إعادته إلى «عنبر العزل» في «المبنى ٢»..

عـاد رضـا منتصرًا فـي «الحرب الداخليـة».. الحرب داخـل النفس هي الحـرب الفاصلة في حياة الإنسـان وهي «الجهاد الأكبـر».. كل العمليات البطوليـة التـي قام بها رضا الغسـرة ضـد «النظام الأمـوي الخليفي» كانت معارك خاضها في حرب «الجهاد الأصغر».. أما الحرب الكبرى فقد دارت فـي تلك الزنزانة الضيقـة وانتصر فيها رضا على عدوه الرابض بين جنبيه.. تمكن رضا من أن يتوحّد في جبهته الداخلية..

تتوهج في أعماقه كلمات الإمام علي بن أبي طالب: «أعدى أعدائك نفسـك التي بين جنبيك» ويعود الأسـير الباسـل إلى «مبنى ٢» والطمأنينة تشـعّ مـن عينيـه.. كان العدو يتصوّر أنه سـيتمكن من قتلـه معنويًا، لذلك

سـجنه فـي هـذا المبنى مع «رفـاق سـجن» محكومين في قضايـا جنائية ومخـدرات.. سـوف يجـد نفسـه غريبًـا بينهـم وقد يتصـادم معهم وشـيئًا فشيئًا سوف يتم «ترويضه» وإطفاء روح المقاومة في أعماقه!

ولكن ما حصل كان مفاجئًا للكثيرين!!

كما البنفسج

لـم يخلـد رضـا إلى الراحـة بعد تلـك الرحلة من العـذاب والتعذيب.. عجزت سياط الجلادين في إخماد صوته وعجزوا في إطفاء بريق عينيه.. لأنـه بريـق قـادم مـن هناك.. مـن الأرض التـي باركهـا الله.. عـاد رضا إلى «المبنـى ٢» مرفـوع الرأس شـديد البأس.. ينوء بحمل المسـؤولية.. يشـعر بأنّ عليه أن يبذل كل ما في وسعه في دعوة «رفاق السجن» إلى طريق النور.. نور السماوات والأرض..

ينظر إلى «رفاق السجن» نظرة مفعمة بالرحمة والحنان والإنسانية.. ينظـر إليهـم علـى أنهـم ضحايا البيئـة التـي احتضنتهم، فالإنسـان هو ابن البيئـة التي ينشـأ فيهـا ويتربى ويتنفس هواءها ويتشـرّب ثقافتهـا.. فليدعُ وليستقم؛ فيا أصحاب السجن أرباب متفرقون أم الله الواحد القهار؟!

فليـدعُ هـؤلاء بصمـت.. وليلبّـي قـول الصـادق: «كونـوا دعاة لنـا بغير ألسنتكم».. وكما البنفسج فاح شذاه فترى عبيره في «العنبر» وفي زنزانات «مبنى ٢» العتيد.. يتحدث إليهم بالموعظة الحسنة مستثمرًا المناسبات.. فـكان يحيي مناسـبات أهـل البيت لأنها تحيي القلـوب.. يلقي على رفاق السـجن كلمـة مفعمة بالصفاء تشـعّ بالنور الذي ينفـذ في القلوب ويأخذ

على عاتقه دور «الرادود» فيشدو بالقصائد التي تحكي المحن التي مرّ بها «أهل البيت» شجرة النبوة ومعدن الرسالة.. الشجرة الزيتونة المباركة..

قال لهم:

- إننا جميعًا في خندق واحد! لا تبتعدوا عن هموم مجتمعكم! تحرروا من وساوس الشيطان واتركوا هذه «السموم» التي تخدّركم.. وتطفئ النور في قلوبكم
- أنتم جزء لا يتجزأ من المجتمع.. استثمروا فرصة وجودكم في السجن لتكونوا رقمًا في الصراع المحتدم بين الحق والباطل
- غدًا عندما تغادرون السجن عودوا إلى مجتمعكم.. فعودوا الآن إلى أنفسكم.. لتعودوا إلى المجتمع أفرادًا صالحين..
- عندما تعودون إلى أنفسكم؛ ستجدون الجميع في استقبالكم.. ستجدون المجتمع يفتح ذراعيه ويعانقكم..
- السجن مدرسة كبرى، فتعلّموا فيها دروس الصبر والاستقامة..
- استيقظوا من «خدركم» ومن «غفلتكم» ولتكونوا أفرادًا صالحين!

العجب أن كلماته ومواعظه ونصائحه لم تكن بلسانه وإنما بسيرته.. كانوا يرون الصدق في عينيه والمحبة والحنان في ابتسامته..

يستيقظ أحدهم في ساعة متأخرة من الليل.. الجميع يغط في نوم عميق، فيرى رضا واقفًا يصلّي.. يهمس بكلمات الدعاء همسًا.. تنساب مناجاته وتترقرق كلمات الصلاة كساقية في الحقل.. أو جدول يدندن في الوادي..

وعندما تسنّى له اللقاء بأسرته كان يوصي أخوته بأن يتواصلوا مع عوائل «رفاق السجن» هؤلاء الضحايا..

وأخيرًا نجح رضا في إعادة الكثيرين منهم إلى «وعيهم».. عادوا إلى أنفسهم وتابوا إلى «رشدهم».. واندمج بعضهم في غمرة الصراع وأصبحوا جزءً من مسار «المقاومة».. حتى عوائل أولئك الذين كانوا يعيشون على هامش الحياة بعيدًا عن الهموم الكبرى.. حتى أولئك تغيّرت حياتهم.. أصبحت لهم «قضية» يعيشون من أجلها و«يموتون» في «سبيلها»!

«رضا الغسرة» يحوّل «المبنى ٢» إلى جزء من أرض كربلاء.. في كل يوم يقرأ زيارة عاشوراء.. ويحيّي سيد الشهداء ويعلن له الولاء ويلعن بني أمية الأعداء والشجرة الملعونة..

ولا تظن أن بني أمية اندثروا وانتهى أمرهم إلى الأبد! كلّا.. إنهم ما زالوا يحكمون فهذه الشجرة الملعونة ما تزال أغصانها هنا وهناك.. «آل سعود» غصن من تلك الشجرة الملعونة و«آل خليفة» القادمون من نجد كذلك.. هم امتداد لمعاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية..

آلى على نفسه أن يقرأ زيارة عاشوراء وأن يحيي سيد الشهداء والشهداء مئة مرة ويلعن أعداءهم من آل أبي سفيان وآل مروان وآل زياد مئة مرة.. يعلن الولاء للإمام الحسين ويتبرأ من أعدائه.. داوم على ذلك أربعين يومًا وليلة وفي يوم الأربعين وصل «النبأ العظيم»؛ لقد استشهد صديقه ورفيق دربه «علي الصبّاغ».. وقد نال «علي» وسام الشهادة..

تأجج في أعماقه شعار الثورة الخالدة:

- يا لثارات الحسين!

الحسين هو ثأر الله! هو ثأر الإنسانية جمعاء، فلا عجب أن يكون شعار الإمام المهدي الذي سيظهر ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا «يا لثارات الحسين»!

رضا الغسرة «الإنسان المؤمن المجاهد».. ولذا يندر أن ترى إنسانًا مؤمنًا حقًا ولا يكون مجاهدًا.. كما يصعب أن ترى مجاهدًا حقًا ولا يكون مؤمنًا حقًا!

رضا ينتمي إلى جيل «الرهبان» في الليل «الليوث» في النهار.. يستمد عزمه وإرادته وثباته من صلاة الليل ومن زيارة الحسين في يوم عاشوراء..

آمن رضا مبكرًا بأن راية «الإصلاح» لا ترفع إلا برقع «السلاح».. وإن طريق الإصلاح لن يتحقق إلا بنشر ثقافة السلاح..

إنّ نظام آل خليفة الدموي الأموي لا يفهم إلّا لغة السلاح:

- السلاح مقابل السلاح!

مرتزقة آل خليفة يستأسدون أمام الشعب الأعزل.. يتصرفون بعنجهية متغطرسين أمام النساء والأطفال.. لكن ما إن شهر السلاح في وجوههم حتى انكشفت حقيقتهم فإذا هم جبناء يفرّون مذعورين كالفئران..

لهذا حرص رضا الغسرة على نشر ثقافة حمل السلاح.. ولأنه كان يؤمن بأن الحرب ضد آل خليفة ستكون طويلة فقد وجّه رفاق الدرب الطويل في استخدام المطاط والخشب بدل الذخيرة الحيّة.. وكان يدير دفّة الصراع وهاجسه الوحيد أن تبقى ثقافة المقاومة المسلحة تجري

كالدماء في نسخ المجتمع..

- يجب أن تعتاد الجماهير على رفع السلاح وعلى تواجده في ساحات المواجهة والصراع
- هناك جهود تبذل لوأد مشروع المقاومة.. المهم أن يرفع الثوار في هذه المواجهة السلاح
- المهم تحطيم جدار الرهبة في قلوب الناس.. الخوف جدار وهمي قاتل

وهكذا تمرّ الأيام والأسابيع والشهور.. كان وحيدًا في زنزانة في سجن جو الرهيب.. كان أعزل من السلاح في مبنى معزول في «العزل».. هكذا كان المشهد في تصوّر الجلادين.. بينما الحقيقة أن رضا الغسرة كان مع الله ومن كان مع الله كان الله معه.. كان يتواصل مع أخوته في «بني جمرة» و«الدير» و«سند» وحتى في «القطيف» و«العوامية».. قلبه الشجاع في كل مكان من هذه البقاع التي تواجه ببسالة عدوان الطغاة..

الفصل التاسع

٢١ أبريل ٢٠١٤

أخبار الخليج: أصدر الفريق الركن الشيخ راشد بن عبدالله آل خليفة وزير الداخلية قراراً بتشكيل لجنة برئاسة نائب رئيس الأمن العام اللواء ناجي الهاشل للتحقيق في هروب اثنين من الموقوفين في مركز الإصلاح والتأهيل في «جو»

بالرغم من كل الإجراءات المشددة تمكن رضا من التواصل مع رفيق الدرب «حسين البناء» السجين في زنزانة أخرى بعيدة عن زنزانة رضا في نفس العنبر.. وعلى مدى شهور طويلة كان رضا يعمل على إيجاد منفذ يمكنه من اللقاء برفيق الدرب..

كان رضا طوال شهور يخطط لعملية هروب جريئة.. من دون أن يشعر أحداً.. كان يعمل على إزالة قضبان النافذة الضيقة لفتحة التهوية ومن خلال فتحة المكيّف الضيقة سيتمكن من الوصول إلى زنزانة رفيق الدرب..

ولكن كيف يتسنّى له العبور من هذه الفتحة الضيقة؟! حقاً إذا وجدت الإرادة وجدت الوسيلة!

اتبع رضا البرنامج الغذائي الأكثر صرامة.. كان جسمه يذبل ويذوب كشمعة تخبو شيئاً فشيئاً.. فهو إضافة إلى صيامه طوال النهار كان إفطاره لقيمات معدودة فقط.. يواصل تمارينه الرياضية بشكل مدهش..

انتبه بعض رفاق السجن إلى جوعه الطويل وإلى هزاله! تساءل أحدهم عن السبب فأجاب وقد أشرقت ابتسامة في وجهه:

- لا تجعلوا بطونكم مقبرة الحيوانات!

يمازح رفاق السجن في زنزانته.. وعندما اقتربت ساعة الصفر.. صارحهم..

كان يتواصل مع رفاقه خارج الأسوار من خلال الزيارات وأحياناً من خلال «النقال» الذي تمكّن من تهريبه..

اقتربت ساعة الصفر.. الوقت بعد منتصف الليل.. كان رضا قد اغتسل غسل الشهادة.. ونهض لأداء صلاة الليل.. ذهنه المتوقّد في أعلى درجات الاستنفار.. ودع رفاقه واعتذر إليهم عما سيجري عليهم في صباح اليوم التالي.. قال رفيق الزنزانة:

- اذهب! ولا تنظر خلفك.. الله لنا

- نعم يا أخي الله لنا جميعاً

رتّب رضا فراشه.. وضع الوسادة بطريقة عمودية وسحب الغطاء بطريقة تظهر شخصاً نائماً..

حشـر رضـا جسـده الهزيل داخل فتحـة التهوية وزحف باتجـاه زنزانة «حسين البناء»..

ومن زنزانة حسين البناء خرجا معاً.. تسلقا إلى سطح المبنى ومنه إلى أرض السجن ثم ليتجها إلى نقطة في ساحل البحر ومنها إلى نقطة أخرى حيـث ينتظرهمـا قـارب أخذهما بعيداً جـداً إلى نقطة ثالثـة حيث تربص سـيارة تنتظرهما ثم لتأخذهما إلى «بر الأمان» في منطقة «سـار».. وسـار كل شـيء حسـب ما خطـط له رضا.. وفي ظل من اللطـف الإلهي ورعاية مـن أهـل البيـت.. خلـد رضا ورفيق الـدرب المريـر إلى النـوم وآن لهما أن يتلقطـا الأنفاس بعد رحلة شـاقة في يوم عصيـب.. رضا نائم وإلى جانبه بندقية الكلاشـنكوف فـ«السلاح زينة الرجال».. سلطات السجن تغط في نوم عميق.. مرّت أربع سـاعات من نجاح العملية.. توجه حارس الزنزانة واسـتغرب من رؤية رضا الغسـرة يغط في نوم عميق وقد سـحب الغطاء على وجهه!

اليـوم إحـدى جلسـات المحاكمـة.. كمـا أنه يـوم زيارة ولقـاء الأهل.. تساءل الحارس في نفسه ثم سأل رفيق رضا الذي أجاب باقتضاب:

- نايم!

غادر الحارس ليعود مرّة أخرى ويسأل؟!

- بعده نايم!

شـك الحـارس فـي الأمر ودخـل الزنزانة ليوقظ رضا مـن النوم! وكانت المفاجأة الصادمة! لم يجد الحارس سوى الوسادة والأغطية رتبت بطريقة توهم من يراها بوجود شخص نائم!

انطلقت صفارات الإنذار وتحول السجن إلى ثكنة عسكرية.. وانطلقت سيارات البحث الجنائي وعمّت الأفراح مباني السجن وشعر جميع المعتقلين بنشوة الانتصار..

انهالوا على رفيق السجن الذي «غطى» عملية الفرار..

اجتاح المرتزقة مبنى ٤ واقتحموا الزنزانات وانهالوا بالضرب على الجميع لاحتفالهم بهروب الموقوفين.. وصدرت تصريحات تبرر ما جرى من فضيحة!

- رضا الغسرة شخص مدرّب ولا ينبغي أن يكون في سجن مدني!
- هناك من تعاون مع الغسرة.. هناك شرطة خونة..

ولكن الحقيقة أن رضا الغسرة لم يكن وحيداً.. كان الله معه لأنه كان مع الله سبحانه وقد فوّض إليه أمره.. ولهذا فهو لا يعترف بشيء يدعى «المستحيل»!

وسرعان ما انتشرت الأخبار المزلزلة:

- هروب اثنين من الموقوفين من سجن «جو»!
- وزير الخارجية يوجه بتشكيل لجنة برئاسة ناجي الهاشل
- إسناد إدارة السجن إلى وكيل وزارة الداخلية
- تعيين أحد الضباط مديراً لسجن جو بعد نقل المدير الحالي
- الأجهزة الأمنية: استنفار عام براً وبحراً وجوّاً!
- نشر نقاط التفتيش في الشوارع الرئيسية في عموم البلاد

٢٣ أبريل ٢٠١٤

في أحد الأحياء وفي بيت من بيوت منطقة «سار» استقرّ رضا ورفيق الدرب مع عدد من المطلوبين من شباب المقاومة..

وكانت أجهزة الأمن قد استنفرت جميع أذرعها وكثفت جهودها في البحث عن المطلوبين.. وفي ليل الرابع والعشرين من أبريل وبعد يومين فقط من عملية التحرير تمكنت مخابرات النظام من تحديد موقع أحد المطلوبين!

انتشرت القوات الأمنية في الحي قبل انتصاف الليل وأحكمت تطويقها للموقع المحدد..

انتشر خبر الاستنفار الأمني وانتشار قوات الأمن في مواقع الرصد.. وفي مواقع «البرقية»!

وكما حدث لأصحاب الكهف والرقيم كان الجميع يغط في نوم عميق.. ضرب القدر على آذان جميع الشباب من «أصحاب البيت»!

في تلك الليلة لم يستيقظ رضا ولا حسين ولا أي أحد من الشباب.. رغم أنهم كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهة أي محاولة اقتحام يقوم بها مرتزقة النظام!

شاءت الأقدار أن يقع هذه المجموعة من الفتية المؤمنين في الأسر!

لم تفلح نداءات «البرقية» ولا الضوضاء التي أحدثتها مركبات المرتزقة في إيقاظ أي من أولئك الفتية الذين آمنوا بنهج المقاومة.. وكان أمر الله قدراً مقدوراً!

وكانت المفاجأة أن يكون رضا من بين أولئك الشباب!!

تفحّصوا كفّ الأسرى.. ولما رأوا كفّ رضا اليمنى انهالوا عليه بالضرب الشديد..

اقتيد الأسرى واحتفل الأجهزة الأمنية بهذا النصر . تبادلوا التهاني الحارّة بـ«النصر الوهمي».. في غفلة عن أن النصر الحقيقي للذين هتفوا من أعماق قلوبهم:

- يا حسين بضمايرنا.. صحنا بيك آمنا
- لا صيحة عواطف هاي.. لا دعوى ومجرد راي
- هذي من مبادئنا.. صحنا بيك آمنا

لقد تعلّم هؤلاء الشباب من جيل المقاومة أن النصر سيكون حليفهم ولو كانت أجسامهم ترضّها سنابك خيل الطغاة.. وأن الهزيمة ستكون نهاية المطاف لكل الغزاة حتى لو تمكنوا من إقامة أعتى الإمبراطوريات!

اقتيد الأسير الباسل إلى مبنى التحقيقات.. إلى المكان الذي ألفه من قبل وسخر منه..

كان مكبلاً بالسلاسل والأغلال وكان الجلادون الغلاظ الأكياد ينهالون عليه بالشتائم والضرب.. وبصق أحد السجناء الأوغاد على وجه الأسير المعصوب العينين فقال الأسير بشجاعة الإنسان المؤمن:

- صدقني! برجعها لك رصاصة!

شعر الوغد بالرعب.. فـ«رضا الغسرة» لا يطلق تهديداته في الهواء..

هـددوه.. وأوحـوا إليه أنهم سـيؤذون أهله؛ فهددهم بقـوة هائلاً: إنه سيقابلهم بردٍّ صاعق إذا تعرضوا لأهله باليد واللسان!

رضا الأسير يهدد جلاديه ويتوعدهم بردٍّ مدمّر إذا لمسوا أهله!

انتشـر الخبـر الحزيـن فـي كل مـكان وجثـم علـى القلـوب كمـا يجثم الغراب:

- أعلنت وزارة الداخلية اليوم الأربعاء ٢٣ نيسان-أبريل ٢٠١٤ على حسابها بموقع التواصل الاجتماعي تويتر أن منتسبيها تمكنوا فجر اليوم من القبض على الهاربين من سـجن جو المركزي بتاريخ ٢١ من الشـهر الجاري أثناء اختبائهم بمنزل في منطقة سـار ومعهم مجموعة من المطلوبين أمنياً، كان أبرزهم «رضا الغسرة» وزميله حسين البناء

ونقلـت صحيفـة الأيـام عـن مصدر بـوزارة الداخليـة أنه تـم مداهمة المنزل الذي كان يختبئ بداخله الغسـرة بعد أن فرّوا من سـجن المركزي في تمام الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم.

وأضـاف المصـدر أنـه «تم ضبط ٩ أشـخاص آخرين أثنـاء إلقاء القبض علـى الفاريـن من سـجن جو وهم مـن المحكـوم عليهم بأحـكام قضائية والمطلوبين أمنياً».

وبحسـب مـا نشـر بعـض الشـبكات الأخباريـة علـى موقـع التواصـل الاجتماعي «تويتر» فقد «حوصرت إحدى البنايات في بلدة «سار» بأعداد كبيرة من الشرطة والميليشيات المدنية المسلحة وقد تم القبض على كلٍّ:

- رضا الغسرة
- حسين البناء

والكفيف جعفر علي معتوق، سيد محمد سيد محمد، أحمد سعيد علي زهير، حسن علي حسين، حسين جاسم علي جاسم، سيد علوي سيد طالب، أحمد معتوق»

ويكتنف الغموض كيفية وصول الداخلية إلى الغسرة ورفاقه وعما إذا كان المطلوبون قد تواصلوا مع آخرين أو استخدموا الهواتف النقالة أو تم الوشي بهم إلى السلطة من قبل أحد ما!

وتعتبر هذه هي المرّة الثانية التي ينجح فيها رضا الغسرة المحكوم بعدة أحكام تصل إلى أكثر من ٨٠ عاماً في الهروب من السجن؛ ويعاني «رضا» في سجنه من التضييق المستمر والاستهداف من قبل الضباط وقد اشتكى في وقت سابق من تعرضه إلى التعذيب الشديد.

اقتيد الشاب الذي سيصبح أسطورة المقاومة مكبّلاً.. إنه مشهد مأساوي عندما ترى «ثورة معتقلة» وأسداً مكبّلاً بالأغلال!

******

في مبنى جهاز أمن الدولة.. وفي أقبية التعذيب استقبل الضابط الأموي الحاقد ذلك الليث الأسير.. قال «المناعي» وقد ارتسمت ابتسامة صفراء على وجهه الكالح:

- ليش تهرب؟! كل ما تهرب بنجيبك احنا! لا تتعب نفسك!

بعينين تتوهج فيهما ثورة فتية أجاب الأسير:

- أنا هربت.. وبعد بهرب من السجن!

******

كان يـوم الأربعـاء عصيباً على الأسـير ومع ذلك فقـد كان فرح عميق يشـعّ فـي أعماقـه.. يـوم ٢٢ جمـادى الثانيـة.. ذكـرى سـعيدة.. في مثل هذا اليوم قبل أكثر من أربعة عشـر من القرون أطلت على الوجود حوراء إنسـية.. في زمن الأسـرار ولدت فاطمة.. كائن طيني مضمّخ بعبير جنات الفـردوس.. مـن أجـل هـذا كان رسـول الله عندما يشـتاق إلى الجنـة يقبّل فاطمـة.. يشـمّ أريـج الزهـراء.. فيهـا عبيـر وشـذى ورائحـة الأرض.. أرض الوطـن.. بالرغـم من ذلك اليوم العصيب كانت نقطة مضيئة تشـعّ بالفرح في حنايا قلبه.. فـ«شيعتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»

ألقـي الأسـير فـي الزنزانـة وحيـداً بعيـداً لا يـرى غيـر جلّاديه القسـاة الغلاظ..

وتمرّ الأيام ورضا يقاسي رحلة العذاب تحت سياط الجلّادين.. مكبّل اليديـن والقدميـن معصـوب العينين إمعانـاً في تعذيبه.. ومـع ذلك كان يـؤدي الصـلاة.. فـي داخلـه سـاعة تعمـل بانتظام تشـعره بحلـول وقت الصلاة..

٢٤ أيار-مايو ٢٠١٤

وتـدور الأيـام.. وتنطوي الليالـي.. لم يعد رضا يكتـرث لحركة الزمن.. في أعماقه شـعور بالطمأنينة والسـكينة والسـلام.. الجلادون يراقبون من

خلال الكاميرا وكان يغيظهم مشهده وهو يصلّي..

اقتحموا عليه صلاته.. أرادوا منعه من الصلاة! أجاب ببسالة القلب الشجاع:

- إلّا الصلاة! إلّا الصلاة!
- الصلاة خط أحمر!

بعد فترة قاسية من التعذيب والعذاب تقرر نقل الأسير إلى سجن جو المركزي.. وهكذا الأمر لرفيق الدرب حسين البناء الذي كُسر أنفه جرّاء التعذيب.

ألقي رضا في زنزانة انفرادية في مبنى ٢.. وبقي مقيّداً.. الزنزانة التي يقع فيها الأسير تقع في جوار العيادة وكانت زنزانة معزولة عن بقية الزنازين في المبنى العتيد.. لم يتوقف الجلادون عن تعذيبه.. فقد كانوا بين فترة وأخرى يقتحمون عليه الزنزانة ويقومون بضربه.. الأسابيع الأولى كانت عصيبة على رضا غير أن ذلك الأسير وبقلبه الشجاع المطمئن لقدر الله ينظر إلى هذه المحنة فيراها نعمة.. تشرّب في أعماقه كلمات رسول الله ﷺ:

- لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرى النعمة في البلاء والغفلة في الرخاء، ولذا يكون الصبر في البلاء خير من الغفلة في الرخاء

يحاول الاتصال بـ«عالم ما وراء جدران» الزنزانة.. من خلال فتحة الباب رأى أحد العاملين في الصليب الأحمر الدولي.. كان يسأل الشرطي عن زنزانته وعمّن فيها!

فيقول الشرطة: هذه محطة كهرباء!!

خطرت في باله أن يضرب بكفه على الباب لإخبارهم بأنه مودع في هذه الزنزانة.. هذه ليست محطة كهرباء!

لكن رضا تراجع في اللحظة الأخيرة.. كما لو أنه شعر بصعقة كهرباء! أليس هذا شركاً؟! أليس الله بكافٍ عبده؟! فأين التوكل على الله وحده؟! تداعت في داخله خواطر عما كان يقاسيه الإمام موسى الكاظم في ظلمات السجون.. في «المطبق» وكان طامورة تحت الأرض لا يميز فيها الليل والنهار.. حتى أنه صلوات الله عليه دعا الله أن يخلصه مما كان يعانيه:

- يا مخلص الشجر من بين ماء وطين!

يا مخلص الجنين من بين مشيمة ورحم

خلصني من سجن هارون!

راح يشدو وحيداً في زنزانته:

- خاوي الكفيّن جئتك إنما حبي لأهل البيت كل وسيلتي!

أجل إن كل ما يملكه المرء هو حبه لآل محمد صلى الله عليه وآله!

وقد قالت فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

- ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً

تسرّبت أخبار كثيرة وانتشرت على مواقع التواصل عما يعانيه رضا الغسرة من تعذيب مستمر في زنزانة انفرادية معزولة في المبنى ٢..

وإنه ما يزال يعاني من مضاعفات التعذيب!

ثمة قوة من الكوماندوز تابعة لجهاز الأمن الوثني متمركزة على الدوام ما يشير إلى خطورة ذلك الأسير الباسل..

بدأ الكلام في مواقع التواصل الاجتماعي حول ما يعانيه رضا الغسرة في زنزانته من معاملة قاسية..

عمدت السلطات الأمنية إلى خطوة تكشف عن خبث النظام الأموي الخليفي.. ثم جلب سجين من المحكومين في قضايا جنائية ليكون مع رضا الغسرة في زنزانته.. وكانت السلطات تحرص على استبدال هذا السجين الجنائي أسبوعياً فلم تكن تمسح ببقائه أكثر من أسبوع واحد..

اكتشفت السلطات أن رضا كان يعطي لهؤلاء السجناء دروساً في العقيدة الإسلامية ويعرفهم على جوانب من سيرة الأئمة الأطهار.. إلى جانب تعليمهم دروساً في فنون القتال..

ودسّت السلطات بعض عملائها لتتعرف على ما كان يفكر فيه رضا الغسرة..

خريف ٢٠١٤

أطل خريف ٢٠١٤ حزيناً يثير مشاعر الحنين وقد مرت أسابيع على اجتياح قطعان داعش الوهابية للأراضي العراقية وارتكاب مذابح بشعة.. عملاء اليهود يتآمرون وتقع مأساة «سبايكر» التي هزت ضمير العالم وكشفت عن بشاعة الجماعات التكفيرية التي ولدت من رحم الوهابية.. الشجرة الملعونة في القرآن..

وقد شدّت أنظار العالم حوادث اليمن وظهور جماعة «أنصار الله»..

وفي العراق ومن قلب الحوادث المزلزلة انبثقت المقاومة العراقية وظهرت كتائب حزب الله وقوات الحشد الشعبي للدفاع عن الأرض والعرض..

والتحمت قوى المقاومة.. عبرت حدود الجغرافيا والتاريخ لتلتحم بثقافة عاشوراء وترتفع راية: هيهات منا الذلّة من جنون لبنان إلى شمال العراق إلى اليمن والقطيف والبحرين وفي كل أرض عندما يعيش في الثرى «يزيد» و«اليهود» سينهض الحسين من جديد.. و«ذو الجناح» من قرارة الفرات والمياه قادم يسابق الصهيل فتقرع الطبول وتسرج الخيول.. ويُهزم الموت أمام صرخة الشهيد.. وينهض الحسين من جديد..

ذو الحجة يلملم أيامه الأخيرة والعام الهجري ١٤٣٥ هـ يوشك أن يرحل وقد انبعث عبير الكرامة وأطلّ موسم «الغضب المقدس»..

تمكن رضا من التواصل مع رفيق الدرب حسين البناء والتفاهم واتخاذ القرار الشجاع.. وسرعان ما انتشرت أصداء الثورة الصامتة..

- رضا الغسرة وحسين البناء يقرران الدخول في إضراب مفتوح عن الطعام..

بأيدي خالية.. بل بأيدي مكبّلة وخاوية يعلن رضا وحسين الحرب ضد النظام الأموي.. يطالبان بالسماح لهما في إحياء مراسم عاشوراء! والمشاركة مع بقية السجناء!

انتشر الخبر في «مباني جو».. وتمرّ الأيام عصيبة.. تضامن العديدون

معهما..

كان رضا متمدداً في زنزانته وقد وضع في أذنه سماعة «mp٣» وكان «الرادود الحسيني» يشدو بقصيدة تحكي فصولاً من محنة أهل البيت عليهم السلام:

- يا سبع الدجيل أنخاك!
- حاشا تخيّب الظنّة!

«سبع الدجيل».. على ضفاف نهر دجلة في مدينة «بلد» جنوب «سامراء» تتألق قبّة شمّاء ومآذن تعانق السماء.. يرقد في ظلالها شاب من «آل محمد» كان في الحادية والعشرين من عمره عند اغتياله في طريق عودته إلى مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله.. قام جلاوزة نظام المتوكل العباسي باغتياله.. ذنبه الوحيد أنه ابن الإمام علي الهادي الذي فرض عليه النظام الغاشم الإقامة الإجبارية في سامراء ليكون تحت المراقبة ليل نهار..

وكان «المتوكل» الطاغية قد أمر بجرف مرقد الإمام الحسين عليه السلام وحرث جميع الأراضي المحيطة ولم يكتف بذلك بل أمر بإغراق المنطقة بالمياه حيث اندفعت أمواج نهر الفرات باتجاه أرض الطفوف ومن أجل أن تندثر جميع معالم المرقد الطاهر.. غير أن مياه الفرات كانت تدور حول بقعة الحم الحسيني التي تحولت إلى جزيرة وسط الأرض المغمورة بالماء ليولد «الحائر الحسيني» منذ ذلك اليوم.. محمد بن الإمام علي الهادي النقي في «بلد» يستحيل إلى مرقد مبارك يشعّ على من حوله بالبركة والخير ويقصده المؤمنون للتبرك بزيارته والدعاء تحت قبته.. وما

أكثر الكرامات التي ظهرت له.. فأصبح مزار يقصده الناس من مناطق نائية..

عندما دوّت الكلمات في أذن رضا..

- يا سبع الدجيل.. حاشا تخيّب الظنّة

تأجج في أعماقه عزم رغم جسده الضاوي بسبب الجوع.. نهض من فراشه للوضوء ووقف بين نور السماوات والأرض.. فصلّى ركعتين وراح يتوسّل إلى الله عز وجل بـ«سبع الدجيل» بذلك الإنسان الطاهر الشهيد.. راح يتوسّل بـ«محمد بن علي الهادي» في أن يخلصه الله سبحانه من هذه الزنزانة.. ويشارك في مراسم عاشوراء!

في الصباح الباكر بدأ يجمع أغراضه الشخصية.. سوف يتحرر من هذا المكان الضيّق ويلتحق بإخوته لإحياء مراسم العزاء الحسيني.. «برّز» أغراضه وراح ينتظر..

حضر الشرطي وقام بفتح باب الزنزانة ويخاطب رضا قائلاً:

- برّز أغراضك!

قال رضا والطمأنينة تملأ نفسه:

- أغراضي بارزة

قال الشرطي بدهشة واستغراب:

- شلون عرفت؟! القرار الآن وصل!

- لأن القرار مو من عندكم! من جدي عرفت

وهكذا نقل رضا وحسين إلى المبنى ١ في «العزل» المكان المخصص للمحكومين بالإعدام..

لفظ هلال ذو الحجة آخر شعاع له ليدخل في المحاق.. ليشرق بعد ساعات الغياب هلال محرم بابتسامته الحزينة.. ليبدأ العد العكسي لذكرى ملحمة عاشوراء الخالدة..

رضا الغسرة البالغ من العمر أربعة وعشرين عاماً يستحيل إلى إنسان آخر.. في أعماقه تتأجج ثورة كبرى تتوهج في أعماقه كلمات ما تزال تشمل على عنوان الكرامة الإنسانية: هيهات منا الذلّة.. يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهرت من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.. رضا يصبح أكثر تحدياً وأكثر عناداً وأشدّ تمرّداً!

أراد «الضابط الأموي» إرهاب رضا، قاد قطيعه من الذئاب البشرية وجاء إلى رضا وراح يصرخ ويعربد ويهدد ويتوعد..

رضا يجيبه بلغة الصمت مع ابتسامة فيها سخرية! صرخ الضابط وهو يكشر عن أنيابه:

- أنا براويك! أنت الي تخالف القوانين؟! وتتمرد على القوانين؟!

قال رضا بلهجة فيها بسالة القلب الشجاع:

- أنا ما اعترف بنظامكم.. لو كنت مو متمرد على نظام آل خليفة وعليكم.. ما شفتني موجود هني
- والنقطة الثانية.. مو أنت الي تهددني.. وأنت تعرفني! أنا الي براويك.. مو أنت الي بتراويني

فوجئ الضابط الأموي بهذه اللغة الثائرة.. اللهجة المتحدّية.. فانطفأ صراخه فجأة وانسحب من المكان وهو يجرّ أذيال الهزيمة.. يبدو أن مشاهد اغتيال الضابط الإماراتي «الشحي» في آذار-مارس قبل بضعة أشهر قد تراءت في مخيلته..

«سرايا الأشتر» تعلن مسؤوليتها عن اغتيال الضابط المرتزق في ٣ آذار-مارس ٢٠١٤!

أدرك أن رضا لا يطلق تهديداته.. كلماته وهو يهدد الضابط: أنا براويك ليست بالونات فارغة.. إنها قذائف وحمم.. لهذا فضّل الانسحاب.. تحوّل إلى جرذ خائف وكان قبل لحظات يزأر مستأسداً وهذه هي طبيعة الجبناء!

الفصل العاشر

إلى زنزانة انفرادية في «مبنى ١» العزل حيث حشر المحكومون بالإعدام وحيث لا يسمح لأحد بالكلام معهم.. نقل رضا الغسرة ورفيق الدرب حسين البناء.. طول الزنزانة أقل من ٤ أمتار وعرضها أقل من مترين ويتعيّن على السجين أن يمضي داخلها ٢٢ ساعة يومياً..

رضا الغسرة ينظر إلى نفسه على أنه أسير حرب يخوضها ضد الغزاة القادمين من صحراء نجد.. آل خليفة وآل سعود غصنان من الشجرة الملعونة في القرآن..

آل سعود وآل خليفة وآل داعش الوهابيون يشعلون الحروب في سوريا واليمن والبحرين والعراق والحجاز..

لذلك يحاول رضا أن يبث في روح السجناء روحية التمرّد ضد الغزاة المحتلين.. يعلنها صراحة:

- أنا لا اعترف بنظام آل خليفة!

يرفض أن يخاطب السجين ضباط المخابرات: سيدي!

أعلنها صراحة:

- سيدي محمد وآل محمد!

منذ اليوم الأول بدأ رضا الغسرة في زنزانته الجديدة بالتعرف على سجناء العزل..

رضا الغسرة الذي وصلت الأحكام الجائرة بحقه إلى أكثر من مئة عام.. ما يزال يواصل تمرّده ويخوض الحرب الشاملة ضد النظام الخليفي الغاشم.. يمضي أوقاته في باب الزنزانة يتحدث مع الجميع.. يتواصل مع الجميع.. لا يعترف بقوانين السجن التي تحظر عليه الكلام مع المحكومين بالإعدام في المبنى ١..

لا أحد يعرف كيف أمكنه الحصول على «النقّال» الذي تمكن من خلاله اختراق الأسوار وعبور الحدود الدولية..

«heart brave» يسيح في الأرض المحتّلة يشهد المعارك الطاحنة التي يخوضها أنصار الله ضد الوهابيين الغزاة.. يشهد الصراع الدامي الذي تخوضه كتائب حزب الله في شمال العراق.. قلبه الشجاع على رجال الحشد الشعبي الأشدّاء وهم يخوضون المعارك الضارية ضد قطعان داعش الوهابية..

تأججت في أعماقه ثورة وهو يصغي إلى الفتوى التاريخية للسيد علي السيستاني من على منبر الجمعة في كربلاء:

- إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر.. تقضي

بالدفاع عن العراق وأهله..

- إن العـراق وشـعبه يواجـه تحديـاً كبيـراً وخطيـراً وأن الغـزاة يستهدفون احتلال بغداد وكربلاء والنجف ولن يكتفوا بالموصل وصلاح الدين..
- ولتكونوا شجعاناً ثابتين وليكن شعاركم البسالة والصبر..
- وإن من يضحي منكم يكون شهيداً إن شاء الله..

أحياناً تشـدّه مشاهد من المعارك الضارية التي يخوضوها رجال أنصار الله في اليمن.. ورجال الحشد الشعبي في العراق.. ورجال حزب الله في جنوب لبنان.. يحترق شوقاً كلما وصلته من رفاق الدرب صور جديدة عن معارك أنصار الله الأبطال..

تتداعى في ذاكرته أرض اليمن الخصيب وهو يطوي المسافات الطويلة بشـاحنته.. مـا يـزال يتذكـر طبيعـة الأرض اليمنيـة المعطاء.. تلـك الأرض التي اهتزت وربت وأنجبت أنصار الله.. كما أنجبت بالأمس القريب أرض الجنـوب اللبناني شـباب حزب الله وفي بـلاد ما بين النهرين كتائب حزب الله.. هذه الأرض المعطاء.. ستبقى تنجب الشهداء.. إنها تنتمي إلى أرض كربلاء منذ أن مسـتها شـرارة عاشـوراء.. انتقل رضا الغسـرة ورفيق الدرب حسين البناء إلى المبنى ١ وقد أطلّ موسم الغضب المقدس.. وليبدأ فصل جديد من فصول المقاومة داخل أسوار «جو» الرهيب.. يستحيل المبنى ١ إلى قلعة محاصرة ومنه إلى سائر المباني يسري الروح..

تغيـرت كثيـر مـن الأمـور.. العديـد مـن المعتقليـن تغيّـرت رؤاهـم.. ينظرون إلى أنفسـهم كأسـرى حرب.. لا إلى سـجناء محكومون وبعضهم

ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك.. بدأ ينظر إلى نفسه فيشعر بأنه إنسان حر لأنه حطم الجدار الخامس.. ألا وهو جدار الخوف من الطغاة..

رضا الغسرة كسر حاجز الخوف.. في نفوس الذين شاهدوه وهو يهدد جلاديه ويتوعدهم بـ«ردٍّ حازم».. يتوعدهم بـ«رصاصة»!

ولأنه عشق الشهادة في سبيل الله.. أضحى الموت في نظر الكثيرين قنطرة تعبر بهم إلى عالم مفعم بالصفاء..

نهايات خريف ٢٠١٤

في وقت متأخر من الليل وقد هجع الجميع وسادت السكينة وقبيل ساعة السحر كان رضا الغسرة ومن على صفحات التواصل.. يستغرق في مشاهد مثيرة من المعارك التي يخوضها المؤمنون في أرض اليمن والعراق والشام.. بعدها ينهض لصلاة الليل.. ثم يؤدي صلاة الفجر.. يؤذن للصلاة.. يهتف بالوحدانية لله عز وجل.. ولمحمد بالرسالة.. ثم تصدح حنجرته: أشهد أن عليّاً ولي الله.. فتهتز أغصان الشجرة الملعونة في القرآن..

وبعدها يقرأ زيارة عاشوراء.. التي تتضمن تلاوة البيان الأول من النهضة الحسينية الخالدة بوجه الطغاة.. كل الطغاة..

وفي ذلك اليوم الخريفي كان رضا الغسرة.. يستغرق في مشاهدة مقاطع تقطع نياط القلب.. مشاهد لشباب غارق في دماء الشهادة.. في اللحظات الأخيرة لعروج الروح.. شباب باسل يدافعون عن حرم السيدة زينب الكبرى.. حتى لا ينتهك قطعان داعش حرمة مرقدها الطاهر كما

انتهكوا حرمة مرقد الصحابي الشهيد حجر بن عدي الكندي.. المرقد الذي يذكّر بـ«مذبحة مرج عذراء» في ضواحي دمشق..

لأن حجر بن عدي وابنه ورفاقه لم يتبرؤوا من الإمام علي بن أبي طالب صوت العدالة والإنسانية.. أمر معاوية بن أبي سفيان صحزبن حرب بقتلهم..

حجر بن عدي الشهيد دفع حياته لأنه يهتف عالياً:

- أشهد أن عليّاً ولي الله!

انتبهت أخته إلى حضور شقيقها في «المجموعة» الخاصة بالأسرة.. سألته: ماذا يفعل في هذا الوقت.. بين الطلوعين: طلوع الفجر وطلوع الشمس؟! أجاب أنه يشاهد بعض المقاطع.. أرسل رضا إلى شقيقته بعض المقاطع.. كانت تشتمل على مشاهد مؤلمة.. شباب بعمر الورود أجسادهم مضمخة بالدماء القانية في اللحظات الأخيرة.. أرواحهم تستعد للرحيل والعروج.. أغلقت الهاتف ولم تتحمل المشاهدة.. وأضمرت في قلبها عتاباً لشقيقها.. عتاب فيه شيء من الإعجاب بـ«القلب الشجاع» كيف أمكنه مشاهدة مثل هذه المقاطع المؤلمة؟!

التقى رضا أسرته.. والدته وشقيقته وجهاً لوجه.. قالت شقيقته:

- كيف يستطيع قلبك تحمل النظر إلى هذه المقاطع.. وفي ذلك الوقت؟!

ابتسم من كل قلبه وقال:

- استعدوا من الآن لشهادة أحدنا.. نحن نسير في طريق ليس فيه

مجرد سجن ومطاردة.. بل شهادة.. ولا بد أن ينالها أحدنا..

نظر إلى والدته الصابرة.. أراد أن يقول لها استعدي يا أمي لهذا الأمر!

الأم قلبها موزع هنا وهناك.. لها بنون أربعة بين سجين وطريد وشريد..

قالت:

- يا ولدي نتمنى لكم الشهادة.. ولكن مع الإمام الحجة

قال رضا وقد تألقت حالة من الرضا في عينيه:

- لا.. لا.. استشهد الحين.. وبعدين أرجع واستشهد معاه!

رضا الغسرة يؤمن بأن الفصل الأخير من تاريخ الإنسانية سيكتبه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت.. وهو مستعد للاستشهاد الآن.. والاستشهاد في المستقبل لأنه يؤمن إيماناً عميقاً بـ«يوم الرجعة».. إنه يوم من أيام الله!

يوم موجود في ضمير الغيب.. إنه يوم الرب.. «وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ»

ذهنه يعبر حدود الزمان والمكان.. قادم من هناك.. من أرض كربلاء.. من يوم عاشوراء.. حيث ينصهر الماضي بالحاضر والمستقبل..

رضا الغسرة في ذلك اليوم.. في تلك الزيارة التقت عيناه بعيني شاب هو الآخر قدم لـ«الزيارة» زيارة أخيه المعتقل.. إنه «حسن شكر» الذي سيكون له شأن.. حسن شكر من «بني جمرة» القابضين على الجمر..

Brave heart

في اليوم التالي.. تلقى حسن شكر من أحد أقاربه اتصالاً: حمّل برنامج تلغرام.. هناك شخص يريد أن يتكلم معك..

حسن شكر يقوم بتحميل البرنامج.. جاءته إضافة من اسم «brave heart».. عرّف نفسه: أنا رضا الغسرة!

سأله عن أحواله وعن الحراك الشعبي في «بني جمرة».. حثه على التمسك بهذا الحراك والمداومة على هذا الطريق المليء بالجمر..

وتمرّ الأيام وينطوي العام ٢٠١٤ يلملم آخر أيامه ليطل عام جديد.. عام تحمل سماؤه غيوماً مخزونة بالبروق والرعود.. والرياح والمطر..

يتلقى حسن شكر اتصالاً من رضا في منتصف الليل.. كانت ليلة شتائية قارسة البرد..

تحدثا عن الحراك الشعبي.. تحدثا عن المعارك الضارية التي يخضوها أنصار الله ومقاومة عدوان آل سعود.. عن الملاحم التي يسطرها الحشد الشعبي وهو يقاتل قطعان داعش الوهابية دفاعاً عن الأرض والعرض.. اقترح رضا على حسن فكرة السفر إلى العراق وتلقي التدريبات العسكرية والقتالية في معسكرات المقاومة الإسلامية هناك.. وتقرر السفر في شباط-فبراير.. ونصحه أن يتعلم هناك الأمور الأمنية وفك وتركيب الكلاشنكوف و«bkc» وكيفية صناعة المتفجرات.. وكيفية استهداف المحتلّين وصناعة العبوات التلفزيونية والصحنية.. كان حسن شكر مندهشاً من كلام رضا.. كان يتصوّره شاباً سجيناً فإذا به أمام ثائر عنيد يخطط من داخل زنزانته ويقود المقاومة وهناك من الشباب من

يتلقى تعليماته ويتواصل مع العديد من قادة الحراك هنا وهناك!!

هبوب العاصفة

بدت الأجواء في «جو» هادئة.. يسودها سكون مهيب.. إنه من نوع السكون الذي يسبق هبوب العاصفة..

كما تتجمع السحب في السماء وتتراكم الغيوم المخزونة بالبروق والرعود.. كانت الإرهاصات لانفجار الأحداث في «جو» تتحشد شيئاً فشيئاً..

مبنى الرموز شباط-فبراير ٢٠١٥

في «مبنى ٧» يقبع ثلاثة عشر أسيراً حقوقياً وسياسياً في عزلة شبه تامة عن كل ما يدور في عالم «جو» الرهيب . عرفت هذه المجموعة بـ«مجموعة الرموز».. إنهم قادة ورموز الحراك الشعبي الذي دوّى في ١٤ فبراير ٢٠١١.. حتى النوافذ المطلّة على ساحات السجن أغلقت.. حتى زيارات العيادة الطبية لم يكن مسموحاً بها إلّا بعد التأكد من خلوّها من السجناء تماماً..

تناهى إليهم في ذلك اليوم البارد صوت ارتطام حجر بالسياج الحديدي فوق الباحة الخارجية لهذا المبنى الخطير.. كما يحدث وقوع الحجر في المياه الراكدة.. أحدث صوت الحجر هزّة في نفوسهم.. كان الحجر مربوطاً بعلبة بلاستيكية فارغة.. تبيّن أنها لم تكن فارغة.. كان فيها رسالة كالتي يكتبها المسافرون في «البحر» ويضعونها في «زجاجة» فارغة

مسدودة الفوهة بإحكام.. «الزجاجة» البلاستيكية فيها رسالة موجهة من المبنى ٦ الملاصق تماماً للمبنى ٧ والمخصّص لـ«الأحداث» دون سنّ الثامنة عشر.. «الرسالة» تشرح أوضاع السجناء السيئة.. تمكّن الرموز من التواصل معهم والتعرف على مطالبهم.. وتوصّل الجميع إلى اتفاق للبدء بإضراب تضامني عن الطعام.. استمر الإضراب مدّة أسبوع.. انتهى بوعود من الإدارة بـ«الالتفات» إلى أوضاعهم و«الاهتمام» بمطالبهم..

ظهيرة ١٠ آذار-مارس ٢٠١٥

في ظهيرة الثلاثاء تنطلق صرخات من المبنى ٦.. الشباب يعتلون المبنى المقابل لمبنى الرموز..

السجناء ينتفضون ويبسطون سيطرتهم على المبنى ٣ والمبنى ٤.. ماذا يجري؟!

طائرة هيليكوبتر تحوم كنسر أسطوري فوق مباني «جو»..أزير الرصاص يدوي وقنابل تنفجر.. ورائحة الغازات المسيلة للدموع تملأ أجواء «جو»!!

حلّ المساء.. هتافات ترتفع كما لو أن هناك تظاهرة حاشدة:

- عاش! عاش بو سلمان!

يرتفع النشيد الملكي!!

صبيحة ١٠ آذار-مارس ٢٠١٥

من مدينة «شهركان» تنطلق سيارة نحو قرية «جو» حيث يربض

سـجن جـو المركـزي القريـب مـن السـاحل.. «أم جميل» شـقيقة الشـهيد أحمد عبدالنبي الذي استشهد في ٢٤ آذار-مارس ٢٠١٢ تصطحب أبناءها الأربعـة علـي ومحمـد وإشـراق وحسـين ومعها شـقيقتها زهراء وشـقيقها محمود وابنه محمد.. أم جميل تريد زيارة ابنها جميل البالغ من العمر ١٩ عاماً والمحكوم بالسـجن ٣ أعوام وكذلك زيارة شـقيقها حسـين عبدالنبي المحكـوم بالسـجن ٢٥ عامـاً وزيارة ابن أخيها «علي» المحكوم بالسـجن ٧ أعوام..

سـلطات السـجن لم تسـمح لـ«زهـراء ومحمود وابنـه محمد» بدخول صالة الزيارة..

أم جميل تنتفض بوجه الجلادين تطالب بحقها بزيارة ابنها وشقيقها.. الجلادون يدفعونها وكانت حاملاً وعمر جنينها سـتة أشـهر.. اعتقلوها مع شقيقتها زهراء وطردوا أبناءها..

أبو جميل كان خارج البلاد بحثاً عن لقمة عيش كريم.. ففرص العمل في بلده للغرباء.. للغرباء فقط..

احتجـزوا شـقيقها محمـود وطـردوا ابنه مـع أبنائها الأربعـة.. محمود يصاب بنوبة صرع!

الاعتداء على النساء فجّر موجة الغضب في «جو»..

انتفض السـجناء! ودقت سـاعة القدر.. الساعة التي تنتفض فيها إرادة الإنسـان الحر.. وعندها لابد للقيد أن ينكسـر.. إن الثورة التي شـارك فيها الطفل الرضيع لن تقهر..

الثورة التي يشارك فيها الأجنة في بطون أمهاتهم ثورة تعرف مسارها.. ثـورة لـن تنطفئ شـموعها أبـداً.. في يـوم ١٠ آذار-مـارس ٢٠١٥.. اندلعت الشرارة في مبنى رقم ٦ المخصص لمن هم في الثامنة عشر إلى العشرين عاماً وسرعان ما سرت إلى المبنى رقم ٣ المخصص لمن لم يبلغوا الثامنة عشر فما دونها.. هذه الشرائح النقية تماماً.. عادة ما تتميز غضباً..

اعتـاد رضـا على سـماع ما يجري من «مشـاكل» في هذيـن المبنيين.. وتصـوّر أن مـا يجري جزءً مـن الروتين الذي اعتادت عليـه «الأجواء» في جو!

رضا في مبنى العزل.. تناول غداءه.. وعادة ما تنفتح أبواب الزنزانات على بعضهـا البعـض فـي مثل هذا الوقـت.. عاد إلـى زنزانتـه وتمدد في فراشه ليأخذ «غفوة»..

كان قـد أجـرى محادثـة مع صديق له خـارج البحرين من خلال جهاز النقـال الـذي تمكّـن مـن تهريبـه إلـى داخـل الزنزانـة.. قبـل أن يغفـو.. تحطمـت أجـواء «الهـدوء» وانتبـه إلى صرخات وأشـياء تتكسـر وضربات تتوالـى علـى الأبواب الحديديـة القاسـية.. أعقبتها أصـداء هتافات.. قال في نفسه:

- «مشاكل» المبنى ٣ لا تنتهي.. هذا مبنى المتمردّين!

ابتسـم فـي أعماقـه.. أحياناً يبـدي إعجابه ويقـدّر هذه الجـرأة وهذا الإقدام..

أغمـض عينيـه على أمـل أن يغفو.. امتـد يده إلى هاتفـه النقال.. فتح الهاتف وراحت عيناه تلاحق الأخبار المثيرة..

- قوات المرتزقة تهاجم المبنى ٣ لقمع «التمرّد»

فـي البدايـة لم يعر ذلـك اهتمامـاً.. فالهواتف النقالة منتشـرة في كل مكان من «جو».. والبعض يبالغ أحياناً في ما يجري ويجعل من «الحبة» «قبّة» كما يقال!

وعـادة مـا تتضـارب الأخبـار وتضيـع الأخبـار الحقيقيـة تحـت ركام «الأكاذيب»!

كان لـ«رضـا» أصدقـاء فـي المبنـى رقم ٣.. لم يسـتلم منهم أية رسـالة حول ما يجري.. لذلك لم يكن متحمساً للأخبار.. انبعثت على حين غفلة أصداء الصرخات وتعالى ضجيج.. إذن هناك شيء ما يجري..

نهـض مـن فراشـه.. شـعر أن عليـه أن يتحقـق مـن الأمـر بنفسـه.. شـاءت الأقدار أن تكون القاعة الخارجية لمبنى العزل في تلك السـاعات مفتوحـة.. وكذلـك أبـواب الزنزانـات.. فهـذه الأمـور تخضع لمـزاج قوات السـجن المركـزي.. سـرعان مـا عمّت الفوضـى.. الخوف يـدبّ في نفوس المرتزقة.. لم يفكروا في إغلاق باب الصالة ولا أبواب الزنزانات بل أنهم فرّوا خارج المباني..

توجـه رضـا إلى الفتحات الصغيـرة في باب الصالة المطـل على العنبر الشـمالي وهو العنبر رقم ١.. ذهب يسـترق النظر.. وقع بصره على شباب كان من المفروض أن يكونوا في عنبر آخر!!

نـادى رضا عليهم.. سـألهم عمـا يجري.. أخبـروه أن المبنى ٣ والمبنى ٤ قـد تـم الاسـتيلاء عليهمـا.. وإن موجات من هذا الغضـب المقدس قد امتـدت لتعـمّ المـكان.. ثمـة حـوادث مزلزلة تجـري داخل مبنـى ٦ و٣..

تساءل رضا عن الشرارة! فجاء الجواب: المرتزقة يعتدون على امرأة جاءت للزيارة.. الخيوط تتجمع لتنسج قصة جديدة أو فصلاً جديداً من ثورة مقهورة.. المرأة شقيقة حسين عبدالنبي المعروف بالضخم وأحمد عبدالنبي جاءت لزيارة شقيقها وابنها علي.. حسين معتقل منذ فترة طويلة.. قلبه العامر بالإيمان ينبض بانتظام في أحرج الظروف.. الشباب المنتفض يتوجه إلى «العزل».. يسألون رضا عمّا إذا يريدون فتح الباب والمشاركة؟

أجاب رضا على الفور: نعم! وهكذا انبرى حسين البناء وفهد.. أما ماهر الخباز وبسبب بعض التجارب السابقة لم يكن متفائلاً.. التزم جانب الحياد.. لم يعترض على فتح الباب..

سرعان ما فتح الشباب الثائر الباب وخرج رضا بأقصى سرعة لاستكشاف محيط السجن.. في ذهنه تتبلور خطة عاجلة لتنفيذ عملية هروب جماعي وتحرير أكبر عدد ممكن من الأسرى..

وجه رضا بعض رفاقه هنا وهناك لاستكشاف حجم الاستنفار الأمني.. صعد بعضهم إلى سطح المبنى.. أكدوا لرضا بأن القوات الأمنية قليلة جداً.. يبذلون جهدهم للسيطرة على الأوضاع قبل تفاقمها.. وحتى لا تطالهم الإجراءات العقابية.. ويبدو أن مدير السجن لم يوجه أي بلاغ إلى وزارة الداخلية حول ما يجري.. كان يخشى غضب الوزير الذي لا يصطلى بناره..

صعد رضا سطح المبنى لكي يكون على بيّنة أكثر من الأمر.. المرتزقة لم يكونوا مستعدين لما يجري الآن.. كانوا في غاية الارتباك.. وجه رضا

نداءه للشباب الثائر:

- يجب أن يكون الهدف تحطيم القيود.. التحرر.. الحرّية.. وليس الاحتجاج فقط!

تداول رضا مع رفاقه الخطة الطارئة.. واستثمار هذا الانفلات الأمني.. ومباغتة «الكونتر» والخروج من مبنى رقم ١ فهو الأقرب للبوابة الرئيسية.. وتحرير مئات الأسرى أما كيفية نقلهم إلى مناطق متفرقة من البحرين فقد وضعت خيارات عديدة لذلك..

كان رضا قد عقد العزم على تنفيذ العملية.. وفي كل الأحوال كان يدرك أنه سيتعرض للتعذيب الشديد وقد يستشهد تحت التعذيب حتى وإن لم يشارك في الحوادث، فالمرتزقة سينتقمون من الجميع.. رضا لم يكن يريد التعرض للتعذيب لمجرد إظهار الاحتجاج.. عوّل رضا على التحاق السجناء به إذا ما نفّذ عملية الهجوم ويرون بأنفسهم كيف تتحطم القيود والأغلال.. وكيف ترتفع راية الحرية عالياً..

فوجئ رضا ورفاقه بأن الكونتر كان مقفلاً وإن المفاتيح بحوزة بعض السجناء.. وحدث الجدل بين «الأخوة» وذهبت «ريحهم»..

طرح رضا خطى أخرى للهروب واقترح أحدهم أن يكون من سطح المبنى.. لم تكن الفكرة واقعية.. لأنه من السهل إلقاء القبض على الهاربين.. ولن تحقق هذه الخطة فكرة التحاق السجناء بهم! لأنها ستكون بعيدة عن «المشهد» ولن يكون لها ذلك التأثير الوجداني..

كان رضا يعمل على خطة سرّية هو و حسين البناء على الهروب من سجن جو.. لكن ما جرى من حوادث.. أصبحت فكرة الهروب أمراً

مستحيلاً..

في غمرة الحوادث والصخب التفت حسين البناء إلى رضا وقال:

- رضا! لا أعتقد إن خطتنا السريّة ستنجح بعد ما حدث اليوم!

قال رضا وهو يبتسم بأمل:

- حسين! لا تيأس.. يجب أن نحافظ على خطتنا ولا نفقد الأمل

تراجعت وتيرة الاحتجاجات الغاضبة.. وتسرّب اليأس إلى النفوس! وقد أخذ التعب مأخذه.. لم تعد فكرة الهروب الجماعي واردة بعد الآن.. رضا يركز على المقاومة والدفاع عن النفس وصدّ هجمات المرتزقة.. خاصّة بعد أن رأى بأم عينيه من خلال ثقب صغير «عبدو» أحد المرتزقة من أصول يمنية يصوّب سلاح الشوزن نحو باب الطوارئ وكان في وضعية الاستعداد لفتح النار على كل من يحاول كسر الباب..

كان على رضا أن يحول هذا الاحتجاج إلى ملحمة من المقاومة.. كانت الخطط تتبلور في ذهنه المتوقد.. هتف بالشباب:

- لا مجال لفقدان الأمل!

وجه بعضهم للمرابطة عند باب الطوارئ والتمويه على المرتزقة بأنهم ما زالوا يحاولون كسره..

انطلق رضا مع مجموعة من رفاقه لفتح منفذ آخر عند البوابة التي تقع عند مكان الحلاقة..

غير أن «القوات الخاصة» وغالبيتهم من قوات الدرك الأردني القادمة من «معسكر سافرة» كانت أسرع من رضا ورفاقه، فما أن وصلوا إلى

الباب حتى وجدوا أن قوات خفر السواحل قد طوقت منفذ البحر.. وقد استكملت قوات معسكر سافرة ومعظمها قوات أردنية حصارها حول المباني.. وكانت إحدى المروحيات تحوم على ارتفاع منخفض.. استعرت المواجهة.. وكان الشباب بعزمهم وإرادتهم الفولاذية قد تمكنوا من كسر الباب الحديدي.. كانوا مندفعين كالعاصفة ثائرين كبركان تدفقت حممه على حين غرّة.. وعندما تستيقظ الإرادة تتحطم القيود وتنكسر أبواب الحديد..

أصبحت المقاومة هي الخيار الوحيد.. اتجه رضا ومعه مجموعة من الشباب إلى سطح المبنى.. استخدموا خرطوم إطفاء الحرائق في صعودهم.. ومن فوق السطح شاهد رضا ملحمة الشباب الباسل في مبنى ٤ وكيف كانوا يقاومون بضراوة.. كانوا يرمون بالمكيفات وقناتي المياه على قوات المرتزقة التي تحاصرهم!

كان الشبّان ملثمين غير أن رضا تمكّن من التعرف على اثنين منهم.. ناداهم وحذّرهم من وجود كاميرات مراقبة مستحدثة.. فقاموا بتحطيمها.. ثم تمكنوا من تحطيم أحد الأبراج وقاموا بتحطيم مواسير خزانات المياه.. قناني المشروبات الغازية كانت سلاح المقاومين.. اكتشف الشباب كاميرا مراقبة أخرى وقام رضا بتحطيمها..

ظهر شرطي مرتزق يدعى خالد وكان يعرف بـ«أبو الوليد» قال البعض أنه من أصول سورية وبعض قال أنه عراقي من المنطقة الغربية المتاخمة لسوريا.. غير أنه كان فيما يبدو من سكان منطقة دير الزور في سوريا.. بدأ هذا المرتزق برمي القنابل الصوتية والمسيلة للدموع على سطح المبنى.. تواصلت الاشتباكات بين كرّ وفرّ.. قرر رضا ورفاقه النزول

إلى داخل المبنى.. وقد تعاهدوا على المقاومة.. كان بين المنتفضين شبان متهمون بقضايا جنائية.. كشفت حوادث اليوم المثير عن نفوسهم الخيرة.. كانوا شجعاناً في المواجهة.. فاقوا في شجاعتهم وإقدامهم بعض السياسيين..

حاول الأردنيون خداع المقاومين وإقناعهم بفتح الباب.. ومن خلف الأبواب الموصدة وقد استحال المبنى إلى قلعة.. جرى جدال محتدم.. الأردنيون من بقايا قوم لوط يخاطبون الشباب بأقذع الكلمات من سباب وشتائم..

- يا أولاد المتعة! سنتمتع بأخواتكم!

كان المرتزقة مدججين بالسلاح إلّا أنهم عجزوا عن اقتحام المبنى؛ بل عجزوا عن اجتياز الأسلاك الشائكة المحيطة بالمبنى.. رغم أن الشباب تمكنوا من اجتيازه في الجولات الأولى قبل انسحابهم إلى داخل المبنى..

صعد المرتزقة إلى سطح المبنى وحاولوا كسر الباب.. وقعت إصابات في صفوف الشباب.. أصيب علي صنقور بطلق غازي مسيل للدموع في صدره، وكذلك أصيب الشاب الباسل «م.س» من مدينة عيسى.. لم تكن المعركة متكافئة أبداً.. قوات مدججة بالسلاح وشباب عزّل لا يملكون أية وسيلة للدفاع.. استخدم المرتزقة سلّماً طويلاً لاجتياز الأسلاك الشائكة.. كانوا يصرخون:

- يا أولاد المتعة! يا أبناء المتعة!

وكان الشباب بقيادة رضا يردّون عليهم:

- نحن أبناء علي وشيعته!

وانطلق صوت رضا عالياً يبعث الحماس في نفوس الشباب:

- نحن أنصار الزكية!
- كيف لا نهوى المنية!
- نحن أنصار الحسين!
- نحن أنصار الزكية!
- نحن أنصار الحسين!

استمرت محاولات المرتزقة في اقتحام المبنى.. إلى أن غطست الشمس في مياه البحر.. ونشر الظلام ستائره الحالكة في «جو» وهنا وبسبب التعب والإجهاد وربما خيوط اليأس التي بدأت تتسلل وتنفذ في نفوس البعض انقسم الشباب إلى فريقين.. فريق يرى أن استمرار المقاومة هو الخيار الوحيد.. أما الفريق الآخر الذي بدا وكأنه يخور فقد فضّل العودة إلى الزنزانات..

وفيما بدأ التصدّع في جبهة المقاومة.. تمكنت قوات المرتزقة من الدخول إلى الساحة الخارجية مستخدمين السلّم المتحرك..

كان رضا قد ارتدى الزي البنجابي وأخفى وجهه وراء لثام وحتى في الهجوم على الكونتر تعمد رضا ألّا يكون في المقدمة وقد أدرك الشباب ظروفه، فقوات المرتزقة حاقدين جداً عليه وعلى رفيقه حسين البنّاء..

المرتزقة يقتربون من الباب ومعهم منشار حديد يعمل بالبنزين وبدأوا عملهم بقطع الباب.. بدأ الشرر يتطاير.. الساعة تجتاز الحادية عشرة

وقـد خيّـم الظلام بسـتائره الداكنـة وقبيل الثانية عشـر بدقائـق معدودة بدأت عملية الاقتحام..

طلب الشباب من رضا العودة إلى زنزانته في مبنى العزل حتى لا يتهم بالتحريـض.. رفـض رضا ذلك بشـدّة.. رفض أن يتخلى عن هؤلاء الشـباب الباسل في اللحظات الأخيرة.. غير أن الشباب دفعوه دفعاً وأجبروه على العودة إلى مبنى العزل..

المرتزقـة يفسـرون كل حركـة مـن حركاتـه علـى أنها محاولـة جديدة للهروب..

كان رضـا يجمـع نوى حبات الزيتون ليعمل منها مسـبحة فاتهموه أنه يفعل ذلك لتنفيذ عملية هروب وقالوا أنك تريد أن تستهدف بهذه النوى عيون الشرطة!!

دفـع الشـباب برضا إلى خلف بـاب مبنى العزل وأحكموا غلق الباب.. وبدا كل شيء عادياً وكأن رضا لم يتورط في حوادث التمرد والتخريب!

كانـت قـوات المرتزقـة قد نفـذت عملية الاقتحـام.. الذئاب البشـرية تتدفـق إلـى داخل المبنـى.. كان رضا يراقب من بعـض الثقوب في الباب مـا يجـري.. وهي ذاتهـا الثقوب التـي كان يراقب فيها حـوادث الانتفاضة التي اندلعت..

كانـت عقـارب السـاعة تتجـه نحو الحادية عشـر والنصف ليـلاً، وكان ذلك آخر مبنى تم اقتحامه في سجن جو..

شـاب يدعـى عبـدالله يتصـدّى للذئـاب البشـرية.. عبـدالله مـن أهالي

بلـدة «كرزكان» اشـتبك معهم وهم مدججون بالسـلاح.. أحاطته الذئاب وانهالت عليه بالضرب.. علي صنقور.. هو الآخر يخوض آخر المعارك..

اتجهـت قـوات المرتزقـة يميناً إلـى مبنى العـزل.. كان البـاب مغلقاً.. فتحـوا البـب.. ودخلـوا الزنزانـة الأولى حيث يوجد رضا الغسـرة وسـامي مشيمع..

أول الداخليـن كان ضابـط مـن «دولة الإمارات الشـقيقة» ومعه اثنان مـن البحريـن وأربعـة عناصـر مـن قـوات الـدرك القادميـن مـن «المملكة الأردنية الهاشـمية الشـقيقة».. لم يكن بينهم هذه المرّة عناصر من قوات درع الجزيرة القادمة من «المملكة العربية السعودية الشقيقة»..

راح الضابط يسأل:

- من أنت؟ من أنت؟!

أجاب أحد عناصر المخابرات وكان ملثماً:

- مـا تعـرف ذي مـن؟ هذا «رضـوُو» الّي هـرب من السـجن! وذي سامي الّي قتل شرطي!

قال رضا في نفسه: الآن تبدأ حفلات التعذيب! والله المستعان!

صـرخ الضابط بصوت يشـبه عواء ذئب جائع! أمر بإخراج السـجينين إلى حيث حشر السجناء..

اصطفـت قـوات المرتزقـة علـى جانبـي الممـر فـي العنبـر لاسـتقبال السـجناء بالهراوات والضرب والشـتائم البذيئة.. حدث جدل بين الضباط وكان البعض متحمسـاً للانتقام من الجميع.. كانوا متعطشين لسفك دماء

الشيعة..

منتفخين بسموم الطائفية ينطوون على حقد أموي دفين كما تنطوي الأفاعي على سموم قاتلة..

أجرى الضابط اتصالاً وهو يبتعد عن حشد المعتقلين الأسرى.. ما لبث أن عاد الضابط ليقول بلهجة آمرة:

- رضا الغسرة وحسين البناء والمحكومين بالإعدام يبقون في العزل!

تنفس بعضهم الصعداء.. لقد نجوا من العذاب.. عندما اقفلوا الأبواب ولاحظوا أن بعضها كان ملتوياً من شدة الضرب.. استجوبوا البعض عمّن فعل هذا؟

بادر رضا إلى القول:

- شباب كانوا ملثمين لا نعرفهم!

قاموا بإخراج المعتقلين في مبنى العزل إلى القاعة الداخلية.. أوقفوهم صفين مقابل الجدار.. الصف الأول مقابل الجدار والصف الثاني خلف الصف الأول.. كان «رضا» واقفاً في الصف الثاني وأمامه «علي الطويل».. علي الطويل كان مصاباً بالنخاع الشوكي ويعاني من آلام شديدة.. توجه الضابط إلى المبنى الآخر.. وأمر بعض عناصر الدرك الأردنيين بحراسة المعتقلين في مبنى العزل..

صراخ المعذبين كان يتناهى إلى أذني رضا فيشعر بآلامهم وكان ذلك أقسى عليه من التعذيب نفسه.. قال في نفسه صادقاً: ليتني كنت معهم

فينالني ما ينالهم ويصيبني ما يصيبهم..

كان واقفاً بجسـده في هذا المكان أما مشـاعره فقد كانت مع أولئك الشباب الذين يتعرضون للتعذيب.. رضا يدعو الله أن يمدّه بالصبر ويثبت قدميه على الطريق.. فشـعر بنبع من الطمأنينة يتدفق في داخله فتمتم بصوت هامس:

- وقدّر الله وما شاء فعل!

تلقـى رضا رفسـة قاسـية على ظهـره أوقعته أرضاً.. نهـض منتفضاً على الفور:

- لا تضرب!

فوجئ الوغد فقال:

- شو؟!

صعّد رضا من نبرته وقال بلهجة فيها تهديد:

- قلت لك لا تضرب!

الوغـد القـادم مـن قوم لـوط يهـوي بالهراوة علـى جبهة رضا الشـماء حيـث تتألـق ملحمة الإبـاء.. الدماء القانيـة تتدفق وتلوّن الوجه الأسـمر بلون الدماء.. وبدل أن ينهار إذا به ينتفض متحدياً في وجوه الجلادين.. كان على وشك أن ينقض على ذلك الوغد عندما جاء الضابط مهرولاً:

- شفيك رضوُو؟!

أجاب رضا ببسالة:

- ليش يضربني؟!

وأردف مهدداً:

- الّي يمد ايده عليي.. أرد عليه بالمثل.. مو خايف من شيء.. أي شي بتسوونه سوو! أنا قاعد هني وما ارتكبت ذنب او اعتديت على أحد

سكت لحظات ليقول:

- إذا اعتدي عليي أحد من غير سبب.. سأرد بالمثل حتى لو كلفني حياتي!

فوجئ الضابط بهذا الموقف الباسل.. يا لها من جرأة.. يا له من تحدّي.. ثمة إعجاب في نفسه لهذا الشاب الجريء الذي يتحدّاهم في داخل قلاعهم!

أخذ الضابط بيد رضا وسأله عن زنزانته.. أشار رضا إلى زنزانته.. أخذه الضابط إلى زنزانة ماهر الخباز.. طلب من رضا أن يغسل وجهه ويزيل آثار الدماء.. غسل رضا وجهه وناوله الضابط المنديل الخاص بماهر وقال له:

- نشّف ويهك!

وكانت في يده قنينة مياه فأعطاها إلى رضا قائلاً:

- اشرب! رضا لو كنت مكاني.. تعاملني بنفس الطريقة؟

طلب الضابط من مرتزقته عدم الاقتراب من رضا.. ابقوا على المعتقلين في أماكنهم.. كانت لديهم شكوك في وجود هواتف نقالة

فبـدأوا حملتهـم في البحث عنهـا خاصّة بعدما فوجئوا بانتشـار صور عن الانتفاضة أولاً بأول وإذاعة أخبار ساخنة..

لاحـظ علـي الطويـل الاحترام الـذي يتمتع به رضا الغسـرة فهمس له وطلـب منـه أن يخبر الضابط بحالتـه الصحية وما يعانيه من آلام.. وعلى الفور قال رضا للضابط أنه مريض ويعاني.. سأله الضابط:

- ويش اسمه؟

- علي

نادى الضابط عليه: علي روح زنزانتك!

نظر علي الطويل إلى رضا وشكره بعينيه وعاد إلى زنزانته.. حضر رائد يدعى حسن جاسم.. وكان رئيس مركز وطلب من القوات أمراً:

- سجناء العزل لا يخرجون.. صلحوا الأبواب الليلة وسدّوها

بدأوا بإصلاح الأبواب وتم إغلاقها بإحكام.. وساد الهدوء حتى مطلع الفجر..

الفصل الحادي عشر

كان صباح يوم ١١ آذار-مارس كئيباً.. بعد أن انطوت ليلته الطويلة المترعة بآهات المعذبين.. وكان الجلادون قد حصلوا على ضوء أخضر في ألا حدود للتعذيب.. إلى ما دون القتل.. وعندما يشرف الأسير على الموت يقومون بنقله إلى العيادة لذلك سنّوا عدوانهم على الجميع.. لم تعد هناك أية حرمات.. لم يكونوا يفرقون بين الشباب وكبار السن ولا الجرحى؛ اقتادوا بعض المصابين إلى مبنى العزل ثم اقتادوهم إلى الفناء الخارجي.. كان في جملتهم أبو محمد ونادر العريش من المنامة وعلي صباح وحسين وكانوا كباراً في السن.. لذلك كانوا يتساقطون تحت وطأة التعذيب فينقلونهم إلى العيادة لإسعافهم..

أشرق الصباح كئيباً حزيناً.. قام المرتزقة بفرز المعتقلين إلى مجموعتين؛ مجموعة سطح المبنى.. أي الذين صعدوا إلى سطح المبنى.. ومجموعة الهواتف النقالة.. أي الذين كشف التفتيش عن حيازتهم هواتف نقالة.. الطابور الخامس كان يزوّد الإدارة بالمعلومات! اقتادوا عيسى المشعل

مـن بلـدة كرانة وتعـرض للتعذيب القاسـي، أما أحمد العـرب فقد كانت صرخاته من شدّة العذاب تتردد بين الجدران القاسية..

كان رضـا يحتـرق ألمـاً.. لم يكن يملـك إلا الدعاء لهم بكشـف الكرب والبلاء.. قرأ زيارة عاشـوراء مرّات ومـرات وعيناه تنهمران بالدموع.. وكان يجهش بالبكاء والنحيب كلما مرّ بكلمة فيها ظلم.. زيارة عاشـوراء نشـيد المظلومين.. إخوته يُعذّبون لا لسبب ولا ذنب إلّا لانتمائهم إلى مذهب أهـل البيـت.. شـعارهم يجـب ألّا يبقى الحسـين وحيداً بعد اليـوم.. وإلّا مـاذا تفسـر قراءة رضا الغسـرة لزيارة عاشـوراء يومياً؟ لمـاذا يهتف مرّات ومـرّات يخاطـب أهـل البيـت الذيـن أذهـب الله عنهم الرجـس وطهرهم تطهيراً؟ قائلاً: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم إلى يوم القيامة! وهذا هو السـرّ في صراخه وهو أسـير بأيديهم وبين أنيابهم.. في أعماق رضا الغسرة تكمن أسرار الثورة.. ثورة فجر الرابع عشر من فبراير ٢٠١١..

استمرت حفلات التعذيب دون هوادة خيرة شباب البحرين.. يقادون إلـى جحيـم العذاب والتعذيب.. ضياء الملا.. سـيد مصطفى، محمود من جزيرة سترة من قرية مركوبان..

«الأشقاء الأردنيون» القادمون من سدرو وعامورا يتوجهون إلى زنزانة حسين البناء وحسين علي موسى المحكوم بالإعدام يسألون بفظاظة:

- شو قضيتك؟!

الأبـواب كانت مغلقة والأوامر المشـدّدة تقضي بعدم فتح الزنزانات خوفاً من هروب رضا الغسـرة وحسـين البناء.. رضا الغسـرة كان المطلوب رقـم واحـد يحمـل فـي ذهنـه المتوقد دائمـاً خططـاً رهيبة للهـروب نحو

الحرية..

تهيّبت قوات الدرك الأردني فتح الأبواب.. كانت أعينهم تتطاير شرراً.. كانوا يضربون المعتقلين من بين القضبان! ولا ينفكون يبصقون ويطلقون الكلمات البذيئة التي تركها لهم الأجداد الغابرون!

مرتزقة آل خليفة يحرّضون الضابط الأردني في مبنى العزل..

ذات يوم من الأيام

في ذاكرة رضا الغسرة ثمة حكاية استحالت إلى طرفة يتندر بها الشباب أحياناً.. الضابط الأردني من قوات الدرك سأل رضا عن قضيته فأجابه باقتضاب!

فتوجه بالسؤال إلى سامي مشيمع: شو قضيتك؟!

أجاب مشيمع: استدراج أدت إلى قتل!

صرخ الضابط:

- قتلت من؟ قتلت الشرطي الأردني زريقات؟!

كان سمع سامي مشيمع ثقيلاً.. يسمع من أذن واحدة بصعوبة جرّاء التعذيب لذلك أجاب قائلاً: نعم!

ولم تنفع نغزات رضا في خاصرته وقوله: لا! لا!

صرخ الضابط الأردني على الشرطي «طلال» وأمر بفتح الباب.. خاف طلال لأن الأوامر تقضي بعدم فتح الأبواب!

في الأثناء كان الضابط يصرخ على سامي: شو اسمك!

أجاب الأسير: سامي مشيمع!

ردّ الضابط وكان هائجاً: لا! انت اسمك «طز»!

رد مشيمع بإباء:

- لا اسمي سامي!

استشاط الضابط:

- لا! اسمك طز!! ردد الاسم، قل اسمي طز!

فوجئ الضابط بموقف سامي:

- لن أقول وإن قتلتني!

الضابط فقد السيطرة على أعصابه وكان يصرخ على الشرطي طلال: افتح الباب! افتح الباب!

طلال يريد تهدئة الأوضاع.. طلب من سامي أن يقول ذلك ويكفّ الشر!

التفت سامي إلى الضابط الأردني الهائج:

- ويش تريد؟!

- شو اسمك!

أجاب سامي بحدّة: طز! طز! طز!

وكان يقصد بذلك الضابط يعني: طز فيك..

تحولت هذه الحكاية إلى حكاية طريفة يروّحون بها عن أنفسهم كلما قست الأيام..

استمرت الاقتحامات أربعة أيام بلياليها..تهاجمهم قوات الدرك الأردني وتبعثر أغراضهم.. تشتمهم وتشتم أعراضهم.. وتسخر من عقائدهم ومقدساتهم.. وكانوا يصبّون العذاب على كل من شارك في الصعود إلى سطح المبنى.. أو من وجد لديه هاتف نقال..

أربعة أيام بلياليها تمرّ وما من أخبار عن الشباب وهم يقاسون الأهوال..

جاء الضابط هشام حمادي إلى الزنزانة الأولى وخاطب الأسرى متعمداً استفزازهم:

- ها يا ولد الكلب!

ثم وجه كلامه إلى رضا الغسرة:

- ها! أي ابن.....!

نظر إليه رضا والغضب يتطاير من عينيه وبذل قوّة جبارة لكبح ثورة بركان من الغضب!

قال الضابط باستعلاء لماذا تنظر إليّ هكذا؟!

أجاب رضا:

- ليش تذكر أمي بسوء؟ ما ذنبها؟

كرر الضابط بذاءته:

- ها ابن.....!

رضا يبذل المستحيل لكي يكبح جماح الغضب المتفجر في داخله!

التفت الضابط إلى سامي مشيمع:

- أنت قضيتك الضابط الشحي؟!

هذا الضابط يعرف الكثير من القضايا في منطقة السنابس لهذا يعرف أسماء الشباب المطلوبين..

تلفت الضابط وسأل:

- وين علوي السنكيس؟! بنراويه! بنصيده.. والسفروت بنصيده بعد..

كان يقصد حسين راشد.. ثم عاد إلى سيرته الأولى من كلام بذيء وكيل الشتائم..

كان رضا في زنزانته بمنأى عما يجري في الساحة الخارجية من تعذيب.. ستبقى انتفاضة العاشر من آذار-مارس ٢٠١٥ كتاباً مفتوحاً.. يموج بالقصص والغصص والحكايات والآلام والآمال والأحلام.. رضا باله مشغول على الشباب بالرغم من استمرار الاقتحامات الليلية لمبنى العزل.. رضا يشعر بالامتنان لأحد أبطال الثورة المقهورة.. إنه سعيد الإسكافي الذي اعتقل على خلفية «قضية المرفأ» وتعرض للتعذيب الشديد.. كان رضا يومها معتقلاً وشهد بأم عينيه كيف كان الإسكافي يواجه الجلادين.. تعلم منه الثبات والاستبسال..

رضا يجتر ذكرياته في بدايات عام ٢٠١١.. ورأى كيف أنّ أحد المرتزقة

الباكستانيين يقوم بتعذيب سعيد الإسكافي.. كان الوحش الباكستاني مخيفاً.. لا يتردد في سفك دماء الضحايا.. ضخم الجثة كالدببة.. حضوره يدخل الرعب في القلوب.. رضا يعترف وهو يسرد ذكرياته لرفاق الدرب بأنه كان يخشى ذلك الدب المتوحش.. رائحته النتنة تسبق خطواته الثقيلة.. وعندما يطلّ بجبهته السوداء الناتئة وعينيه الغائرتين تعم الرهبة وتخفق القلوب هلعاً..

وذات يوم وقع ما لم يكن في الحسبان.. انتفض سعيد الإسكافي كأسد جريح.. انتفض رغم جراحه وصرخ بوجه الوحش.. وكانت المفاجأة انقلب الوحش المرعب إلى فأر مذعور.. حتى لسانه الذي كان كلسان الكلاب والأفاعي استحال إلى شيء آخر.. انقلبت الشتائم إلى مديح وتملّق.. الوحش يتملّق للأسير!!

زلزل المشهد مشاعر رضا الغسرة وهو يرى الوحش ينقلب إلى جرذ.. اكتشف الحقيقة.. حقيقة الجبناء.. إنهم يستأسدون أمام الإنسان المستضعف.. بسبب عقدة النقص.. الإنسان الشجاع النبيل لا يعتدي على الأسرى المكبلين بالسلاسل والأغلال..

رضا يتشرّب الدرس البليغ.. قرر منذ تلك اللحظات المزلزلة أن يتصرف كالشجعان.. كما فعل سعيد الإسكافي.. وكان الإسكافي معلّمه في تلك الأيام..

رضا يشعر أنه مدين لذلك البطل الباسل الشجاع.. لقد صنع منه إنساناً قوياً متمرداً عنيداً يواجه الجلادين بشجاعة فريدة.. أصبح رضا مثالاً متألقاً ملهماً وقد يصبح ذات يوم أسطورة لجيله والأجيال القادمة..

منذ قدوم رضا إلى مبنى العزل أصبح هذا المبنى رمزاً للثبات والمقاومة.. رغم عددهم الضئيل قياساً بغيرهم من المباني.. فقد كان المرتزقة يتهيبون التصادم معهم.. كانوا متلاحمين متضامنين مع بعضهم يواجهون المرتزقة بالتمرد والعناد.. يصرخون في وجوه الجلادين.. اكتشف رضا أن جدران السجن الأربعة ليست بقسوة الجدار الخامس.. إنه جدار الخوف التي يبنيه الأسير بنفسه.. هذا هو الجدار الذي جعل الجلادين يتمادون في تعذيب الشباب.. التخويف والتجبين الذي يتناقله بعض السجناء هو من جرّأ المرتزقة على التمادي في اضطهاد الشباب الذين فضلوا الاستكانة والاستسلام للأمر الواقع.. والذي لم يكن سوى أوهام يصنعها الخوف..

قضت «التعليمات» الجديدة بعدم رفع الأذان «الشيعي».. وعدم إحياء المناسبات والشعائر الدينية.. وامتثل الأسرى في جميع مباني «جو»..

في مبنى العزل.. أصرّ رضا الغسرة على رفع الأذان وإحياء الشعائر..

كانوا يتميزون غيظاً وهم يسمعون صوت رضا الغسرة يجلجل عالياً:

- أشهد أن علياً ولي الله! أشهد أن علياً ولي الله!

وكان الثمن الضرب والتعذيب.. لكن الشباب صمدوا.. وملّ الجلادون.. أصبح رفع الأذان الشيعي حقيقة واقعة!

بقي الصوت يجلجل بين الجدران القاسية: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم!

أرض الحسين

وتمرّ الأيام الأربعة وتطل ذكريات الثورة الشهيدة.. ثورة ١٤ من شباط-فبراير مفعمة بقيم النهضة الخالدة.. نهضة عاشوراء.. ويطل يوم الرابع عشر من آذار-مارس.. انقطعت الأصوات.. وانقطعت الأخبار.. أخبار الشباب وساد صمت مهيب لا يقطعه سوى ما يتناهى من أصوات التفتيش وأعمال الصيانة..

بدأت حملة جديدة من التفتيش وكان التركيز واضحاً على الزنزانة الأولى.. يجب تحطيم عنفوان هذا المتمرّد العنيد! رضا الغسرة!

قيدوا الأسرى من الخلف وأخرجوهم إلى قاعة العزل.. كانوا أمويين تماماً في تفتيشهم.. عثروا على جهاز بلاك بيري.. كان رضا الغسرة قد هرّبه إلى داخل «جو» في فترة سابقة.. «أحمد فريح» المرتزق السوري الجنسية كان يتلذذ بضرب الأسرى ويقول بلهجة تنضح حقداً أموياً:

- أنا لا أضربكم بسبب أعمال الشغب.. أنا أضربكم لأنكم شيعة!

هؤلاء الأوغاد يحقدون على شيعة أهل البيت.. يحملون حقداً دفيناً يفوق حقد اليهود على رسول الله محمد ﷺ..

لم تكن عملية تفتيش فقط.. كانت هجمات تخريب وتكسير عبثية حطّموا مروحة التهوية «كزوز فان» وكسروا زجاج النافذة الصغيرة في أعلى الزنزانة.. كانت هستيريا التفتيش أموية بامتياز.. ظهرت فيها وحشية اليهود وآل سعود وآل خليفة.. تداعت في نفوس بعض الأسرى ذكريات الهجوم الوحشي على دوّار اللؤلؤة.. «قوات درع الجزيرة» السعودية تدير ظهرها لفلسطين وجاءت لتنتقم من شعب مقهور.. حتى لا تنتقل «رياح

الثورة» إلى القطيف والإحساء والمنطقة الشرقية..

الضابط الأردني لا يكف عن قذف الشتائم والكلمات النابية:

- يا كلاب! عندكم بسكويت! يا كلاب عندكم صابون! يا كلاب عندكم مزيل عرق.. كفار.. شيعة

كان الأسرى مجبرين على الوقوف.. بينما قوات الدرك الأردني.. تعبث وتحطم وتمزّق.. فكّوا القيود وما تزال صيحات الضابط القادم من أرض سدوم وعامورا ترنّ في الآذان والوجدان وتحدت موجات من الألم: يا كفار.. شيعة..

دخل رضا زنزانته كسيراً أسيراً مهيض الجناح.. غير أن داخله ما يزال يتفجّر كبركان يوشك على أن تتدفق حممه.. يا للهول.. أرض الزنزانة كما لو كانت أرض معركة تاريخية.. المسابح والتربة الحسينية مهشمة ومقطعة الأوصال.. الكتب الدينية ممزّقة وقد تمزّقت فيها صور علماء الدين الأتقياء.. الدماء تفور في العروق.. رضا يصرخ في وجوه الجلادين وجلاوزة آل خليفة المرتزقة..

- أنتم تستهدفوننا لأننا شيعة.. عملكم لا علاقة له بالتفتيش ونحن لا نسكت على هذه الإهانات!

سامي مشيمع يتدخل يحاول تهدئة رضا.. رضا يرفض ويصرخ:

- لن نسكت بعد الآن.. هؤلاء طائفيون.. يجب أن يعرفوا حدودهم!

دفعه المرتزقة إلى داخل الزنزانة بعنف وأقفلوا الباب:

- الآن اصرخ كما تشاء!

حضر الضابط أبو سلمان وهو من أصول يمنية أمضى أربعين سنة في سجن جو.. كان وكيل قوّة.. كذّاب معروف بكذبه.. حاقد مشهور بحقده.. لا ينفك يتآمر على السجناء.. اقترب أبو سلمان من الزنزانة وخاطب رضا قائلاً:

- شفيك الغسرة؟!

أجاب رضا على الفور:

- ليش هذا الاستهداف الطائفي؟! ليش تكسرون الترب الّي نصلي عليها؟! ليش تقطعون المسابيح؟! جايبين كلابكم يستهدفونا لأنا شيعة؟!

قال أبو سلمان: محد قصّص السبح!

أجاب رضا وهو يشير إلى أرضية الزنزانة وقد تبعثرت حباتها هنا وهناك!

- من فعلها غير كلابكم!

تدخل أحد المرتزقة ويدعى «فضل» وهو من أصول باكستانية.. قال بلهجة تفضح أصوله الباكستانية: وجدنا عندك ممنوعات.. أنت مهرب بلاك بيري!

قال رضا: هذا لا علاقة له بإهانة المعتقد.. ما ليه دخل بالتعدي على مقدساتنا! وتمزيق كتبنا!

لم يكترث فضل لما يقوله رضا ولحق بالقطيع لتفتيش الزنزانة رقم

٥ وفيها شخص من الجالية البنغالية وآخر بحريني سني اسمه فهد.. رضا يواصل احتجاجه.. صاح بـ«فضل»:

- هؤلاء سنة احذر أن تهجم عليهم مثل ما هجمت علينا نحن الشيعة

ثم وجه خطابه:

- نحن لسنا طائفيين مثلكم.. ليس لدينا مشكلة مع السنة.. اسألهم إن كنا اسأنا لهم أو تعرض أحد لهم بأذى.. أنتم تثيرون هذه الأحقاد بهذا الاستهداف!

ثم صرخ عالياً:

- نحن سلم لمن سالمنا! وحرب لمن حاربنا!

أكثر ما آلمه هو ما حصل أثناء تفتيش زنزانة «ماهر الخبار» و«عبدالله أبو روان».. بعثروا ملابسه وسكبوا عليها الصابون السائل.. واتلفوا بعض أغراضه.. وتمادوا في عدوانهم إلى حد رمي المصحف على الأرض! قال أحدهم: هذا قرآن فاطمة!!

قالها بسخرية مع أنه كان طبعة سعودية.. هؤلاء الطغاة يدوسون على المصحف ويطلقون هذه الأكاذيب.. كان واضحاً أن أيديهم القذرة لم تمس المصحف الشريف أبداً!

وتكررت المأساة في زنزانة «علي الطويل».. كان لوحده وكأنه محكوم بالانفرادي!

مشيمع

سامي مشيمع الأسير المضطهد دوماً.. فقد سمعه كلياً من إحدى إذنيه والثانية كان يجد صعوبة ويعاني من سمع ثقيل.. وبسبب ذلك وإجابته على سؤال الضابط الأردني، شاع لدى قوات الدرك الأردني بأنّ سامي مشيمع هو من قتل المرتزق الأردني «زريقات» وقد كلّفته كلمة «نعم» الكثير.. سأله الضابط الأردني:

- انت كتلت زريقات؟!

لم يسمع سامي السؤال بوضوح فقال: نعم! وهكذا انتشر الخبر! وفي كل مرّة يأتي المرتزقة الأردنيون يشيرون إليه وأحدهم يقول للآخر: تبي الّي كتل زريقات؟! يبادر بعضهم عندما يجد الفرصة لإخراجه وتعذيبه.. فإذا لم يجدوا الفرصة استدعوه فيضربونه من وراء القضبان ويبصقون عليه!

في البحرين.. في هذه الجزيرة المقهورة يتحكّم الغرباء بالبلاد والعباد ويُهمّش أبناء البلد الأصلاء.. يتعرضون للقهر والاضطهاد والإقصاء..

الأردنيون يثأرون للمرتزق زريقات! والإماراتيون ينتقمون منه ثأراً للمرتزق الإماراتي «طارق الشحي».. العالم يتفرج على محنة هذا الشعب المضطهد المقهور.. إن مآسي المشاهد التي يتعرض لها سامي مشيمع هي رمز لمظلومية ومحنة الإنسان الشيعي الذي يمثل هوية البحرين الحقيقية..

جاء مرتزق أردني قادم من أرض سدوم وعامورا راح يضرب سامي بقسوة ويبصق عليه.. مرتزق آخر يريد مغادرة مبنى العزل لكنه التفت

إلى المشهد المأساوي حيث تحلّقت الضباع المتوحشة.. كان يضع كمامة للتنكر ويستجمع ما في باطنه من قذارة.. يلوك بفمه كملك من آل سعود.. ثم أسرع ليفرغ حقده وقيحه والصديد الذي يملأ فمه القذر.. نزع الكمامة وبصق على سامي مشيمع!

يا لمحنة هذا الإنسان! كان يهتف من أعماقه: أين أنت أيها الموت الرحيم؟!

أنتم أصحاب النار

الضابط الأردني المفتول العضلات يقتحم الزنزانة.. أوداجه تكاد تنفجر.. الشرر يتطاير من عينيه.. فتح فمه الكريه.. كان قاموساً متخماً بالألفاظ النابية.. ورثه عن أجداده في سدوم وعامورا.. بدأ سيل شتائمه.. رضا كان يقرأ القرآن الكريم.. خاطب رضا قائلاً:

- أنت طاهر؟

قال رضا:

- نعم أنا طاهر

فبصق عليه وعلى المصحف.. وراح يعربد:

- أنت نجس مشرك.. أنتم الشيعة كفار مشركون!

لم يجب رضا ولم يتكلم ببنت شفة.. التزم رضا الصمت هذه المرّة وأحياناً يكون السكوت عن الجواب جواباً.. ألم يقل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

- فإذا بُليت بجاهل متحكم يجد المحال من الأمور صواباً، أوليته مني

السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جواباً

أعمال شغب

«علي الطويل» شخص طيب القلب وإنسان بسيط بساطة الحياة الإنسانية.. تعرّض كغيره من المعتقلين للتعذيب الشديد المفرط في القسوة وفي كل مرّة عندما يداهم المرتزقة المبنى ينال نصيبه الأوفر من الضرب.. علي على بساطته لاحظ أن الشرطة عندما تتوهم أن قضية المتهم بسيطة كانوا يعفونه من وجبات التعذيب القاسي الخاصّة بأصحاب القضايا الخطيرة..

علي الطويل كان محكوماً بالإعدام.. وقد لاحظ أن حسين البناء كان يخدع الشرطة أحياناً وقد سمعه مرّة يقول لهم عندما سألوه عن قضيته.. أجابهم:

- أعمال شغب!

فلم يقوموا بضربه! عندما داهمت قوات الدرك الأردني المبنى كالعادة سألوه عن قضيته:

- ايش قضيتك؟!

فأجاب على الفور:

- أعمال شغب!

وعندما سألوه:

- ايش حُكمك؟

قال:

- إعدام!

قهقهة الشرطة ضاحكين وأداروا ظهورهم وانصرفوا..

أصبح علي الطويل بارعاً في هذا المجال، سألوه مرّة وحاصروه بالأسئلة فادعى أنه فاقد للذاكرة.. وفي كل مرّة كان ينجو من الضرب أو على الأقل الضرب الشديد.. علي الطويل لم يبق وحيداً في الزنزانة.. جاؤوا له بمعتقل آخر هو «عباس السميع».. كان يعرج في مشيه وقد كسروا أسنانه الأمامية وألقوه في الزنزانة الأخيرة مع علي الطويل.. من داخل السجن تمكن عباس السميع من نشر فيديو مصّور.. مرّ على زنزانة رضا الغسرة وهو يبتسم ابتسامة مثقلة بالحزن مثخنة بالجراح.. كان ذلك بعد حوالي عشرة أيام من انتفاضة العاشر من مارس.. الوقت كان مساءً.. وتحديداً بين صلاتي المغرب والعشاء.. جاؤوا به من المبنى رقم ١٠.. ادخلوه إلى مبنى العزل.. سامي خاطب رضا وأخبره بقدوم عباس السميع..

بعد يومين من وصوله جاء ضباط إماراتيون برفقة الملازم الأول «عبدالله عيسى» الذي رقي فيما بعد إلى رتبة نقيب وكذلك الملازم معاذ..

عبدالله عيسى هذا كان يتظاهر بأنه غير متورط بالتحريض على المعتقلين وتعذيبهم ولكن الحقيقة أن يديه ملطختان بالجريمة وبكل ما يجري من تعذيب للضحايا.. أحد الضباط الإماراتيين ابن عم لـ«طارق الشحي» الضابط المرتزق الذي نال جزاءه على أيدي شباب المقاومة..

لذلك قال عبدالله عيسى يهدد المعتقلين:

- تعرفون من ياكم؟ (من جاءكم).. ياكم عيال زايد.. الحين بنراويكم..

اقتربوا من سامي مشيمع وسألوه:

- شو قضيتك؟

أخبرهم بالتهم الموجهة إليه.. فقالوا مهددين:

- الحين بنراويك

أخرجوه من الزنزانة وأخرجوا عباس السميع معه وأخذوهما بعيداً.. ابن عم طارق الشحي كان قد قال وقتها:

- أنا لا أريد منهم شيئاً.. خل القانون ياخذ مجراه!

وطلب من الضباط الذين كانوا معه عدم التعرض لهم بشيء.. لكن أحد الضباط الإماراتيين وكان دميماً قصير القامة ويبدو عليه أنه من أصول يمنية.. احتج على كلام ابن عم طارق وقال:

- لا! أنا أراويهم هذلين!

اقتادوا سامي ورفيقه إلى صالة التلفزيون.. في البداية خاطبوهما:

- تسوون روحكم ريايبل! الحشد الشعبي وهادي العامري.. من راح الشهيد صدام سويتو روحكم ريايبل يالشيعة!

- احنا نراويكم منهو أولاد السنّة!

بدأت حفلة التعذيب وكان أبطالها كلّاً من الضابط حمد الذوادي

والضابط خالد التميمي والضابط عبدالله عيسى والضابط عيسى الجودر والضابط معاذ!

هذه هي المرّة الأولى التي يأتي فيها ضباط من دولة الإمارات إلى السجن.. ثم تكررت زياراتهم بعد ذلك.. وتبقى الزيارة الأولى هي الأقسى في التعذيب..

عباس السميع كان ينزف دماً عبيطاً من أنفه وفمه! وكذلك سامي مشيمع هو الآخر راحت دماؤه تنزف بغزارة.. تورمت فخذاه من شدّة التعذيب!

حلاقة

كان الوقت عصراً.. جاء شرطي أردني قاصداً إذلال رضا الغسرة.. كان رضا يتلو القرآن الكريم بصوت هامس.. الآيات تنساب من بين شفتيه كساقية في حقل.. جاء الشيطان واستاء من هذا المشهد.. وقف وراء القضبان وقطع على رضا خلوته:

- شو بتعمل؟!

أجابه رضا بغير اكتراث:

- ويش تشوف؟!

قال بصفاقة:

- شعرك طويل.. يبي ليه قص

أراد أن يصرفه:

- لين شاء الله!

- شو؟!!

- الّي سمعته!

قال مهدداً:

- الليل أجيك وأشوف نفختك!

حلّ المساء ونشر الليل ستائره.. وجاء الضبع الإماراتي.. خاطب رضا بوقاحة:

- بتحلق أقرع أو لا؟!

أجاب رضا بإباء وبسالة:

- قلت لك جوابي العصر..

تهيّب الضابط من التمادي مع رضا الغسرة.. أراد أن يرضي غروره فقصد حسين البنّاء وحلق رأسه.. قبل أن يغادر المبنى خاطب رضا بصوت خافت كما لو كان يتملّقه:

- انت كويس! انت محترم!

الجبناء يهابون الإنسان العنيد.. يخشون من الشخص المتمرّد.. يتحول بعضهم إلى قطة ظريفة بعد أن كان مستأسداً.. هذه هي طبيعة الجبان يستأسد على الضعيف ويتحول إلى جرذ أمام الإنسان الشجاع الباسل.. لله درك يا سعيد الإسكافي كم كنت عظيماً في موقفك البطولي!

علي السنكيس

مبنى العزل كان محروماً من التلفاز.. كان هذا قبل اندلاع انتفاضة مارس.. رضا والشباب نفذوا سلسلة إضرابات واحتجاجات انتهت بموافقة إدارة السجن على نصب جهاز تلفاز.. وعندما اندلعت الانتفاضة قام أحد الشرطة المرتزقة ويدعى ساجد الباكستاني بقطع التيار الكهربائي وإبعاد الطاولة.. وبحث عن الريموت لكنه لم يعثر عليه..

ساجد كائن مريض نفسياً.. يحاول التظاهر بالطيبة ولكنه كان يحرّض الدرك الأردني ويخبرهم عن القضايا التي يواجهها السجناء.. كان يقول لهم:

- هذا قاتل وهذا هرب من السجن مرّتين..

كان يشحنهم شحناً فيهجمون على الضحايا كما تهاجم الذئاب فرائسها.. ساجد الباكستاني كان ساجداً للطغاة.. ساجداً للطاغوت.. قبل أحداث مارس كانت الإدارة تسمح أحياناً بدخول بعض الأشياء الممنوع دخولها على سجناء مبنى العزل.. لكن ساجد كان يرفض الانصياع للتعليمات.. فكان همه إيذاء السجناء.. رضا يبتسم لرفاقه ويقول هذا الشرطي من الذين إن تمسّنا حسنة تسوؤه..

لذلك بعد انتفاضة مارس سارع لأخذ تصريح بمنع سجناء العزل من مشاهدة التلفاز وقام بقطع التيار الكهربائي عن الجهاز وحاول المستحيل للعثور على الريموت دون جدوى.. لقد أخفاه رضا في مكان ما!

اكتشف رضا طريقة في سحب الطاولة التي وضع عليها التلفزيون.. استخدم بمعية حسين البناء سلك «السيفون» من الحمام فيقومان

بسحب الطاولة وبطريقة يقومان بإعادتها إلى مكانها بعد مشاهدة الأخبار.. وفي تلك الأيام سمع رضا خبر اعتقال البطل «علي السنكيس» كما عرف أخبار العدوان السعودي على اليمن..

كان رضا في غاية القلق على حياة السنكيس.. لم تكن له معرفة به عن قرب.. كان يسمع به وبمواقفه البطولية وجهاده ومقاومته.. بعد سماع خبر اعتقاله كان يتوقع نقله إلى سجن جو..

وأخيراً جاؤوا بـ«السنكيس» إلى عنبر العزل.. الجانب الأيسر من وجهه كان متغيّراً من أثر التعذيب والورم بادٍ على محياه وجنتاه منتفختان قرب عينيه وفي محجريهما..

الجلّاد الذي كان يقوده اسمه علوي.. ذئب بشري.. احترف الإجرام ومات في قلبه الإحساس.. قلبه ليس لحم ودم وعروق بل مصبوب من الرصاص.. بدلة السجن كانت فضفاضة.. ربما لم يجدوا له مقاساً مناسباً.. ولعلهم تعمّدوا ذلك ليبدو شكله مضحكاً.. السروال كان ينزلق وهو يمشي مشيته العرجاء.. يكتشف المرء للوهلة الأولى أن السنكيس مرّ بتجربة قاسية من التعذيب الهمجي..

وضعوه في القاعة الخارجية.. وإلى جانبه من الجالية البنغالية.. كان عليه أن ينتظر لحين قدوم الشرطي «عبد القيوم».. ناداه رضا ليقترب.. بدا متردداً يخشى معاقبته أو إعادته للتعذيب.. طمأنه رضا.. اقترب خائفاً يترقب.. سأله رضا عن حاله.. ولم تكن هناك حاجة إلى سؤال! فكل فصول المأساة كانت بادية عليه.. ابتسامة رضا ونظرته الحانية أشاعت في قلبه حالة من الطمأنينة والسلام.. لذلك أجاب:

- أنا بخير!!

وابتسم ليقول ممازحا:

- ضربوني ضربة «شامليدر» و«باليز» عقب ما جابوني..

قال رضا يطمئنه:

- لا تقلق نحن معك.. عندنا ملابس نظيفة.. تستحم وتمسح بعض آثار التعذيب..

غريب في وطني

اكتظت زنزانات مبنى العزل بالسجناء ولم تعد تستوعب أعداداً إضافية.. لذلك كان على البعض أن ينام على الأرض وأن يحظى آخرون بالنوم على السرير.. وقد جرت العادة أن تكون الأولوية للنزيل الأقدم زمناً أو لكبار السن أو لذوي الاحتياجات الخاصة..

المرتزقة والجلادون يعاملون أتباع أهل البيت بطائفية مقيتة.. يحملون إزاءهم أحقاداً تاريخية ورثوها عن أسلافهم الغابرين.. وعجيب أن يتحول الانتماء المذهبي لدى أتباع المذاهب إلى نسيج قومي.. والأعجب من هذا التعصّب الأعمى ضد مذهب أهل البيت.. وكل هذا الحقد المستعر ضد أتباع هذا المذهب الإنساني.. هذا الداء الوبيل لا تجده لدى أتباع المذهب الإمامي ومن المؤكد أن ثقافة عاشوراء بثرائها الإنساني حصّنتهم من الإصابة بداء الطائفية الوبيل.. لذلك كان رضا ورفاقه يتعاملون بودٍّ ومحبة مع إخوانهم من أهل السنة..

جاء الشرطي «علوي» المولع بتعذيب علي السنكيس وطلب من سامي مشيمع النزول عن سريره لصالح سجين بنغالي!

مشاعر السجناء الشيعة لم يكن لها لون واحد ولا طعم واحد.. بعضهم يشعر بالغربة عندما يرى نظام آل خليفة يعتبره مواطن من الدرجة الرابعة.. بينما يعاملون الغرباء الوافدين كما لو كانوا هم أصحاب البلد الأصليين!

بعض آخر يعتبر نفسه أسيراً في حرب غير متكافئة.. آل خليفة هم الغرباء وهم الغزاة الذين استباحوا بلاده منذ تموز-يوليو ١٨٧٣ وعليه أن يتحمل ويصبر ويقاوم.. وهذا هو قدر من يريد العيش حراً كريماً..

جاء مسؤول النوبة الشرطي عبد القيوم.. ليرى علي السنكيس في حال يرثى لها.. لقد مزّقه الجلادون دون رحمة! ففوجئ وتأثر إلى حدّ البكاء!

الشرطي عبد القيوم كان كغيره جلاداً يبطش بالسجناء.. ثم تغيّر حاله.. ربما بعد أن أصيب ابنه بالسرطان.. تغيّر سلوكه وبدأ يعامل السجناء معاملة طيبة.. يحاول من خلال ذلك أن يكفّر عما مضى من إساءات.. سأله عن حاله وعما يشكو ثم أخذه إلى عيادة السجن.. كان رضا يترقب عودته وبدأ القلق يساوره.. تأخر كثيراً.. فكر رضا أنه ربما تعرّض إلى نزيف داخلي بسبب التعذيب الفظيع.. كما إن الإصابة في رأسه كانت واضحة..

لم يعد علي السنكيس إلا عند الفجر! وكان رضا يترقب عودته بلهفة.. سأله عن حاله فأخبره علي بأنه تعرض للتعذيب داخل العيادة.. وأن

الشـرطي عبـد القيوم دافـع عنه.. بل وأخـذه إلى الإدارة لتسـجيل إفادته حول تعرضه للتعذيب!

بعد طلوع الشمس جاء الجلاد الهمجي علوي واتجه مباشرة إلى علي السنكيس وسأله بكل وقاحة:

- ويش فيك؟!

أجاب علي:

- انت تعرف ويش فيي

رضا قال في نفسه: ستطالك يا بن السنكيس وجبة أخرى من التعذيب!

قال الشرطي الحقير:

- تعـال اكتب إفادة إنك سـقطت على المغسـلة وهـذه الإصابات كانت بهذا السبب!

نظم الجلاد إفادة.. بأن علي السـنكيس دخل الحمام وانزلق وسـقط وارتطم رأسـه بالمغسـلة وحتى الآثار في الظهر هي بسـبب سـقوطه في الحمـام! هـذا الجلاد القذر يقول إن آثار الهراوات وهذه الإصابة الخطيرة في عينه هي بسبب انزلاقه في الحمام!

أحـبّ رضـا علي السـنكيس حبّاً أخويـاً عظيماً وتعلّق بـه.. أصبح أخاه الذي لم تلده أنه.. بينهما ستة أعوام..

علـي السـنكيس اعتقـل وكان في التاسـعة عشـرة من عمـره ومع ذلك سـجن مـع كبـار السـن وعندمـا جاؤوا بـه.. رضـا اعتبـر نفسـه الأخ الأكبر لـ«علي»..

السنكيس مرّ بتجربة قاسية جداً تفوق عمره ولكنه صمد وثبت.. اجتمعت في شخصيته الشجاعة والصبر وفي عينيه يتألق ذكاء حاد وحزن عميق وعناد وتمرّد..

حزنه العميق يوحي بأنه يخفي سرّاً في أعماقه.. لعل حفلات التعذيب تركت في نفسه ندوباً لا تمحى مع الأيام.. في العيادة أجبره الجلاد محمد على أن يخلع نعله ويقف على رجل واحدة وفردة النعل في فمه!

رضا الغسرة تمكن أن يجعل من مبنى العزل جبهة متماسكة قوية وكان يحاول المستحيل لتخفيف معاناة المعتقلين الذين أجبروا على إخلاء زنزانتهم في مبنى ٣ و٦ والعيش في الخيام.. كانت خطوة واضحة لتحطيمهم نفسياً..

كثيرون لم يعرفوا إلّا متأخراً أن لرضا شقيق اسمه صادق معتقل هو الآخر.. وفي وقت الزيارة يقادون إلى مبنى رقم ١ ثم يتم إعادتهم إلى الخيام بالهراوات.. وينتفض رضا الغسرة في كل مرّة وكان يصرخ في وجوه الجلادين..

الأجواء في خيام «جو» كانت لا تطاق مثل كوابيس مرعبة..

حان وقت الزيارة.. اقتاد الجلادون المعتقلين من الخيام مطأطأي الرؤوس وكانوا يتعرضون للإهانات والضرب طوال الطريق وعندما ينادون عليهم بأسمائهم كان السجين مجبراً أن يجيب قائلاً: سيدي!

أجبروهم على أن يقفوا ووجوههم مطأطأة باتجاه الحائط في قاعة التفتيش.. الصمت كان مهيمناً والجوّ مشحوناً بالخطر.. وفي الأثناء

سـمعوا أصداء السلاسـل والأغلال توحي بقدوم سـجين له خطره.. شـعر صادق في تلك اللحظات بالعزة والكرامة وهو يصغي إلى خطوات شقيقه رضا.. رفع رأسه ونظر إليه..

لأول مرّة يرى وجه شقيقه رضا وقد غابت الابتسامة عن محيّاه وحلّ مكانهـا بـركان مـن غضـب.. نظـرات عينيـه تكاد تخترق أسـوار السـجن.. غضـب وحـزن ولوعـة وأسـى وثـورة مقهـورة.. كان ينظـر إلـى المعتقليـن مطأطأي الرؤوس بغضب.. يريد أن يقول لهم:

- ارفعوا رؤوسكم عالياً وتمرّدوا.. ثوروا في وجوه الجلادين

وعندما نادى أحد المرتزقة على اسـم سـجين وقد فعل ذلك متعمداً أمام رضا.. أجاب السجين: نعم سيدي! وهنا انفجر البركان:

- لا تقول سيدي!

- سيدك رسول الله وأهل البيت!

وانقلـب السـحر علـى السـاحر! أرادوا ترويضه فإذا به يريد أن يشـعل الثورة داخـل حصونهـم.. لذلك بـادروا إلى إبعاده حتـى لا يلهم الآخرين هذه الروح من التمرد والعناد.. وصدح بنشيده الثوري أمام الجميع:

- سلاماً سلاماً سلاماً سلام.. سلام عليكم شباب الخيام!

لقـد ولـد رضـا شـاعراً ثوريـاً مقاومـاً.. كان ينهـل المعاني السـامية من ينابيـع أهـل البيت عليهم السلام.. مـن «دعاء العهد» ومن «زيارة عاشـوراء» وقبل كل ذلك من فيض آيات القرآن الحكيم..

وفي كل يوم يصغي شباب الخيام إلى صوت الأذان ينساب من شفتي

رضـا: فتخفـق القلوب للشـهادة الثالثـة الممنوعة منعاً باتاً: أشـهد أن علياً ولي الله.. علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وصوت العدالة والإنسـانية.. علـي الـذي يهتف فجـر كل يوم: «يا من توحّد بالعـزّ والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء صلّ على محمد وآله الأوصياء!

قوم لوط

جـاء وكيـل قـوّة أردنـي يدعـى إيهـاب ويلقّـب بـ«المهنـدس».. كان يمشـي متجبّـرا كأنـه فرعـون.. يتصـرف كضابط.. دخـل الزنزانـة الأولى.. رضا كان مسـتلقياً في نصف من السـرير.. اضطر مؤخراً للتنازل عن سـريره لرفيق الدرب سامي مشيمع الذي أجبر على إخلاء سريره العلوي لسجين بنغالي.. جاؤوا به بمعية علي السنكيس..

دخـل إيهـاب متجبّـراً لكـن رضـا لم يكتـرث لـه كعادته.. لـم يعره أي اهتمام؛ بينما هو يريد أن ينهض له الجميع..

اتجـه إيهـاب ناحيـة علـي السـنكيس يريـد أن يأخـذه إلى مـكان آخر ويعطي سـريره للسجين «فهد» وكانت قضيته قتل فتاة تايلندية والتمثيل بجثتهـا قبـل إحراقها.. والـده يعمل في جهاز الحـرس الوطني.. ولهذا تم تخفيف الحكم من الإعدام إلى المؤبد ثم إلى السـجن ١٥ سـنة وهو الآن ينتظر مكرمة الإفراج عنه!

قال إيهاب لـ«علي السنكيس»:

- قوم معي! كون مع «راسل»!

«راسـل» سـجين مـن الجاليـة البنغالية محكـوم بالإعـدام ويعاني من

حـالات نفسـية.. كان يهـدد فهـد بالقتـل.. لذلـك جـاؤوا بـ«فهـد» ليكون فـي مـكان علـي السـنكيس الذي رفـض الذهاب إلـى زنزانة راسـل.. صرح الشرطي إيهاب:

- قوم وأجرّك فوء رأبتك!

وهنا نهض رضا وقال مستبسلاً:

- مو على كيفك!

فوجئ إيهاب:

- شو؟!!

قال رضا:

- الّي سـمعته.. وعلي ما بغير الزنزانة.. إلا على قطع رقبتي.. علي ما بيتحرك!

راح إيهاب الشـرطي الأردني المرتزق يصرخ.. فرد رضا بصراخ مثله أو أقوى منه.. حتى لا يسمعه أحد.. قال لرضا متوددا:

- رضـا! أنـت كويـس وشـخص محتـرم.. وطبعـاً قـرار نقـل علي مو قراري.. هذا قرار الإدارة.. لكن أعدك راح أتحرك على الموضوع..

انسحب الأردني المرتزق وولّى.. وتغيّرت فيما بعد معاملته..

علـي السـنكيس ازداد تمردّاً.. وكان يرفض الانصيـاع لأوامر المرتزقة.. أصبح رضا أكثر قوة وأكثر تمرداً.. في تلك لليلة باغتهم قوم لوط قوّة من الدرك الأردني تريد انتزاع علي السنكيس بالقوة ونهض رضا ونهض رفاقه

معه وقفوا وقفة رجل واحد في وجوه هؤلاء الشوّاذ المنحرفين..

أدرك رضا ليلتها سرّ السنكيس.. سرّ هذا الحزن المترسب في أعماقه ويصعد كالمدّ إلى عينيه..

يحاولون الاعتداء عليه جنسياً لكنهم اصطدموا بـ«القلب الشجاع» واندحروا وولّوا خائبين!

حاول قوم لوط المستحيل لتحطيم هذه الجبهة.. اقفلوا عليهم الأبواب.. هددوا رضا في رفع الأذان.. لكن بقي صوته مجلجلاً كالرعد: أشهد أن علياً ولي الله!

وبقي يقرأ زيارة عاشوراء في كل يوم.. تطاردهم لعنة الله والملائكة والمؤمنين..

انتقل الأذان إلى العنبر رقم ٢ وارتفع صوت «سلمان» من بلدة الدير يؤذن: أشهد أن علياً ولي الله!

وانضم المحكومون بقضايا جنائية إلى جبهة المقاومة.. عادوا إلى ذواتهم.. ولدوا من جديد فالسجن ليس نهاية.. إنما هو امتحان.. محطة في طريق الحياة الطويل..

لقد علّمهم رضا الغسرة ألا يسمحوا للظروف أن تفرض نفسها عليهم، بل عليهم هم أن يفرضوا أنفسهم على ظروف الحياة..

الفصل الثاني عشر

وتمرّ الأيام والليالي في سجن جو الرهيب الجاثم قريباً من الساحل الشرقي.. قد تبدوا الأجواء هادئة خارج «جو».. لكن في داخل تلك الأسوار المعركة ما تزال مستمرة.. إدارة السجن بدأت في مضاعفة النقاط الأمنية واستحداث أبراج مراقبة جديدة.. ونصب كاميرات مراقبة في الممرات وبعض النقاط الحساسة وبدء العمل في بناء جدار شاهق يرتفع إلى أكثر من عشرة أمتار كما ضاعفت أعداد عناصر الشرطة.. وأصبح التفكير في الهروب من سجن جو حديث خرافة ومجرّد خيالات وأوهام.. وتندر البعض قائلاً حتى الذبابة لن يمكنها الإفلات من أسوار «جو».. وكان بعض الضباط ينظرون إلى رضا نظرات ساخرة ولسان حالهم يقول: هل ما زلت تفكر في الهروب!

رضا يبدو هادئاً في معظم الأوقات والقليلون يعرفون أن هذا القلب الشجاع الذي يصرخ في وجوه الجلادين.. هذا المتمرد العنيد الذي لا يهادن ولا يساوم.. هو في ساعة السحر راهب..

ينهض للوضوء.. ينسل من فراشه في الساعة التي يبلغ فيها النوم ذروة حلاوته.. يسبغ وضوءه وقد غمرته حالة من السكينة.. وربما أيقظ بعض رفاقه الذين أوصوه أن يوقظهم.. يفرش سجادة الصلاة.. ويضع «تربة» الحسين نصب عينيه وتنساب الصلاة والمناجاة من بين شفتيه كساقية في وادٍ ظليل..

قليلون يعرفون أن هذا الأسد الهصور في صخب النهار هو راهب عابد ناسك في هدأة الليل..

ينظر باحترام إلى التربة الحسينية.. يشمها أحياناً ويقبلها لأنها جزء من تلك الأرض التي شهدت ملحمة الطفوف.. حيث جرت فصول تلك الملحمة الخالدة.. ملحمة عاشوراء.. ليس عجيباً أن يهتف الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري:

- شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النِّسِيمُ
- نَسِيمُ الكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ
- وعَفَّرْتُ خَدِّي بحيثُ استراحَ خَدٌّ تَفَرَّى ولم يَضْرَعِ

أجل قليلون يعرفون أن رضا يستمدّ عزمه من تلك الملحمة.. لقد استمات قوم لوط من قوات الدرك الأردني وبذلوا المستحيل في منع الأذان.. لكن رضا انتصر عليهم وبقى صوت علي وليّ الله يشق فضاء جو إلى عنان السماء!

لقد انتهت انتفاضة مارس.. وانطوت حوادثها.. وانصرف البعض يلعقون الجراح.. وبعض يسردون الذكريات.. وبدا رضا أكثر هدوءً من

ذي قبل..

حتى عندما يتلقى الطعنات من رفاق الدرب وأخوة المصير.. كان يقابل ذلك بابتسامة في حزن وأسى.. شعاره واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.. إنه يقاتل فقط في الجبهات الحقيقية فهو حرب لمن نصب الحرب على أهل البيت عليهم السلام.. لم يلتفت إلى تلك الصراعات الجانبية والمعارك الوهمية..

ثمة بوصلة في طوايا قلبه تشير دائماً إلى الله.. الله وحده لا شريك له وما النصر إلا من عند الله.. لذلك فقد كان يشنّ حربه على آل خليفة وآل سعود.. عملاء اليهود

نمر الكرامة

في منتصف خريف ٢٠١٤ عقدت محكمة آل سعود الجزائية في جدة جلستها ١٣ لتصدر حكم الإعدام على نمر باقر النمر.. وكان يوماً حزيناً جداً في حياة رضا الغسرة.. شيخ المقاومة أعلنها صرخة مدوية في مرافعات أدانت آل سعود وآل خليفة دون خوف ووجل؛ قال كلمته وليسمع العالم.. كل العالم»

- أنا نمر باقر أمين النمر.. أقر أن جميع الخطب والبيانات التي صدرت عني كانت بمحض إرادتي وعن قناعة تامة مني وأنني لست نادماً على ذلك..
- أقرّ بأنني من المهتمين بما حدث في مملكة البحرين من مظاهرات.. أقرّ أن حكومة هذه البلاد لا تمارس دورها الرعوي..

وإنما تكرس دورها في التسلط على مواطنيها بشكل عام..

- أقر أنه لا سمع ولا طاعة لمن يسلب حرّيتي ويسلب أمني.. أقر أن الدولة ليست أهم من كرامتي.. بل أن حياتي أيضاً ليست أهم من كرامتي..

النمر.. نمر الكرامة مودع في السجن ينتظر صابراً محتسباً ما قدر الله له.. ألا لعنة الله على آل خليفة وآل سعود وعملاء اليهود!

تجرد رضا من كل التجاذبات الدنيوية.. بكل أشكالها وألوانها.. السجن وراء القضبان بيئة خصبة لكل التجاذبات.. حيث تتأجج النزعات الحزبية والفئوية.. وتشتد الصراعات.. هنالك يضيع اتجاه البوصلة.. غير أن المرء عندما يتحرر تبقى بوصلته تشير إلى الاتجاه الثابت الذي يمتد من الأزل إلى الأبد..

حاول بعضهم إقحامه في أتون هذه «الحرب الأهلية» داخل البيت لكنه بطبعه ينفر قائلاً: إني أخاف الله رب العالمين!

«أهل بيت رسول الله» بوصلتي.. أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.. إدارة سجن جو تبني سوراً شاهقاً يرتفع لأكثر من عشرة أمتار.. تضاعف التدابير الأمنية.. تزرع كاميرات المراقبة هنا وهناك.. تبني أبراجاً جديدة..

الجو الأمني في «جو» لم يعد كما كان عليه قبل العاشر من مارس.. من يرى رضا في تلك الأيام يرى شاباً هادئاً.. يمضي جلّ وقته في محراب الصمت.. يتلو القرآن.. وفي فترات «التشميس» كان يؤدي التمارين الرياضية..

الله وحده الذي يراقب الأعماق.. استطاع رضا وعلى حين غفلة من المرتزقة تهريب «جهاز محمول» من الحجم الكبير ليقوم بنشاطه على أفضل نحو.. رضا يعمل بصمت.. ذهنه المتوقد يعمل باستمرار ويخطط.. قلبه يتوهج بالنور القادم من هناك.. من أرض كربلاء.. من تلك البقعة المباركة المغمورة بنور السماوات والأرض.. وهنا تكمن كل أسرار ثورة هذا الشعب المقهور..

من أجل هذا يرزح المعلم عبدالوهاب حسين ونمر باقر النمر في سجون آل سعود وآل خليفة القادمين من أرض نجد.. من الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان!

كان رضا يعمل بصمت.. ينثر بذور المقاومة لتنبت ويشتد عودها وتؤتي أكلها ولو بعد حين.. برزت شخصيات شابة وظهرت على السطح لتأخذ دورها في ملحمة المقاومة.. «علي العرب، محمود يحيى، علي الصباغ، محمد طوق، فاضل مسلم» و... رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..

رضا يعمل بصمت ينطوي على حزن عميق.. ترى الابتسامة في وجهه لكن خلف عينيه النافذتين ينطوي حزن عميق.. حزن فيه وهج من حزن الأنبياء.. ألم يقل أمير المؤمنين علي عليه السلام صوت العدالة والإنسانية:

- عباد الله إن من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه

يعيش بجسمه بين الجدران القاسية وخلف الأسوار الشاهقة لكن روحه يحلّق بعيداً.. بعيداً جداً.. في المديات التي تعرج إليها الأرواح

الطاهـرة والنفـوس المطمئنـة.. آل خليفة حكموا عليه بالسـجن لأكثر من مئة عام.. هي ثمن مطالبته بالحرية والكرامة الإنسانية..

كان رضا يتواصل مع بعض الفاعلين في الحراك السياسي والاجتماعي في داخل البحرين وخارجها..

تمكـن مـن التواصل.. مع علي العرب ومـع «م.م» إلى جانب تواصله مع العديد من السجناء داخل «جو».. الله وحده الذي يراقب الأعماق.. الله وحده العالم بالأسرار..

علي العرب

الشـاب الباسـل يتلقـى فـي جهـاز «البـلاك بيـري» إضافـة من شـخص مجهول لا يعرفه:

- نزّل برنامج التلغرام.. في شخص يبغي يكلمك

علـى برنامـج التلغـرام اسـتقبل إضافـة مـن «heart brave» القلـب الشجاع!!

- السلام عليكم.. علي عندنا عملية تقدر تنفذها؟!
- عليكم السلام.. من معي؟!
- معك القلب الشجاع!
- اعرف هذا اسم حسابك! لكن منهو انته؟
- انت تعرفني زين.. أنا من ديرتك وكنا نعزي ويه بعض في مأتم الاثني عشرية

اطمأن علي قليلاً لكن بقي في قلبه شيء:

- أنت تكلمني عن عملية.. ما اقدر اتعاطى وياك قبل لا اعرفك
- وياك رضا الغسرة!
- أهلاً أبو حسن.. لو قلت من الصبح لاختصرت علينا!
- تقدر تنفذ العملية؟
- بكل سرور..

كان رضا يخطط وعلي العرب ينفذ.. وبعد مرور شهرين:

- السلام عليكم
- عليكم السلام أبو حسن
- تروح دورة عسكرية وأمنية إلى جانب دورة عقائدية وأخلاقية؟
- وين؟
- في «....»

بعد أيام..

- أنا في مقر تابع لـ«.....»

وبعد ثلاثة أيام من عودته إلى البحرين.. بدأ علي العرب الاستعداد للتوجه إلى السعودية

السيد مرتضى

- سلام عليكم سيد.. أنا رضا الغسرة.. ابغى اكلمك في موضوع
- أنا في خدمتك.. تفضل!
- أنا أخطط للهروب من السجن واحتاج مساعدتك!

تداعت في خاطر سيد مرتضى ذكريات هروب الغسرة والقبض عليه بعد يومين فقط.. لذلك لم يكن متحمساً لفكرة الهروب:

- لكن المرّة الأخيرة.. قبضوا عليكم بعد يومين
- سيد! أنا عندما هربت ما حصلت أحد يأويني.. والأشخاص الي ساعدوني في الخروج من السجن قطعوا تواصلهم معي.. كنت مضطر أن أذهب إلى مطلوبين.. ومسألة اكتشاف الموقع ليس بسبب خلل أمني.. كان انتقالهم للشقة ليلاً.. رآهم أحد الجيران وفكرهم حرامية جاؤوا للسرقة.. فاتصل للشرطة والشرطة جت على أساس في حالة سطو.. ولين دخلوا اكتشفوا أن هذي الشقة فيها مطلوبين فطلبوا قوات مساندة..

لم يكن لرضا في هذا الإخفاق ذنب.. وهنا عُلم السبب الحقيقي لاعتقال شباب المقاومة في هذا اليوم..

ترك رضا في نفس سيد مرتضى أثراً طيباً وتكونت لديه صورة جديدة حلّت مكان الصورة القديمة.. فتوثقت علاقتهما شيئاً فشيئاً.. وتمرّ الأيام وكانت نهايات خريف ٢٠١٥ تبشر بشتاء قارس وبالبرد والزمهرير..

السبت ٢ كانون الثاني-يناير ٢٠١٦

نزل الخبر نزول الصاعقة على رضا.. أعلن نظام آل سعود القتلة تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ المجاهد نمر باقر النمر في انتهاك صارخ لكل الأعراف والقوانين والشرائع السماوية!

كان النبأ صدمة عنيفة هزّت وجدان رضا في الصميم.. رحل الشيخ النمر وبقيت كلماته تدوّي في وجدان الجيل:

- لا سمع ولا طاعة لمن يسلب حرّيتي ويسلب أمني! الدولة ليست أهم من كرامتي.. بل إن حياتي أيضاً ليست أهم من كرامتي!

في منطقة القطيف والمدن الشرقية ذات الغالبية الشيعية خرجت مظاهرات استنكار نددت بآل سعود المجرمين.. وفي اليوم التالي خرجت مظاهرات احتجاج في البحرين..

هزت الجريمة الرأي العام في العالم وتوالت بيانات الاستنكار ضد القتلة والمجرمين عملاء اليهود..

أيد نظام آل خليفة إعدام الشيخ الشهيد.. وقد وصف المرجع الديني الأعلى آية الله السيد علي السيستاني إعدام الشهيد بـ«الظلم» و«العدوان».. فيما وصفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل قرار الإعدام بـ«الإجرامي».. وتوالت بيانات الاستنكار والتنديد وصلت ذروتها في اقتحام محتجين غاضبين للسفارة السعودية في طهران وتحطيم مكاتبها!

ويدخل شهيد الكرامة في وجدان هذا الجيل والأجيال التي تليه.. وينفذ هذا الشهيد في قلب رضا الغسرة.. في بوصلته هادياً وفي إرادته ثأراً مقدساً جزءً مندكّاً في ثأر الله..

٢٩ كانون الثاني-يناير ٢٠١٦

يتلقى «م.م» مكالمة من رضا الغسرة:

- كتبت شيء عن الحراك.. جواب لواحد سألني.. تقدر تعممه!
- طرشه
- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]

- اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم
- شعب عاش الجوع والفقر والتشريد لا تضره بضع سنوات عجاف، جاهد وثابر وصابر وصبر إلى أن لف جوعه كالقلادة على جيد الفتاة ليقتل به سالب حقه.
- تمر الأنظمة القمعية بوضع اقتصادي مزري بما اقترفته أيديها بحق شعوبها واليوم وبعد أن سقط جسد الأنظمة لا بد من أن نكثر الطعنات ونتصبر الجوع إلى أن نجتازه اجتياز الصائمين ويسقط النظام صريعاً بما اقترفت يداه وما الله بظلام للعبيد.

---

١. النساء: ١٠٤

- ثـوار البحريـن والمنطقـة الشـرقية إنكـم تواجهـون المـال وليس الرجـال لذلـك عليكم أن ترسـخوا جهدكم كله فـي ضرب اقتصاد آل خليفة وآل سعود فإن المقاومة بكل مجالاتها لا بد أن تصب في ذلك فإننا إن هدفنا لقتل المرتزقة لقتلهم فقط فإننا سنواجه كل أراذل البشـر وزبـالات المجتمعـات فـي الأرض ولكن إن قتلنا لنقتـل ونوظفها لشـل اقتصاد هذه الأنظمة ببثهـا إعلامياً والعمل علـى نـزع الثقـة مـن الشـركات العالميـة بالعمل مع هـذا النظام المستبد الخ...
- ثوارنـا الأبطـال لا نرجـح حراككـم التقليـدي الجماهيـري في كل مجـالات الثورة، لا ينفعنـا مثلا حرق ٥٠ إطـار ليحملهم ٥٠ عنصر ليقطعـوا الطريـق لـ ١٥ دقيقـة وفـي طبيعة الحـال إن أي عملية بهـذا العـدد غالبـاً ما تكون مكشـوفة أو غير سـرية ويتم كشـفها بكشف عنصر واحد فقط.
- فلو رجعنا لعمل أقل جهداً وأكثر تأثيراً من هذه العملية سنرجح العبوات الوهمية.
- أولاً: لا تحتاج زراعة العبوة الوهمية لا مواد خطيرة ولا مشبوهة ولا عـدد مـن العناصـر بل كل ما تحتاجه علبة فارغة وشـيء من الأسـلاك لتقطـع الطريـق لمـدة لا تقـل عن سـاعة بأقـل الجهود وأكثر سرية وأقل خطورة
- طريقة العمل:
- الأدوات:

١. علبة اسطوانية فارغة
٢. أسلاك كهربائية قصيرة
٣. بطارية ٩v فارغة
٤. شريط لاصق
٥. مقص
٦. هاتف وهمي (لعبة)

خطوات العمل:

قم بتجميع كل الأدوات لتشكل مجسم عبوة وهمية.

عند التجميع تأكد من:

عدم ترك أي بصمة يد في أي جزء من المجسم وبالخصوص على الشريط اللاصق، قم بقطع الأسلاك والشريط اللاصق بواسطة المقص واحرص على عدم قطعها بواسطة الفم لعدم ترك بصمة اللعاب، قم بالعمل في مكان بارد وجاف لعدم ترك أي بصمة DNA بسبب تساقط العرق واحرص على عدم تساقط الشعر من جسمك وقم بتنظيف المكان والجسم قبل العمل لتفادي وجود بصمات أو شعيرات تخص مسكنك أو من حولك

التنفيذ:

اختيار الوقت والموقع والتنسيق حيث يتناسب المكان والزمان مع المتطلبات الأمنية للزرع والانسحاب بعيداً عن الكاميرات الأمنية أو

المواقـع المشـبوهة وفـي يـوم من أيـام الدوامات الرسـمية ووقـت ذروة العمل أو ليلة الجمعة لشـل الحركة السـياحية المعتمد الثاني بعد النفط والصناعات للنظام والتنسيق مع أغلب المناطق بطرق غير مباشرة لتفادي الاختراق.

يمكنكم تطوير أنفسكم بما يتطلب الوضع مع المراعاة الأمنية وهذه مجرد فكرة والله الناصر والمعين.

«م.م»:

- الله يعطيكم العافية

رضا:

- فكـرت أن كل واحـد يحث أهله على هالشـي فـي الزيارة.. نخبر الأهالـي.. ونقـدر نحارب بها حتى على مطالب داخل السـجن.. يعني بدل الإضراب

«م.م»:

- تمام

رضا:

- نسويه باسم السجناء
- جولة
- ما يستجيبون الثانية وجدي
- والهدف عام وحراك مستمر

- بعض السجناء لازم نسوي ليه إحماء عقلي
- حق نرجع الثورة في أدمغتهم
- عالعموم بقوم بغتسل الجمعة
- اي شي تحتاج خبرني
- انا حاضر

«م.م»:

- الله يقويكم ويعطيكم العافية

رضا:

- قدرت اكسر خوف الشرطة

«م.م»:

- بس أخاف يراقبون حركتك!

رضا:

- لا.. أنا من شهور امهد!

«م.م»:

- أنت أخبر بوضعك مني.. بس توقع أنهم يراقبون حركتك

رضا:

- أي.. محاسب

«م.م»:

- حتى الشرطة يمكن يتعاونون!

رضا:

- هـم مـن خوفهـم منـي يعني حسـن[١] اخوي ١٠ أيـام مضرب عن الطعـام ترقـد فـي العسـكري[٢] بـس يبي يزورنـي ما قبلـوا حتى اتصال
- هم في نظرهم.. قيدوني خلاص وصرت عاجز
- وأنا ابين[٣] هالشي لأقرب المقربين
- يعنـي حتى الشـباب محمـد (محمد طوق) والباقـي من يفتحون الموضوع اقول خلاص أنا ما ابي وصعب الوضع ومافي امكانية[٤]
- عندي فقط واحد مخلنه عيون ليي في اماكن أنا ما اوصلها وهو يوصلها
- وما اخترته الا باختبار

«م.م»:

- نعم.. ممتاز

رضا:

---

١. شقيقه في السجن

٢. المستشفى العسكري

٣. اتظاهر بذلك

٤. إمكانية الهروب من السجن

- كلهم بنفاجئهم أفضل

«م.م»:

- إن شاء الله

٣١ كانون الثاني-يناير ٢٠١٦

تلقى «م.م» اتصالاً من رضا وكان في تواصل دائم معه.. رضا يحضّر لعملية هروب كبرى يخطط لها منذ وقت طويل.. يطلب رضا من «م.م» إدخال عناصر مدرّبة من خارج البحرين لتنفيذ العملية.. ويبثه همومه من وجود ثرثرة داخل السجن تتهدد أمن العملية وسرّيتها بالخطر.. قال رضا:

- احنا نواجه إشاعة وثرثرات!

«م.م»:

- ما بتخلصون.. شبابنا جدي.. الله يكون في العون

رضا:

- انا اخترت ليي عيون واجد زين.. صغير هو عمراً بس كبير عقلاً.. من العكر.. اليوم جاني بثرثرات من ناس.. قلت له: شفت يا أخي.. المشكلة ناس تبني وناس تهدم.. قلت له: لابد أن الاتهام لينه بجي!

«م.م»:

- ناس مهنتها الثرثرة.. ما عندها شي غير

رضا:

- وما كملنه ساعة.. جانه واحد في شي جدي (الهروب) بحكم السابقة، قلت له حلم هذا شوف الوضع صعب وبصير حل سياسي، ما نفكر في هالشيء، ما تقدر تسكّت احد؛ لأن توجه ليك أصابع الاتهام، الأفضل الصمت في هالامور والتعجيل طبعاً.. أمس وزعت العمل برا كامل..

«م.م»:

- إن شاء الله تتيسر الأمور

رضا:

- احتاج ١٦ عنصر حق قطع طرق و٦ مواصلات.. كلهم جاهزين.. أمورنا كلها تمام يبقى بس الخط الأمامي

«م.م»:

- إن شاء الله تترتب

رضا:

- أنت ادفع للأمام وجزاك الله خير.. عندي طموح كبير بهالشي.. أول شي جمع طاقات الشيعة

«م.م»:

- إن شاء الله

٢٩ شباط-فبراير ٢٠١٦

مكث رضا جالساً على سجادة الصلاة.. الوقت ما بين الطلوعين.. وقد بقي على طلوع الشمس دقائق معدودة.. نظراته مركزة على «التربة الحسينية».. بقى يتأملها كما لو أنه يراقب مشاهد من ملحمة يوم عاشوراء.. هوى ساجداً فوق أرض الحسين وتمتم بخشوع: «إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً.. وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً.. أنت كما أحب.. فاجعلني كما تحب»

«يا من توحّد بالعزّ والبقاء! وقهر عباده بالموت والفناء! صلّ على محمد وآله الأتقياء.. واسمع ندائي واستجب دعائي.. وحقق بفضلك أملي ورجائي»

تواصل رضا في مساء هذا اليوم مع «م.م»..

رضا:

- سيدنا ما عرفت أنام في صدري كلام؛ لأن الوضع يوم عن يوم يتطور والتأخير مو في صالحنه.. احنه ما نبي نسبق الموج ويلطمنه ولا نتأخر عنه ويسبقنه.. اليوم صار تطور لصالحهم احنه لكل شيء حاطين بديل بس كل شيء يتطور عندهم.. يحتاج منه جهد أكثر.. اليوم صرفوا لكل مسؤول كاميرا تتثبت على قميصه تمشي وياه مرتبطة بالإدارة هم حطوها لزعمهم مراقبة الخونة منهم لأنهم مستجنين من الي يهربون تلفونات

ومخـدرات منهـم.. بـس هالشـي يصعـب علينا كما صعـب علينا طـوال الشـهور الـي فاتـت كل تطوراتهـم الأمنيـة.. بس مـا ادري ويـش أقـول.. بـس نحتاج حسـم أو تراجـع، مـع أن صعب لكن الأمر لله

- سـامحني سـيد.. تصبـح على خيـر، وهذا مو عتـاب بس ما أحب اتكلـم وي أحـد احترمـه ولـو بتنبيـه، وأنـت ليـك احتـرام خـاص لإخلاصك وشهادة بعض المقربين ليي عنك

السيد:

- اسأل الله تيسير الأمور، واحنا نتحرك بالي نقدر عليه ان شاء الله التوفيق قريب

رضا:

- ما تقصر سيد، ارد اعتذر، احنه نكمل بعض ما لينا غنى عنكم

السيد:

- بالعكـس أخـي.. اسـأل الله التوفيـق وتسـديد الخطـى، احنـا مقصرين ونسأل الله التوفيق

حزيران-يونيو ٢٠١٦

فـي مطلـع عـام ٢٠١٦ طلب رضا الغسـرة مـن علي العرب السـفر إلى السـعودية وشـراء «برقيـات» وهناك تواصـل علي مع «ع.م» لاسـتلامها.. بعد شرائها طلب منه أن يتواصل مع «س» لإدخالها إلى البحرين..

وفي حزيران-يونيو اتصل رضا بـ«حسن شكر» وأوكل إليه مهمة تصوير الأماكن التي تتمركز فيها الشرطة في منطقة «بني جمرة».. بعد إنجاز المهمة وإرسال الصور إليه أخبره رضا بأنه وضع سلاح من نوع «فرد» بالقرب من بيته.. طلب منه استخراج السلاح وتنفيذ هجوم على المدرعات.. تعذر التنفيذ واتصل بـ«رضا» ليخبره عن عدم إمكانية تنفيذ الهجوم لوجود طائرة هيلوكبتر في المنطقة.. بقي السلاح بحوزة حسن شكر ثلاثة أيام.. اتصل به رضا وطلب منه وضع السلاح في مكان «ص» وسوف يستلمه «ع.ب»..

تلقى حسن شكر بعد أيام اتصالاً من رضا.. وبدأ التواصل والتنسيق لتحرير أسير موقوف يتلقى العلاج في مستشفى وكانت مهمتها مراقبة المستشفى من الداخل.. طلب رضا من حسن شكر أن ينسق مع علي العرب وأسند إلى محمد العابد وحامد العابد عملية الهجوم واقتحام المستشفى، ومهمة حسن شكر قيادة السيارة وتعزيز ومساندة الهجوم إذا تطلب الأمر، وقبل التنفيذ بليلة اجتمع شباب المقاومة وتم توزيع السلاح واستعراض التفاصيل.. قال حسن شكر:

- بعد تحرير الأسير «ع.م» سيتم نقله إلى مكان مؤقت وبعدها سأقوم بنقله إلى مكان آخر..

ونهض الجميع وغادروا إلى بيوتهم..

في تلك الليلة الرمضانية وكانت السماء كحلية صافية وقد تألقت ملايين النجوم.. أمضى رضا وقت السحر في أداء صلاة الليل..

أيقظ بعض رفاقه لتناول السحور.. اكتفى بلقيمات ونهض يجدد

الوضوء وجلس في سجادته يتلو آيات من القرآن الكريم.. بقيت لحظات على ارتفاع أذان الفجر.. نهض واقفاً يسبح الله ويحمده حتى إذا دخل الوقت صدع بنشيد السماء:

- الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر الله أكبر
- أشهد أن لا إله إلا الله
- أشهد أن محمداً رسول الله
- أشهد أن علياً ولي الله!
- يخيل للمرء أن صوته يخترق الجدران والأسوار ويدور في الفضاء ويحلق فوق الأمواج إلى حيث تلتقي زرقة السماء وزرقة الماء فوق مياه البحرين تلتقيان..
- مرّت ثلاث ساعات بعد طلوع الفجر.. عندما تلقى رسالة من «ف.ب.أ»: «ع.م» لم يحضر!
- وعلى الفور وجه رضا إلى حسن رسالة عاجلة:
- سلام عليكم.. تلغى العملية! «ع.م» لم يحضر! الخير فيما وقع.. تمام
- تمام

أبلغ حسن شكر رفاقه في المقاومة بإلغاء العملية..

سورة التحدي

يستطيع السجين في مبنى العزل أن يضبط ساعته وهو يصغي إلى خطى رضا الغسرة في الممر وسط العنبر.. حاملاً سجادة الصلاة وتربة الحسين سيد الشهداء وكتاب الدعاء وهو حقاً «مفاتيح الجنان».. لقد أشاع هذا المشهد اليومي جواً إيمانياً في عموم العنبر وفي الزنزانة رقم ٦ على وجه التحديد..

يلتحق به الشباب لزيارة عاشوراء..

قبل أداء الصلاة يتجه بكل كيانه إلى جهة الأرض المقدسة في كربلاء.. حيث جرت فصول الملحمة الخالدة.. ملحمة عاشوراء.. فيكرر ثلاث مرات: إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة.. بعدها ينهض فيصلي ركعتي الزيارة.. وعند حلول وقت صلاة الظهر ينطلق النداء الخالد من حنجرة مؤمنة بالله ورسوله وراح يدوّي بنداء الولاء للإمام أمير المؤمنين صوت العدالة والإنسانية.. القوانين الجائرة تمنع هذا الأذان.. إنه خطر على عروش الظالمين.. جاء الضابط وخلفه قطيع من المرتزقة.. خاطب رضا بحدّة وفي نبرة يتطاير منها التهديد والوعيد:

- براويك رضا! أنت متمرد.. ما تحترم القوانين في السجن!

رد رضا بعنفوان حسيني:

- أنا لو مو متمرد على نظام آل خليفة ما شفتني هني.. وثاني شي مو أنت الي تهددني.. أنا الي براويكم.. مو أنت الي بتراويني.. أنت تعرف زين أنا مو وحدي..

انكمش الضابط من هول الصدمة وقذف الله في قلبه الرعب.. هزّ رأسه وأشار إلى القطيع بالانسحاب ومغادرة المكان!

عاد الضابط بعد ساعة ليخاطب رضا متوددًا:

- رضاوي لو سمحت أبيك..

أخذ بيده خطوات وقال متملقًا:

- رضا! احنا عيال ديرة وحدة وكلنا أخوان وما نبي تصير بينّا مشكلة!

التزم رضا الصمت وقد تألقت سورة التحدي فوق جبهته.. قال الضابط:

- أي شيء تبي اكتب لي رسالة ضابط وبستجيب لك!!

الفصل الثالث عشر

مرّة أخرى يلتقي شهر تشرين الأول-أكتوبر مع محرم الحرام كما التقيا من قبل عندما التقت سنة ٦١ هـ مع عام ٦٨٠ للميلاد[1].. مرّة أخرى التقى محرم الحرام سنة ١٤٣٨ هـ مع عام ٢٠١٦م.. في شهر محرم الحرام يرتدي رضا الغسرة غلالة من حزن مقدس.. وهج من حزن الصديقين والشهداء.. تألق رضا من خلال إخلاصه والتفاف المؤمنين به.. علي السنكيس وعباس السميع وسامي مشيمع.. وقد عرف عنه التحامه بالشعائر الحسينية.. يبادر إلى إحيائها والاحتفاء بها.. يخرج من العزل إلى المكان الذي تجري فيه الشعائر وفي جيبه أوراق لقصائد حسينية أو مادة للمجالس كان يحملها معه تحسباً لأي نقص أو قصور.. وكان بمجرد خروجه يمسك بأي شيء أمامه يخدم به المعزين الموالين لأهل البيت عليهم السلام.. لذلك يبادر إلى المكنسة ليكنس المكان أو يقدم «البركة»

١. يوافق العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ العاشر من تشرين الأول-أكتوبر عام ٦٨٠ للميلاد

للمعزين حتى أطلّت ليلة الجمعة العظيمة (ليلة القدر الصغرى) وليلة صاحب الزمان.. وليلة الشهداء.. فتراه يحث الشباب ويدعوهم للاحتفاء بهذه الليلة العظيمة.. كان يقول لهم:

- إن فاتتكم أعمال ليلة الجمعة.. دعاء كميل وبقية الأعمال فلا تفوتكم زيارة الحسين.. الخسران كل الخسران في من فوّت زيارة الحسين ليلة الجمعة..

وبادر رضا في خط هذه العبارة ولصقها في لوحة العنبر العامة؛ كان يعي معنى أن يكون سيد الشهداء هو سفينة النجاة الأوسع والأسرع.. قال مرّة لرفاق الدرب:

- إن فهمنا قضية الحسين وكربلاء فهماً حقيقياً وجعلها منطلقاً ومنهجاً هو كل ما نحتاجه.. لا بديل عن راية سيد الشهداء والفكر الحسيني الكربلائي الاستشهادي لتحرير الأرض وإظهار دين الله

كان يقول:

- تمسكوا براية سيد الشهداء فكراً وعقيدة فهي فلك نجاتكم الأسرع والأوسع في الدنيا والآخرة..

ويردد دائماً وفي كل مناسبة: والله لا ينفعكم إلا الحسين!

ولكثرة تلاحمه مع شعائر الإمام الحسين وزيارة عاشوراء يتصور المرء أنه قادم من هناك.. قادم من تلك البقعة المباركة المقدسة..

في تلك الليلة وقد ابتسم هلال محرم الحرام كعادته ابتسامة مفعمة

بالحزن والأسى.. انبعث صوت خافت حزين قادم من هناك..

هلال شهرك يا محرم هل علينا.. وقرّب أفكاري البعيدة

وبرحابة حزن صدري.. استقبلت هاي السنة بدنيا جديدة

وبعد ما أدري اشوفك عام ثاني.. لو وداع وياك هذا وتنكتب آخر قصيدة

وما يهم لو حان موتي يظل حب حسين حي.. وما تموت وما تندفن روح العقيدة..

اختار رضا في هذا الشهر الحزين قصيدة حسينية عراقية أصبحت نشيداً لملايين الشيعة المقهورين في زمن صدام يزيد العصر.. وقبل أن يشدو بهذه القصيدة الشهيرة.. ألقى كلمة حماسية تحدث فيها عن قصيدة «يحسين بضمايرنا» ووصفها بـ«قصيدة الحماسة والعرفان»..

خاطب رضا المعزّين قائلاً:

- إننا إذا أردنا الانتصار وبلوغ المنى فلا بد أن نجعل مضامين هذه القصيدة منطلقا ومنهجاً

تحدث عن قصتها وكيف أشعلت شرارة الانتفاضة الأولى في العراق في سبعينيات القرن الماضي.. بعدها بدأ يصدح بكلمات تلك القصيدة الخالدة:

- لمسنا بيك أبو الأحرار.. عرفنا الموت حرّية
- لمسنا التضحية بشخصك.. عرفنا الشرف تضحية

- لمسنا بيك أبي وما تلين.. عرفنا الذل عبودية..
- لمسنا قسوة أعدائك.. عرفنا احنا فدائية..
- عرفنا نظل.. بيدين يزيد.. من ايد لقساوة ايد..
- عرفنا ولمن عرفنا.. صحنا بيك آمنا
- يحسين بضمايرنا.. صحنا بيك آمنا

وكان يـوم العاشـر من المحرم يوماً مأسـاوياً.. خـرج الجميع يغمرهم الحـزن.. شـعثاً يبكـون وينتحبـون وجاسـوا ممرات السـجن وهـم يهتفون بحماس:

- أبد والله يا زهرا.. ما ننسى حسينا..

وكان رضا الغسرة في مقدمة جمع المعزّين يتفجر أسىً ولوعة وحزناً وعندما وصل المعزّون إلى الساحة الخارجية قام أحد الأردنيين بالوقوف مقابـل الموكـب وهـو يحمـل كاميرا ويقـوم بالتصويـر.. اندفع نحـوه رضا غاضبـاً وسـدّد بقبضتـه ضربـة للكاميرا فسـقطت وولّـى الشـرطي الأردني المرتزق مذعوراً يستنجد بإدارة السجن لإخماد «التمرد» فقيل له: دعهم وشأنهم فهم يصبحون مجانين في مثل هذا اليوم!

فرد أحد شباب المقاومة قائلاً: جنوني بالحسين دليل عقلي!

لم يكن رضا الغسـرة إنسـاناً مشاكسـاً أبداً بل كان مؤدباً ومهذباً حتى مـع سـجانيه.. إلا عندمـا يتعلـق الأمـر بمحاولـة حرمانه مـن حقوقه في إحيـاء شـعائر أهـل البيـت عليهم السلام.. تجـده يتعامـل مـع سـجانيه بـروح من المـداراة إلا إنهـم يتصـورون أحياناً أنهم قـد تمكنوا مـن ترويضه.. هنالك

ينتفض في وجوههم كالعاصفة.. أراد الشرطي مرّة منعه من المشاركة في العزاء فقام رضا بدفعه وواصل طريقه وحضر العزاء الحسيني حتى النهاية وبعدها اقتادوه إلى السجن الانفرادي أياماً معدودات..

١١ تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٦

يصادف هذا اليوم ذكرى يوم عاشوراء في التقويم الميلادي.. تواصل رضا مع «م.م»:

- سلام عليكم، شحوالكم ان شاء زينين، الحمدلله على كل حال، الحسين سلوى والشباب هني ما قصروا من مجالس ومضايف ومسيرة شموع طلعوا امس وزفة القاسم ومواكب كل حزة، الحمدلله رب العالمين، الحمدلله على كل حال، انتون وش اموركم؟

«م.م»:

- وعليكم السلام ورحمة الله، الحمدلله بخير ما دمنا على طريق الحسين (ع)، الإحياء قوي وممتاز والحمدلله تفاعل كبير من الجميع، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم زيارة الحسين وفي الآخرة شفاعته

٢٥ تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٦

رضا يروي ذكرياته أيام ثورة فبراير ٢٠١١ والهجوم الذي شنته قوات النظام الخليفي بمساندة قوات درع الجزيرة السعودية على ميدان اللؤلؤة

بعـد تبـادل عبارات ودية مـع «م.م».. أخبره أنـه كان مع «محمد طوق» عصراً.. قال رضا:

- كنا في ميدان اللؤلؤة وبعد الخطة الخليفية في تشتيت الجماهير وقصة الهجوم على القرى والبلطجية قسـمنا أنفسـنا مجموعتين، مجموعـة تبـات فـي الميـدان والأخـرى تحـرس القريـة، وبعـد وصولي للقرية قمت بتحريض الشباب على صناعة أدوات الدفاع وبالأحـرى المولوتـوف وقـد تفاعـل معنـا الجانـب النسـوي فـي ذلـك عبر إمدادنـا بالزجاجات الفارغة وقطـع الفتيل «الأخياش» والتمـور، وقمـت بإطفـاء كل الأنـوار فـي القريـة وكان حادثتين، واحـدة مضحكـة والأخـرى مؤلمـة، أمـا عـن المضحكـة بعد أن مددنـا السـلم الطويـل الـذي كان يهـاب البعض ارتقـاءه لإطفاء أحـد الأنـوار المرتفعـة علـى أحـد بيـوت القرية، وبعد أن سـمع أحـد قاطنـي هذا المنزل بعـض الأصوات خرج مـن نافذته ليرى مـا يحصـل في الخارج فتفاجئ بي على السـلم فـأدى لي التحية العسكرية وضل واقفاً إلى أن انتهينا من إطفاءه ثم توجهنا وسط القريـة، وفـي أحد البيـوت وبالتحديد بيت حجي عيسـى مرزوق جـد الـرادود حسـين فيصل انفجـر الكابل الكهربائـي في وجهي وفقـدت البصـر لدقيقـة مـن الزمـن ولكن عـدت بصحـة وعافية بفضـل مـن الله، وفي طريقنا للرجوع لنقطـة التجميع عند مجمع الكهرباء بجنب بيت النشي مررنا على المنزل الذي ذكرناه سابقاً وإذا بالشـخص الذي أدى التحية العسـكرية واقفاً كما كان ويده كما هي فصرخت عليه باسمه فلان ادخل داخل، وإذا به كالبرق

الخاطف يهرع للهروب من أمام نافذته، بعد يومان كان الهجوم على الميدان وقد قمنا سابقاً بتغطية القرية بأكثر من ١٠٠٠ زجاجة مولوتوف وقد أمرت النساء بتسخين الزيت وسكبه على الأعداء من أعلى المنازل في حال حدوث أي مواجهة، لكن لم تكن هناك أي مقاومة بما يذكر إلا بزجاجة أنا القيتها بالضبط بجنب منزل الحاج موسى أثناء دخول القوات السعودية لنا ليلاً ومقابل أصوات الرصاص في السواتر ومعارضة بعض من كانوا معي المواجهة وللعلم لم اكن اتقن رمي الملتوف ولا استخدامه.

- وهناك الكثير من المواقف التي نسيتها لأني لا أهتم بصراحة في هذه الأمور ولكن حبيت أبدأ من هني وعلى الي اذكره.

«م.م»:

- اكتب وأنا سأحتفظ بما تكتب.. وقد أعيد صياغته فيما بعد.. بأسلوب أدبي وبدون ذكر الأسماء حتى لا يصابون بسوء

رضا:

- الأخطاء الإملائية عدلها.. أنا ضعيف في الكتابة ولك حق التصرف لكن لا يظهر شيء إلا بعد أخذ الأمانة

يكمل:

- لك حق التصرف

«م.م»:

- الله يعطيك العافية، حبيبي اكتب عناوين أي قصة تجي في

ذهنك وخل عندك فهرس طويل عناوين، والوقت الي تتفرغ اكتب عنوان عنوان.. قصة لكل عنوان علشان ما تنسى.. وانت بتكتب بتجي في بالك عناوين غير، كل عنوان يجي في بالك اكتبه مباشرة عشان ما تنساه

رضا:

- صادتنه مواقف جن في مأتم نساء في بيت مهجور وكنت الاحظ أن أي تصرفات لا تليق بالمكان من قبل الأخوان يزعجونهم بشكل غير طبيعي.. حتى الكل صار يعرفه ببيت الجن!.. تفيد في احترام المكان!

«م.م»:

- إذا بتكتب اكتب مشاعرك.. أحساسك.. أحاسيس الأخوة وياك.. ادخل في داخلهم، فرحكم حزنكم خوفكم شجاعتكم قلقكم.. كل شيء.. علشان القارئ يقدر يعيش وياك، أنا بحفظ الي كتبته.. وإذا صار كمية زينة بصيغ بعضه وبطرشه ليك تشوفه

رضا:

- إن شاء الله

«م.م»:

- نسألكم الدعاء.. استأذن

رضا:

- في أمان الله.. الله يحفظكم وأنتم من أهل الدعاء..

إرهاصات الفجر.. فجر الحرية

منذ شـهور.. شـهور طويلة ورضا يعمل بشـرّية للغاية.. يخطط ويرسم خرائـط.. ويلغي الخطط.. إلى أن اسـتقر علـى مخطط مثير لتنفيذ عملية تحريـر كبـرى بعد ارتفاع السـور الجديد إلى أكثر من عشـرة أمتار ونصب المزيد من كاميرات المراقبة وبناء أبراج مراقبة إضافية..

وقـد انعكسـت هـذه التدابير الأمنيـة الجديدة على تصرفـات الإدارة وعناصـر الشـرطة وظهـرت حالـة مـن التراخـي أو الاسـترخاء فـي أجـواء «جـو».. فقـد تصـورت إدارة السـجن أنـه قـد بـات مـن المسـتحيل تنفيذ عملية هروب.. بعد كل هذه التحصينات.. وقد استغل رضا هذه الظاهرة فـي التحـرك على الشـباب وإعدادهم روحياً ونفسـياً.. بـدأ رضا مع بعض الأشـخاص ورأى فيهم شـخصيات مناسـبة لمـا يخطط له.. ثـم ركز جهود علـى الزنزانـة رقـم ٦ لكونها الأكثـر حيوية وفاعلية فـي العنبر وهي ذات الزنزانة التي تشكل الركن الأساسي في مخططه..

أمضـى رضـا الأسـابيع الأخيرة على شـحذ الهمم وتعزيـز الإرادة وكان يستشيرهم في مراجعة خطته النهائية..

كانـت الظـروف مؤاتيه والوضـع الأمني في حالة تراخـي.. بالرغم من وقوع حادث دفع إدارة السجن إلى إعلان حالة من الاستنفار.. فقد أدى إقدام نظام آل خليفة واتخاذه قرار إسقاط «جنسية» الشيخ عيسى أحمد قاسـم إلـى أن يقوم أسـرى مبنـى ١٧ بعملية بطولية.. وقد أوجس شـباب العـزل خيفـة مـن أن تؤدي الحـوادث إلى أن يقـوم رضا بإلغـاء أو تأجيل عملية التحرير.. غير أن رضا أكد لهم أن ما قام به شباب مبنى ١٧ سيكون

مقدمة لعمليتنا..

أوعز رضا إلى علي العرب أن يتوجه إلى دورة مياه مسجد الخضر وأخذ مبلغ ٢٠٠٠ دينار.. وبعدها يتوجه إلى السعودية ويلتقي الأخ «م.ع» لشراء سلاحين من نوع «فرد» و«كلاشنكوف» وعليه أن يسلم هذا السلاح إلى الأخ «س» من أجل إدخال هذا السلاح إلى البحرين..

توجه علي العرب إلى دورة مياه مسجد الخضر حيث وجد المبلغ ٢٠٠٠.. وشدّ الرحال إلى السعودية.. واشترى السلاح.. وسلمه إلى «س» بعدما اتصل به رضا.. لكي يستلم السلاح من «س» داخل البحرين في منطقة بني جمرة.. وتسليم السلاح إلى «حسن شكر» الذي أودعه بدوره في بيت جده..

الجمعة ٢٨ تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٦

رضا يجري محادثة مع سيد مرتضى؛ رضا:

- سلام عليكم.. جمعة مباركة علينا وعليكم.. حبيت انقل بالنسبة للشيخ زهير الله يحفظه.. جابوه ويانا في المبنى في العنبر الي جنبي.. اليوم الصبح وأمس صليت وياه الجماعة.. اقدر اشوفه على طول.. أي شي تحتاجه وبتوصل ليه.. أنا حاضر

سيد مرتضى:

- وعليكم السلام ورحمة الله.. أهلاً صبحكم الله بألف خير.. شخبارك.. ناقلينه معاكم على طول؟
- إن شاء الله راح نتواصل في اليومين القادمين عجل

السبت ٢٩ تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٦

في ذلك الصباح الخريفي وكان الضباب يتكاثف في الساحل الشرقي.. يتواصل رضا مع السيد.. كان هاجس رضا تدبير مبلغ لشراء قطع سلاح وكذلك طائرة مسيرة:

- بالنسبة ليي مشتري أغراض ونقصتني فلوس فتقدرون تساعدوني بدِيْن إلى شهر بس وارجعه

شغلة ثانية.. في فرصة محصل طائرات مسيّرة وسعرهم معقول وتنفع واجد للتصوير والاستطلاع

قال رضا بلهجة يشوبها قدر من الحياء:

- أنا حتى أكون صريح وتعرف وين بتروح.. مشتري حديدتين كبار بـ ٣ آلاف.. عندي الفين ونقصني ألف يمكن يومين احصلها وبالكثير شهر وارجعها ليكم

وجاء الجواب:

- بالخدمة.. برتب وبخبرك

سيد مرتضى يحاول التواصل مع رضا لكن دون جدوى.. اختفى رضا تماماً.. بعد أيام معدودات..

رضا:

- السلام عليكم سيد.. شخباركم؟

السيد:

- القادم من هناك -

- وعليكم السلام ورحمة الله.. أهلاً.. شخباركم؟
- اختفيتون

رضا:

- احنه صادتنه احداث هني
- من جدي اختفينه

السيد:

- حادثة ويش؟

رضا:

- هجموا علينا تفتيش انتقامي وكسروا وعفسوا ودشينه في صراع وياهم حق ما يكون الشي عابر لأن هم يدشون يخربون ويفتشون بطرق استفزازية ويحتاج أن نتجرأ عليهم حق تتشجع المباني الباقية وقت ما يصير أي حدث مماثل والحمدلله صار عندهم حسابات إلى هالشغلة

وابتغوا إليه الوسيلة

أوكل رضا مهمة شراء الطائرة المسيرة «درون» إلى علي العرب.. كان قد خطط لشرائها من دولة الإمارات.. تواصل رضا مع أحد رفاق الدرب في العوامية.. حيث تمكن من تهريبها إلى «القطيف»..

بانتظار تعليمات تصله من رضا في كيفية إدخالها ونقلها إلى البحرين.. تواصل رضا مع رفاق الدرب وطلب منهم تفكيك الطائرة والسلاح وتسليم

أجزائها إلى «علي العرب»، وكان علي العرب يقوم بنقل الأجزاء على دفعات إلى البحرين.. أوصاه رضا أن يتوسل بأهل البيت عليهم السلام إلى الله سبحانه وعندما يقترب من نقاط التفتيش يتوسل إلى الله بالسيدة الصديقة فاطمة الزهراء ويلعن ظالميها.. ثم ينفخ في الوجوه الكالحة الموجودة في نقطة التفتيش، فكان يعبر بسلام ويدخل البحرين آمناً.. وعلى دفعات عديدة استكمل علي العرب إدخال جميع الأجزاء المفككة للطائرة والأسلحة ليعاد شدها وتركيبها من جديد وإخفائها في مكان آمن استعداداً لعملية التحرير المثيرة وقد تجلت كرامة أهل البيت عليهم السلام لـ«علي العرب» وتضاعف إيمانه بهم صلوات الله عليهم أجمعين

سيوف الثأر

هاجس الثأر للشهداء.. هاجس ينبض في قلب رضا الغسرة مع دقات قلبه.. وفي ذهنه المتوقد.. تتألق سيوف الثأر لأولئك الذين رحلوا وبقيت ذكرياتهم تشع في قلوب أحبتهم.. كان رضا يراجع باستمرار خطته النهائية ويستشير رفاق الدرب في إيجاد الثغرات المحتملة..

رضا يعمل بصمت ويتابع داخل السجن وداخل البحرين وخارج البحرين.. ذهنه المتوقد يعمل بانتظام وقلبه الشجاع ينبض بانتظام ونفسه مطمئنة بقضاء الله وقدره وروحه تحلق في عالم زاخر بالأرواح الطاهرة حيث ترفرف أجنحة الملائكة.. كان رضا قد عرض فكرة الهروب على عدد من الشخصيات من أجل الدعم، فاعتبروها مغامرة خاسرة.. قالوا له:

- هذا جنون ومخاطرة ولن تنجح أبداً..

باستثناء شخص واحد دعمه بقوة.. فكان سنداً كبيراً وهو السيد مرتضى السندي.. فكان على تواصل دائم معه..

٢٧ تشرين الثاني-نوفمبر ٢٠١٦

وتمرّ الساعات بطيئة.. كان رضا خلالها يعدّ الدقائق ولا يعلم ما يضمره الغيب من حوادث، لذلك وجد نفسه يتواصل مع السيد:

- السلام عليكم سيد.. شخباركم؟ إن شاء الله بخير
- نسألكم الدعاء سيد.. لأن متعسر علينا الوضع واحنا قاعدين نكافح ونتوسل بالإمام الغائب يسهل أمرنا..
- واجد عسر واضح..

٢٨ تشرين الثاني-نوفمبر ٢٠١٦

أجاب السيد بعد ساعات طويلة:

- وعليكم السلام ورحمة الله.. الله يسهل عليكم ويفرج يا رب..

كان عمار السواد جالساً في زنزانة رقم ١ في العنبر رقم ١.. أخبره أحمد العرب أن رضا الغسرة يخطط لعملية هروب من داخل السجن.. وافق عمار على الفكرة بعد لحظات صمت وتأمّل..

أحمد العرب يخبره أن رضا سيسند إليه إحدى المهام المحددة في مخطط العملية..

منشار حديد

يتضمن مخطط العملية قطع أحد القضبان المصنوعة من الحديد الصلب وهذا يتطلب منشار حديد..

عمد رضا إلى فعل شيء ما يستدعي حضور عمال الصيانة لإصلاح الصنبور في دورة المياه.. حضر عمال الصيانة وتمكن رضا من العثور على منشار صغير في أدواتهم.. فاستلّم صندوق المعدات دون أن يشعروا وطلب من صادق تقي وعيسى موسى التعاون على قص أحد القضبان الفولاذية.. وكانت هذه المهمة أهم جزء من المخطط وقد أكد رضا عليهما أن لا يقطعاه بالكامل وأن يتركا جزءً رقيقاً حتى لا يثير الانتباه والشك!

كانت هناك شمسية ويوجد فوقها شبك حديدي قوي.. كانا يصعدان عليه ويضعان أقدامهما فوقه.. لكي يحفظا توازنهما كانا يمسكان الحديد باليد اليمني والمنشار باليد اليسرى.. وقد بدأ العمل قبل شهر محرم وبعد دخول شهر محرم إلى يوم العاشر أوقفا العمل لأن المكان يمتلئ بالمعتقلين لإحياء مراسم عاشوراء.. وفي يوم الحادي عشر من المحرم استئنفا العمل من جديد.. سمك هذه القضبان ٣ سم..

حتى مطلع الفجر

اجتمع حسن شكر قائد عملية سيوف الثأر من خارج السجن مع رفاقه محمد العابد وحامد العابد وعلي العرب.. اجتمعوا ليلاً لتداول خطة الهجوم على سجن جو من الخارج ومساندة الأسرى في عملية الهروب

والتحرير.. وبدأ توزيع الأدوار:

- حسن شكر يجلس في السيارة ويتواصل مع رضا الغسرة.. حسن شكر يقوم بالتحكم بالطائرة المسيّرة أيضاً..
- علي العرب ينزل من السيارة ومعه بندقية الكلاشنكوف ويكون على اتصال على اللاسلكي مع حامد العابد وبأخذ منه التعليمات..
- محمد العابد ينزل من السيارة ويحمل سلاح الفرد ويكون على اتصال باللاسلكي مع حامد العابد..
- حامد العابد يجلس في السيارة ويكون على اتصال مع علي العرب ومحمد العابد باللاسلكي..

٣١ كانون الأول-ديسمبر ٢٠١٦

في الساعة ٤:٢٧ تواصل رضا الغسرة مع سيد مرتضى على برنامج التلغرام:

- أهلا سيد، عذراً لضيق الوقت، أبي مكان مؤقت في «د» أو «س» أو «ن» بقعدون فيه شباب مو مطلوبين من الساعة ثمان إلى قبل أذان الفجر بنصف ساعة بيطلعون لأن عندهم أغراض في السيارة وما ابي تطول عليهم المسافة من صوبنه ولا يصلح يفترون بالسيارة في المنطقة ويتعرضون بالغلط لتفتيش أو ما شابه، متورط شوي في هالأمر سيد، أبيه الليلة المكان لأن ما حصلت أحد

رضا يترقب الجواب على أحرّ من الجمر وأخيراً وفي الساعة ٦:٠٢ صباحاً ردّ سيد مرتضى:

- أهلاً، عفواً توي ملتفت للمحادثة، حق الليلة؟

في حدود الساعة السابعة تواصل رضا مع السيد حول مكان مؤقت لإيواء الشباب.. أخبره أن عددهم أربعة:

- سيد، ٤ أشخاص، هم الي بنفذون العملية ومو مطلوبين، بس ما يصلح اخليهم يطلعون من صوبنه لأن المسافة طويلة، ونفس الوقت لو جو من وقت مني ما اقدر اخليهم في الشارع، قدر الإمكان مكان ومنطقة آمنة، ارجح «ن» جداً ممتاز، حتى اسهل الخروج منها

تمكن السيد من إيجاد مأوى لشباب المقاومة ولم ينسَ أن يستفسر من رضا حول مسألة السلاح خاصّة وأن العدد أصبح عشرة شباب.. جاء جواب رضا:

- عندي ١٢٠ طلقة و فرود ثلاثة، واثنين كلاش، هذا الي قدرت احصله، نرتب احتياط حق أي اعتراض

في الساعة ١:٥٥ ظهراً قال رضا:

- المهم سيد الحين لضيق الوقت، الأهم المكان

عقارب الساعة تواصل الدوران والزمن نهر يجري في عمق الوجود.. ما يزال دقات القلب الشجاع ينبض بانتظام رغم توتر الأعصاب.. وقد تلاحقت إرهاصات حادثة سيكون لها دوياً كبيراً!

تواصل رضا مع السيد:

- إن شاء الله تياسير من الله، أنا بعد ساعة برجع لك، حاولوا تعجلون لأن الفجر بإذن الله، خير
- إن شاء الله، بإذن الله، خير بوجهك، يا مسهل الأمور يا رب
- خير كله خير ونصر، شاء القدر تصير في يوم النمر مو اختيارنه اختيار الله، لين طلعنه بنخبرك
- يا الله تكون ضربة ثأر لدمائه الزكية
- للشهداء كلهم بإذن الله، أنا بسوي التفاتة لشباب القطيف والعوامية بالخصوص

في الساعة ٣:١٢ عصراً تواصل رضا مع السيد مرتضى:

- هلا سيد

السيد:

- أهلا وسهلاً، بخصوص الحديد، هم مصدّين شوي بسبب إنهم كانوا مدفونين فترة طويلة، قالوا احتمال يشيرون شوي، إذا تبونهم برتب وياك للاستلام

رضا:

- في واحد ينظفهم عندنه، هم بقعدون كم ساعة في المكان براجعون التعليمات، احنه اهم شيء عندنه المخازن والذخيرة للاحتياط

السيد:

- بالنسبة للمكان الآن صاحبي قاعد يرتب، بس ينتظر الرد، في مكان ممتاز إذا توفقنا إليه، سهل الوصول إليه

رضا:

- انزين سيد عندنا وجهة احنه بس صوبنه، هل في حال الطوارئ نقدر نروح من صوبكم محل آمن وشخص يدارينه؟ حق اقطع الاتصال مباشرة بعد الخروج

السيد:

- في عندنا في «ن» وفي عندنا مكان مؤقت للشباب في «د»

رضا:

- انا ابي قريب هني لو نصبوا نقاط، أنا عندي أماكن صوبنا، «ح»
- «د» ممتاز
- عجل مرة وحدة نرتب حق ما نقطع شوط وتالي نقدر نتحرك على الأوضاع

قام رضا بربط السيد.. مع حسن شكر الذي أسندت إليه قيادة الهجوم على سجن جو من الخارج.. وكانت مهمة حسن شكر التوجه إلى «ن» لاستلام أسلحة كلاشنكوف.. في الساعة السابعة مساءً وفي آخر ليلة من عام ٢٠١٦ توجه حسن شكر إلى «ن».. وكان قبلها قد تواصل مع السيد بخصوص هذه المهمة:

- هلا سيد!
- أهلاً
- كيف الحال؟ اكلمك من طرف أبو حسن
- نعم.. أهلاً وسهلاً ومرحباً
- كيف أحوالكم؟
- الحمـدلله بخيـر حبيبـي.. عندنا شـغلتين الأولى اسـتلام حدايد.. بعطيك واحد تتواصل وياه تستلم منه والثانية ترتيب المكان
- بإذن الله
- الحدايد بعطيك واحد تتواصل وياه وتتفاهم..

السيد يرسل له برنامج التواصل:

- ويش حبيبي ويش صار وياك؟
- هلا الغالي نزل الحين بفتحه
- تمام برتب وياك.. خبرته يتساعد علشان تستلم
- اوك.. وبخصوص المكان؟
- الحيـن قاعد اتابـع بخصوص المكان.. انتظره يـرد.. احتمال كبير يصير في «ن»
- رحـم الله والديـك.. إذا ممكـن تشـوف مـكان حـق رجوعنـا مـع الشـباب فـي حال انخذلنا من الطـرف الآخر.. يكون عندنا مكان

طوارئ.. سامحني إذا ثقلت عليك.. في ميزان حسناتك

- تقدر تروح «ن»؟ متى تبون حق تباتون؟
- بعد شوي بنطلع
- تمام.. في مأتم «ل.ق» مأتم معروف إذا رحت وصلت صوبه كلمني

استمر رضا بالتواصل مع السيد وأكد له ساعة الصفر وبدء عملية «سيوف الثأر».. كانت الساعة تشير إلى ٧:٤٤ مساءً عندما أخبره رضا بالموعد الأكيد لـ«سيوف الثأر»:

- بعد صلاة الفجر مباشرة.. ٥:١٠ بنتحرك بإذن الله

الفصل الرابع عشر

في مساء آخر ليالي عام ٢٠١٦ حسن شكر يتواصل مع السيد.. كانت الساعة تشير إلى ٧:٤٣..

حسن شكر ورفاقه يستعدون لتنفيذ العملية المصيرية.. وفي حسبانهم أنهم سيغادرون هذه الجزيرة الظالم حكمها.. أو سيغادرون هذا العالم! لذلك راحوا يستعدون للرحيل ويوطّنون أنفسهم على ملاقاة الموت.. اغتسلوا غسل الشهادة وكانوا في ذروة التصميم ولا يوجد سوى خيارين إما النصر وإما الشهادة.. حتى الشهادة كان لها طعم الانتصار.. لأن الإنسان عندما يستعد للشهادة بإرادته فهذا يعني أنه انتصر على «الأنا» القابع في الأعماق واندك في «هو».. يقول عارف أنه السفر الرابع عندما يسافر الإنسان إلى «الحق» بـ«الخلق».. لهذا كانوا مصممين على التغيير وتحرير الأرض والإنسان..

تواصل حسن شكر مع السيد.. واستفسر منه حول استلام السلاح.. تساءل السيد:

- ويش حبيبي وين وصلت؟

- أنا الحين وصلت «ن» بس انتظر الي بستلم منه الحديد

استبطأ السيد حسن ورفاقه وساورته مخاوف حول تعرضهم لمكروه.. اتصل على حسـن شـكر وجاء جوابه: سنصل في الساعة ٨:٣٠ أو التاسعة كحد أقصى.. أبلغه السـيد بأن الشـخص الذي سينقلهم إلى مكان المبيت ينتظرهم.. وشدّد عليه بضرورة حضورهم في الموعد المحدد..

مخاوف وآمال

كان القلق يسـاور السـيد.. ربما تراجع الشـباب عن قرارهم المصيري.. عقارب الزمن تدور والسـيد يعاود الاتصال ليطمئن على سـلامة الشـباب وعلى سير العملية..

وصل حسن شكر منطقة «ن» حيث تقرر استلام السلاح فيها..

سأل عن نقطة اللقاء مع الشخص الذي سيقوم بإيواء الشباب، أبطال عمليـة «سـيوف الثـأر».. تواصـل مـع السـيد فأخبـره أن ينطلق إلـى مأتم «ل.ق» في القرية القديمة.. سـأله عن نوع السـيارة التي يسـتقلونها لكي يتعرف عليهم.. أجاب جسن الشكر: «ش.س»..

لـم يعثر حسـن شـكر علـى المأتم بسـهولة إلا أنـه اهتدى إليـه بعد.. تواصل مع السيد وأخبره:

- أنا قبال المأتم!

كان السـيد قد تواصل مع الشـخص الذي اتفق معه على نقل الشباب

وقد أخبره أن المأوى فيه شخص مطلوب.. لذلك اتصل السيد على حسن شكر وأخبره.. ساورت حسن شكر مخاوف من انكشاف العملية وتساءل إذا يوجد مكان بديل..

تواصل السيد مع الشخص واقترح عليه إيجاد مكان بديل لأن الشباب يحملون معهم السلاح والسلاح بحاجة للتنظيف والذخيرة معظمها صدئة أيضاً!

اشترط الشخص عدم اصطحاب الهواتف المحمولة مقابل إخلاء المكان ونقل الشخص المطلوب إلى مكان آخر..

تواصل السيد مع حسن شكر وأخبره بالشرط وأضاف إلى ذلك عدم إخبار صاحب «المكان» بأية معلومات عن الشباب وعن العملية المزمع تنفيذها.. وهكذا سارت الأمور على ما يرام.. ومع ذلك فلم يهدأ للسيد بال إلا بعد أن اقنع الشخص صاحب المأوى بأن أجهزة الهاتف المحمول جديدة لم تستخدم بعد؛ واضطر إلى إخباره بضرورتها لمتابعة سير العملية..

تواصل السيد مع حسن شكر وطلب منه طمأنته عند الوصول إلى المأوى بسلام..

في حدود الساعة العاشرة والنصف وتحديداً في ١٠:٢٨ في آخر ليلة خريفية من عام ٢٠١٦.. تواصل رضا الغسرة قائد عملية «سيوف الثأر» من داخل زنزانته مع السيد وطلب منه أن يصطحب الشباب أسلحتهم إلى داخل المأوى لأنها بحاجة ماسة بتنظيفها من الصدأ فأخبره السيد بأنه استحصل الموافقة من صاحب المأوى على ذلك، حيث سيمضون

ليلتهم هناك..

وصل حسن شكر ومعه مجموعته إلى المكان حيث اتخذوا أماكنهم في زوايا إحدى الغرف ليبدؤوا عملهم في تنظيف السلاح والذخيرة، وانصرف بعضهم إلى إحياء «ليلة القدر» بالصلاة وتلاوة كتاب الله..

عقارب الساعة تواصل الدوران.. الله وحده الذي يراقب الأعماق.. الشبان الذين عقدوا العزم على خوض عمليات المصير.. حسموا أمرهم في خوض معركة التحرير والمواجهة حتى الرمق الأخير.. لم يخلد أي منهم إلى النوم.. الأعصاب مشدودة.. مشاعر من الخوف والأمل تموج في أعماقهم.. صحيح أن تراجع بعض رفاقهم وتراجع إرادتهم أمام مشاعر الخوف والقلق قد أثر في أنفسهم إلا أن توكلهم على الله تعالى جعلهم يشعرون بالطمأنينة والسلام..

كان القلب الشجاع يتابع من داخل زنزانته سير العملية.. آلمه تراجع بعض الشباب إلا أن ذلك لم يفتّ في عضده.. القلب الشجاع مطمئن بذكر الله.. قالها بقوّة:

- لا مجال للتراجع ولا للتردد.. نتوكل على الله ونمضي قدماً والله هو الناصر والمعين..

كان يتواصل مع حسن شكر ومع السيد.. وفي تمام الساعة ١٠:٥٦:

- سيد الشباب قريب يوصلون.. بروح أنام لي ساعة.. نسألكم الدعاء
- وأنتم من أهل الدعاء

فجر التحرير

في تمام الساعة رابعة فجراً انطلقت المجموعة نحو سجن جو المركزي.. وتم ركن السيارة بالقرب من منازل قيد الإنشاء.. وهناك تواصل حسن شكر مع رضا وأخبره بأن مجموعته بالقرب من السجن.. في تلك الليلة قال رضا لرفاق الدرب من شباب المقاومة:

- باجر بنخلي الناس كلها تفرح!

وقبيل الفجر قام رضا بتسجيل بيان العملية:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين محمد وعلى آل بيته الطبين الطاهرين

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم ٤-٦

بإيمان المتوكلين وبصدور مليئة بالثأر مقبلون على عملية سيوف الثأر بنداء الصديقة المظلومة يا فاطمة الزهراء ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى رأسهم شيخ الشهداء المجاهد آيه الله نمر باقر النمر.

نسأل الله التوفيق ونسألكم خالص الدعاء

كان نداء الأذان: الله أكبر هو بدء ساعة الصفر..

نهض شباب المقاومة وكبّر الجميع تكبيرة الشهادة والحرّية..

وبدأت الملحمة.. ملحمة التحرير..

محمد طوق[1]

منذ الأيام الأولى بل منذ الساعة الأولى التي التقى فيها محمد طوق بـ«رضا» شعر بأنه يلتحم معه وينصهر في بودقة إيمانه الراسخ العميق..

كان محمد طوق يترقب اللحظة التي يفاتحه فيها «رضا» حول عملية هروب ما!!

كان رضا الغسرة مدرسة يتعلم فيها الثوار والأحرار دروس التضحية والكفاح من أجل الكرامة والحريّة..

حطم رضا الغسرة مقولة «اليد الواحدة لا تصفق» والزهرة الواحدة لا تصنع الربيع! رضا الغسرة أثبت أن الإرادة إذا وجدت.. وجدت الوسيلة..

بدأ حياته بسيطاً.. يقود الشاحنات إلى أن اكتشف الطريق.. الطريق إلى الحريّة.. إلى الحقيقة.. وسرعان ما أصبح قدرة ورمزاً..

وذات ليلة جاء رضا إلى محمد، قاله له:

- ابيك في موضوع!

يجلسان معاً وجهاً لوجه يتحدثان لكن رضا كان يغيّر أصل الموضوع.. خطرت في بال محمد فكرة الهروب وكان يترقب أن يفاتحه رضا الغسرة

---

١. بطل رواية الخارجون من الماء في طليعة الأسرى المحررين من سجن جو وأفضل من وثّق لعملية «سيوف الثأر» وهذا الفصل منقول حرفياً من الرواية

بـ«الموضوع» ولكن!!

خطرت في باله أن يهرب لوحده أن يفكر بالهروب لوحده!!

ربما رضا لم يعد يفكر بالهروب!

وتمضي الأيام مرّة أخرى.. جاءه رضا وقال:

- محمد! ابغيك في موضوع..

انفردا للحديث بعيداً عن الشباب.. قال له وهو يحاوره:

- أنا بقول ليك عنوان.. ولكن ما بعطيك التفاصيل!

هنالك شعر محمد طوق بالارتياح! أدرك من طريقة كلامه أن الموضوع هي عملية هروب جديدة يخططها رضا الغسرة بصمت..

عملية هروب ليسـت عادية.. عملية سيشـارك فيها العديدون وقد آن لـ«رضا» أن يشرك محمد طوق فيها؛ لذا جاء لمفاتحته!

قال رضا بعد لحظات صمت:

- تفكر تهرب من السجن؟!

أجاب محمد طوق على الفور:

- اكيد! اكيد! افكر اهرب!

- لا تستعجل! فكر إلى بكرة.. ورد عليي

قال ذلك ونهض ليغادر المكان! قال محمد طوق متلهفاً:

- وين تروح؟!! تعال!! فكرت وقررت!!

كان محمد طوق يعي جيداً أنه إذا منح المرء نفسه فرصة للتفكير في هكـذا قضايـا.. فهذا يعنـي التردد وربما التراجع فيما بعـد! لذلك فقد قرر على الفور!

- مـا يحتـاج افكر!! أنا مفكر ومقرر.. خلاص! قررت أنا بهرب وياك رضا!
- مافـي مشـكلة! أنـت الحيـن عطيتنـي موافقـة.. والأيـام الجايـة بتبيّن إن شاء الله!!

قال ذلك وغادر ومضى!

حلّ المساء ونشر الليل ستائره ليحيط الأشياء بالغموض والأسرار!

وعندما تمدد في فراشه لم تغمض عيناه!

كانـت تلـك الليلـة طويلة وأصبـح ذهنه مسـرحاً للأفـكار والهواجس.. تأخـذه الأفكار يميناً وشـمالاً جيئة وذهاباً؛ تـرى كيف يهرب؟ من المؤكد أن رضا قد صمم عملية الهروب وقد استكمل التخطيط لها وبقيت مرحلة التنفيذ!!

وهل بمقدور السجين أن يتمكن من الهرب من هذا السجن الرهيب!! كمـا أن «رضا الغسـرة» لم يكن سـجيناً عادياً منـذ نجاحه في الهروب من سـجن «الحوض الجاف» ثم هروبه المثير من سـجن جو! لا شـك إن إدارة السـجن قد اتبعت تدابير أمنية مشـدّدة للحؤول دون هروب معتقل مثل رضا!!

تأخّر محمد طوق.. طار النوم من عينيه وكان يترقب طلوع الشمس..

وأخيـراً حـطّ طائـر الكـرى ليغمض محمد طـوق عينيه ويسـتغرق في النوم.. ولعله بسـبب اسـتغراقه في التفكير في عملية الهروب قد رأى في عالـم المنـام «حلمـاً» في هروبه من السـجن وتحـرره وانطلاقه في عالم الحرية!!

وربما رأى شرطة النظام تطلق عليه الرصاص وترديه قتيلاً ربما!!

كان محمد طوق متلهفاً للقاء رضا.. في عينيه سـؤال وسـؤال وسـؤال! قال رضا:

- محمـد! خطـة العملية للحين ما بعطيـك أي تفاصيل عنها.. لكن العملية فيها أنا وأنت.. ويانا أشخاص بعدين تتعرف عليهم!

سكت لحظات ليقول مستطرداً:

- أنـا مقسـم العمليـة ومخطط ليها وعندي رسـم للعمليـة.. الحين عليك مهمة تقوم بها!

- شنو؟!

- بحكـم علاقتـك بسـيد مرتضـى.. بجيب ليـك التلفون.. كلم سـيد مرتضى بأن يدعمنا بسلاح!

استغرب محمد طوق وتساءل عن الحاجة إلى السلاح!!

- ليش السلاح؟!

- دعم لينا من الخارج! من خارج السجن!!

كان رضا قد خطط لعملية الهروب وحدد الأشخاص الذين سيشاركون

ووزّع الأدوار.. كان يخطط للعملية من الداخل ومن الخارج أيضاً.. كان محمد طوق يتوق لمعرفة تفاصيل أكثر حول ضرورة أن يكون لديهم سلاح!

قال رضا:

- لو خرجنا يكون عندنا سلاح للحماية الشخصية!

قال محمد حول مفاتحته السيد مرتضى السندي:

- ما في مشكلة!

- تمام.. أنا بشوف الوقت المناسب.. اطلع ليك الجهاز وأنت تكلم السيد مرتضى!

وهكذا تمرّ الأيام وكانت الأوضاع صعبة لا تسمح بإدخال التلفون بسبب حملات التفتيش وتعذّر على رضا إخراج التلفون وكان محمد يترقب.. مرّت أربعة أيام وفي اليوم الخامس قال محمد لرضا مستفسراً:

- ويش صار؟! ما اشوف جبت التلفون حق اكلم السيد؟!

قال رضا:

- الوضع ما كان تمام وأنا كلمت السيد

أردف رضا قائلاً:

- انا حصلت سلاح في السعودية.. واشتريت السلاح!

- عندك أحد يدخله البحرين؟

- اي هذا الموضوع كله أنا مرتبّه.. وأنا بدخله!

تكثفت اللقاءات بينهما والحديث الأساسي كان حول عملية الهروب؛ كان رضا أيضاً يلتقي ببقية المشاركين.. كان يلتقي بـ«صادق تقي» و«عيسى موسى» و«أحمد العرب»؛ بدأ رضا الحديث مع محمد طوق في «التفاصيل».. قال له ذات مرّة:

- أنا راح اخبرك شلون راح تكون العملية ومنهو راح يكون ويانه! والأشخاص الي حددناهم! العملية راح تكون هجوم مسلح من شباب بجون خارج السجن!

- توجد «براحة» خارج السجن والشرطة مال السجن عادة إذا يجون يبركنون سياراتهم في دي «البراحة».. ولين الشباب يجون يوقفون على كيلومتر واحد ويتسللون في داخل البراحة ويوصلون إلى «البكرات» يكون الفارق بين السيارات وبوابة السجن مسافة لا تزيد عن ستة أمتار! فمجرد احنا نوصل للباب.. الشباب في الخارج يقومون بعملهم!!

- شلون؟!!!

- ويانا أشخاص وهم صادق تقي وعيسى موسى وأحمد العرب وعمار السواد وأنت!! وكل شخص منهم عنده مهمة يقوم بها!

- انزين شلون احنا نوصل للبوابة؟!!

- أنا عطيت عيسى موسى وصادق تقي بأنهم يقطعون «البيب» الموجود في غرفتكم غرفة ٦! احنا نطلع من غرفتكم من البيب الي بيقطعونه وبنصير فوق مبنى رقم ١.. وبنزحف إلى زاوية مطلّة على مبنى ٤.. وبنسوي حبال نربطها فوق في المبنى حيث

يكون في نهاية المبنى نفس الشواهد.. فنربطها وننزل بالحبال إلى الأرض وبعدها في زاوية مبنى ٤.. وهو يكون الفاصل بين جدارين الي بننزل منه.. الي هو الجدار الرفيع والجدار الثاني الي عليه الأسلاك الشائكة!!

- وفي زاوية مبنى ٤ يوضع «سكيب الخمام» وراح اختار اثنين منكم يكونون الأسرع والأخف وزناً في «الركيض» بحيث يوصلون للزاوية ويقلبون «السكيب».. واحد منهم يشقح على السكيب وينط الطوف!

تساءل محمد طوق:

- رضا الطوف فيه أسلاك شائكة!! شلون بنشقحه!

- هذي بعد أمور ضبطناها.. بيكون ويانا «برانص» بنحملهم ويانا بحيث الي بروح يشقح على «السكيب» بيفرش البرانص على الأسلاك الشائكة!! بكل هدوء! بحيث ما ينسمع لينه صوت.. ومحد يشوفنا!

سكت لحظات ليقول وهو ينظر في عيني محمد:

- هدفي أن نوصل إلى البوابة وهم ما يدرون عن أي تحرك.. أو عن أي هروب صاير! وبمجرد أن نوصل للبوابة بكون في خيارين.. إذا كانت عندنا فرصة نطلع من البوابة ركيض من غير أي رمي رصاص.. بنطلع.. ولكن إذا اضطرينا أن الهجوم يتنفذ من برّه فبنفذ الهجوم.. طبعاً إذا العملية مشت مثل ما مخطط ليها وما انصدنا من البداية!!

- انزين وإذا صار خطأ؟!

- أي شخص بفكر أن يتراجع عن العملية يتراجع.. واحنا على الأرض.. واحنا داخل السجن يعني في النقطة «ألف»! وبمجرد أن نوصل للنقطة «ب» وهي بمجرد أن نمسك الحديد حق بنطلع.. ولو انرصد منه أول شخص واحنا للحين كنا داخل السحن.. ما بنتراجع وبنفذ العملية.. وراح يكون هجوم مسلح!!!

واستطرد في الحديث قائلاً:

- عندي فكرة! إن أنا آخذ طائرة مسيّرة!

وراح يشرح لهذا الموضوع:

- الطائرة هذي تكون دقيقة وتنزل في نفس الإحداثية الي بيعطونها!

- انزين ويش فكرتك؟!

- الطائرة الي بناخذها تتحمل أن تحمل ٢ من سلاح «فرد».. راح تنزّل السلاح على سطح غرفة ٦!! وبمجرد خروجنا نكون احنا مسلحين من الداخل.. ومن الخارج بعد مسلحين!! من نكون احنا من الداخل مسلحين وعندنا بالخارج دعم لوجستي مسلح.. فبكون مستحيل أحد يقدر يصطد إلينا وبكون نجاح العملية مئة بالمئة..

كان محمد يواصل إثارة الاسئلة والبحث عن ثغرات في العملية:

- رضا! هذي أولاً إن السجن محاط بالأبراج بشكل كامل وكاميرات المراقبة! شلون بتجيب طائرة وبتنزلها على السجن؟! على طول راح تنكشف!
- أنا نزلت عندي برنامج متابعة الأرصاد الجوية واعرف الوقت المناسب لهذا الأمر وهو في الضباب.. رؤية العين والكاميرا في الضباب دارسينها.. ومسافة الغرفة إلى البرج هل يمكن من خلالها الرؤية أو لا؟ كل هذي الأمور دارسينها.. العملية بتكون في يوم فيه ضباب بحيث تتعذر الرؤية..

قال محمد طوق.. يُشكل مرة أخرى:

- رضا! في إشكال في الضباب نفسه.. بعيداً عن الطائرة.. الطائرة فيها ليتات وهي باللون البرتقالي! واللون البرتقالي في الضباب يعطي رؤية للظل! حتى لو ما شفنا.. بشوف الظل وبيعرف أن في أشخاص يتمشون..

هزّ رضا رأسه مؤيداً:

- صح كلامك؛ ولذلك حدّدت لون البدلة الي راح نلبسها.. أنت تدري أن لون الطوف يميل إلى الرصاصي.. لا بد ان احنا نشتري بدلات بكون لونها رصاصي فبكون لونه موحّد ويه لون الطوف! بحيث إن ظلنا كلنا يضرب مع الطوف وخلاص ما يبيّن أي ظل لأي أحد منا!!

وبدا واضحاً جداً أن «رضا الغسرة» كان قد خطط لكل التفاصيل في عملية الهروب المثيرة.. التي ستبقي في جميع الأحوال مغامرة خطيرة!

قبل أن يفترقا قال رضا:

- راح اخبرك بالتطورات وإن شاء الله كل شيء أخبرك عنه تنفذه؟

أجاب محمد بلهجة الجندي الذي يثق بقائده:

- انا تحت ايدك من هذي لهذي وروحي اسلمها بايدك!

- مافي مشكلة! راح أخبرك بالتفاصيل وأي شيء حق تنفذه!

كلّف رضا كلاً من صادق تقي وعيسى موسى بمهمة قطع «البيب».. كان قطره في حدود ٣ سم والمشكلة هي أن المنشار الذي بحوزتهما طوله ٤ سم فقط!

وكان عليهم العمل في كل ليلة خمسة دقائق فقط وقد اختارا وقتاً مناسباً لهذا العمل الحساس والدقيق!

كانا ينتظران نوم الشباب في المبنى وقد اختارا وقتاً بين الساعة الحادية والثانية والنصف بعد منتصف الليل! حيث يكون الوضع مثالياً من الناحية الأمنية..

في بعض الليالي كانا يوقفان العمل لأن الشفت المسؤول يقوم بأعمال الدورية في كل نصف ساعة! فوق المبنى!

كان العمل مضنياً وعلى مدى ثلاثة أشهر.. أي تسعين ليلة لم يشعر بهما أحد من الشباب في المبنى.. حتى محمد طوق لم يكن يدري متى يبدآن عملهما الليلي!!

كانا يسبقان الجميع في التمدد على السرير ويتظاهران بالنوم ويوهمان من معهما أنهما نائمين! وعندما يحين الوقت ينسلان من الفراش بكل

هدوء ويذهبان للعمل!

في «الفنس» توجد «شمسية» على الجدار مغطاة بـ«قفص حديدي».. فكان أحدهما ينبطح ويقوم بنشر البيب بمنشاره ويضع الآخر أذنيه على الباب يرهف السمع فيما إذا نهض أحد الشباب! كانا يتناوبان هذا العمل الشاق بهذا المنشار القصير جداً الذي يصعب الإمساك به وتحريكه لمسافة سنتيمتر واحد أو أقل!!

ومع تقدم العمل برزت مشكلة وهي أن البيب ظهر فيه أثر القطع!! وطرحت المشكلة على رضا الغسرة وكعادته استغرق في تفكير عميق!

وسرعان ما وجد هذا الذهن المتوقد ذكاءً حلاً للمشكلة!

- عرفت الحل! خلنا نسوي تجربة

طلب رماد السجائر ومعجون الأسنان وقام بمزج الخليط فأصبح عجيناً رمادي اللون! أي بنفس لون «البيب»!

تم إنتاج «المعجون» الجديد بحيث يقوم صادق وبعد الانتهاء من العمل بالمسح على البيب وملء الشق فيبدو البيب سليماً!!

كان رضا الغسرة يقود العملية ويخطط لها ويقوم بحساب الاحتمالات! كان يعطي التفاصيل لكل شخص على قدر حاجته؛ لذلك كان محمد طوق لا يعرف كل شيء عن أبعاد وتفاصيل العملية.. لديه بعض المهام والواجبات المحددة التي يقوم أو سيقوم بها!

كان رضا يتابع مع الجميع ويوصل آخر التطورات في العمل لـ«محمد طوق».. ولم تكن اللقاءات مع رضا تجري بسهولة.. كان رضا حذراً جداً

وفي الأيام الأخيرة كان رضا يجتمع مع محمد طوق وصادق تقي وأحمد العرب وعيسى موسى؛ للتداول في عملية الهروب وكان الشرط أن لا يراهم أحد من الشباب! كان يقول لهم:

- لازم نختار الوقت المناسب وما يكون أحد يشوفنا واحنه قاعدين على جنب نتكلم!

سأله محمد طوق:

- ليش يعني إلى هذه الدرجة!! وبهذي الدقة لازم نحاسب؟!! خلنا مثلاً إذا الشباب في الغرفة.. نطلع نتكلم في «الفنس»!

- لا! محمد! يعني بالعقل أنت بس.. خذها بالعقل.. هل «التحقيقات» أو «أمن الدولة» يجمعونا كامل ويه بعض واحنا الي ما نعرف بعض.. لا أنت تعرفني قبل ولا أحمد العرب.. ولا أنا اعرف صادق أو عيسى!! وهم الي يعتبرونا أكبر إرهابيين في البحرين! هل من العقل يجيبونه ويجمعونه ويه بعض ونكوّن علاقات ويه بعض من غير محد موجود من مخبرين يوصّل تقارير إليهم؟!

- اكيد أن هي موجود أصلاً.. أن فلان يقعد ويه فلان!!! مو بالعقل يجيبونه وناخذ كيفنا ونتعرف على بعض أصلاً! وهم يعتقدون ان احنا أكبر إرهابيين! هذا الشيء لازم تحطه في بالك! ولازم ناخذ حذرنا! من كل واحد! حتى لو كنا نعتبره ثقة!

- !!!!؟؟؟

- هذا سر! والسر على قدر الحاجة لا على قدر الثقة!

كان محمد طوق يصغي إلى قائده كما يصغي التلميذ إلى أستاذه:

- هذه قاعدة.. أنا امشي عليها! وأنت مش عليها!

لهذا كانت الاجتماعات تُعقد بينهم عندما ينشغل الشباب لمشاهدة مباراة.. كل الشباب يغادرون إلى اللنقر لمشاهدة التلفزيون..

كان بعض الشباب يدخل عليهم الغرفة.. فما كانت تساورهم مخاوف منهم لأنهم يثقون بهم..

أحياناً يتبادلون الأحاديث أثناء ممارسة الرياضة.. كانوا يتمشون أو يقومون بالجري!!

أحياناً يحضر ورقة يسلمها لـ«محمد وصادق وأحمد».. ويقول لهم تناقشوا في هذه الورقة! أحياناً تتضمن أمور سجّلها أو مخطط أو رسوم:

- خلوها وياكم تناقشوا لباجر وعدلوا عليها.. وجيبوها ليي!

وربما قال له محمد طوق:

- احنا ما نشوف فيها أي شيء!

- لا! اخذوها! عدلوا عليها! شوفوا وين الثغرات ورجعوها ليي!

ظل رضا يتابع التخطيط للعملية في داخل السجن وفي خارج السجن؛ فهناك تفاصيل كثيرة ومثيرة حول موضوع الطائرة المسيّرة وشراء السلاح ونقله إلى البحرين و...

يوم نجح في إدخال السلاح والطائرة المسيّرة جاء يبشّر الشباب

وينقـل لهـم الخبـر السـار وقـد ضاعفت البشـرى حماسـهم وأشـرقت في نفوسهم شمس الأمل بالخلاص من الأسر!

قرر رضا أن يصنع نسخة من المفتاح الخاص بباب مبنى العزل:

- أنـا بسـوي مفتـاح إلـى بـاب العـزل.. بحيث يـوم تنفيـذ العملية تجون تفتحون الباب واطلع!

لأن كسـر القفـل يصـدر صوتاً قد يؤدي إلى انكشـاف العملية وذهاب كل هذه الجهود سدىً!

وهنـا جـاء دور عمار السـواد وكان أحد الأشـخاص المكلفين بتنظيف المبنى، قال له رضا:

- سـو إليـك أي صرفـة.. بحيـث تاخـذ المفتـاح مال المخـزن! أنت عليـك تاخـذ المفتاح وتجيبه لي حق ارسـمه.. احتاج بس رسـمة المفتاح

هناك مفتاح واحد لدى شـرطي الشـفت.. يفتح كل الأقفال في جميع أبواب السجن!!

اختار عمار «الشـفت» المناسـب فهناك من الشـرطة كلمـا ذهبت إليه وطلب منه فتح الباب فإنه يأتي بنفسـه لفتح الباب وإقفاله.. اختار عمار «شفت» الشرطي المناسب وذهب إليه:

- امبي مفتاح مال المخزن عشان اطلع أدوات النظافة وانظف!

سـلّم الشـرطي المفتـاح؛ أسـرع عمار إلى بـاب العزل و«ضـرب الباب» وسلّم المفتاح لـ«رضا».. بادر رضا فرسم شكل المفتاح على ورقة و«رمى»

المفتاح من تحت الباب لـ«عمار» الذي ذهب إلى المخزن لاداء مهمته في النظافة!!

أخذ رضا «كليب» من الذي يضعونه فوق «البيبات» فوق الجدار.. بعد أيام اكتشف «أحمد العرب» أن لدى الأشخاص في المبنى «مبرد» صغير بطول ٦ سم فأخبر رضا بذلك.. قال رضا مستبشراً:

- هذا يسهل علينا العمل واجد! حق انحت المفتاح واسوي الكسرات فيه..

وطلب من أحمد أن يأخذ المبرد من دون أن يخبره:

- اخذه منه! بس لا يعرف ليش!

أحمد فاتح الشخص حول المبرد بحجة أنه يريد صناعة ملقط! وهكذا حصل رضا على المبرد الذي سهل عليه صناعة المفتاح كثيراً.. وعندما أصبح المفتاح جاهزاً واجهت رضا مشكلة أخرى!

المفتاح يدخل في القفل لكنه لا يدور؛ كما أن الضغط عليه سوف يؤدي إلى انكسار المفتاح داخل القفل وإذا انكسر المفتاح سوف يكشف الشرطة محاولة الهروب وسوف تتجه أصابع الاتهام كلها إلى «رضا الغسرة»! وحسين البناء!

عندما يلتقي محمد طوق رضا يسأله عن قضية المفتاح:

- ويش صار وياك؟ فتح لو للحين؟!

وكان الجواب في كل مرّة:

- للحين! للحين!

وصلت ذكرى ميلاد الرسول الأعظم ﷺ وكالمعتاد يسمحون لسجناء مبنى العزل بإحياء المناسبة مع سجناء العنبر وفي الطريق إلى «اللنقر» سأل محمد طوق رضا:

- رضا! ما بطّل المفتاح؟! للحين المشكلة؟!
- اي للحين المشكلة!
- انزين شنو الحل؟

قال واثقاً:

- اليوم! اليوم يكون الحل!
- شلون؟!
- الحل عند النبي محمد ﷺ! المفتاح في جيبي! وأنا مسلم الأمر إلى النبي ﷺ

كان رضا يتحدث بكل ثقة.. لذلك اكتفى محمد طوق بأن هزّ رأسه قائلاً:

- إن شاء الله! إن شاء الله خير

وفي أعماقه أمل ضئيل في انفتاح الباب؛ في حين كانت لهجة رضا تعكس إيماناً عميقاً بحصول المعجزة عندما يتوسل بأهل البيت فهم الوسيلة إلى الله سبحانه..

انتهت مراسم المولد بهذه المناسبة ومن المؤكد أن رضا كان قد توجّه من كل قلبه ومن كل إيمانه العميق وتوسل إلى الله بالنبي الأكرم أن يحل

هذه المشكلة وينفتح الباب!!

فـي طريـق العودة كل إلـى زنزانته اقترب رضا مـن محمد طوق وقال له:

- بروح ابطّل الباب وبجي!

لـم يقـل رضـا أنه سـيذهب ليجرّب فتـح الباب! بل قـال اذهب لافتح الباب!!!

لقد كان على يقين أن الباب سيُفتح هذه المرّة!!

قال محمد طوق:

- إن شاء الله.. نتمنى!

دخـل محمـد طـوق الزنزانـة فـي حيـن مضى رضا فـي طريقـه وانتظر انصراف الجميع وعندها ادخل المفتاح..

عاد رضا وارتسمت في وجهه ابتسامة اضاءت عينيه بألق البشرى!

أدرك محمد طوق أن المعجزة قد حصلت:

- شنو صار؟!

- تسألني شنو صار؟! قايل ليك أن الحل عند النبي!

وتجلّـى لـ«محمـد طـوق» مجـد أهـل البيـت وكرامتهـم كمـا تجلّى له إخـلاص «رضـا الغسـرة» وعميق إيمانـه بالله ﷻ وبأهل البيـت الذين هم الوسيلة إليه وغفلة الكثيرين عن قوله تعالى:

﴿يـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِـيلَةَ وَجاهِـدُوا فِي سَـبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾[1]

ولقد أفلح «رضا الغسرة»..

قال محمد طوق بارتياح بالغ:

- الحمدلله هذا الموضوع انحل!!

كانت الأمور تسير على ما يرام وفق ما خطط له رضا.. وظهرت مشكلة أخرى! ولعلّها الأخيرة!!

كان رضا يتابع رصده إلى خارطة السجن على GPS وكان المسار واضحاً تماماً باستثناء زاوية واحدة توصل إلى الباب الرئيسية.. كانت الزاوية تبدو مغلقة.. قال رضا لـ«محمد طوق»:

- عندك مهمتين! الحين جه دورك!

- شنو المهمتين؟!

كان رضا يوكل إنجاز المهام حسب طاقة الأشخاص وقابلياتهم! وقد رأى أن يكلف محمد طوق بهاتين المهمتين!

لهذا قال رضا:

- محمد! أنت واجد يطلعونك محاكم.. في كل أسبوع مرتين أو ثلاث تطلع للمحكمة.. فعليك أن تشوف هذي الزاوية مفتوحة أو مغلقة! والمهمة الثانية تشوف الواقفين على الباب الرئيسي تحصي عددهم وسلاحهم ونوعية السلاح الي عندهم.. ولين

---

١. المائدة: ٣٥

تقدر تعرف من أي جنسية هم بعد!

- إن شاء الله!

إذن جاء دور محمد طوق لتنفيذ هذه المهام.. لكن عندما كانوا يخرجون محمد فإنهم يركبونه «الباص» وهو مغلق من الداخل ولا يمكن رؤية الخارج لوجود قطع «منشيت المنيوم» لذلك عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة!

تمكن محمد من احصاء عدد رجال الشرطة الموجودين فقط وأسلحتهم وحتى نوعية السلاح.. لكن الزاوية ظلت مجهولة لأنه لا يتمكن من رؤيتها..

اكتمل صعود المعتقلين لنقلهم إلى المحكمة واستقروا داخل الباص وكان عليها أن تنتظر مدّة عشر دقائق خارج السجن لوصول «الدعم» وهو عبارة عن سيارات نوع جيب تحمل قوات من المرتزقة تابعة لـ«التحركات»..

ما إن غادرت سيارة الباص إلى الخارج حتى انقلبت صحة «محمد طوق» فجأة! محمد أصيب بحالة شديدة من الدوار!

رفع يده ليقول للشرطي «صلاح»:

- أنا مريض تعبان مو قادر! ودوني العيادة امبه ارجع!!

فوجئ الشرطي:

- شفيك؟! من شوي ما فيك شيء!

تظاهر محمد طوق بالغثيان! وانهار على أرضية الباص! هرع الشرطي

لمساعدته:

- شفيك؟! شفيك؟!

فقال محمد بوهن:

- مو قادر!! راسي يدور! احس روحي برجّع.. تعبان!!

ترجل الشرطي وأسرع إلى مسؤول التحركات وكان اسمه «سائر» يمني الجنسية!!

جاء المسؤول:

- شفيك؟!

تظاهر محمد طوق أنه لا يستطيع الكلام ثم قال بضعف شديد:

- احس جسمي بردان

التفت «سائر» إلى الشرطي صلاح:

- نزلوه ودوه العيادة!

قال محمد طوق في نفسه: الحمدلله! نجحت الخطة!

انزلوه وراح محمد يتمشى على مهل وكان يحصي عدد الشرطة الموجودين عند البوابة! ونوعية السلاح الذي يحملونه! وعدد سيارات الجيب!

كان العدد ستة رجال من الشرطة ثلاثة يحملون سلاح فرد وثلاثة يحملون سلاح «شوزن» أما عدد سيارات الجيب فكانت ثلاثة.. عندما دخل البوابة كان همّه اكتشاف الزاوية هل هي مفتوحة أم مغلقة..

الزاويـة المقصـودة كانت على جهة اليمين للداخل.. كانت مفتوحة.. قال في نفسه: الحمدلله رب العالمين!

استدار الشرطي صلاح إلى محمد طوق وقال وهو يبتسم:

- ويش هالمرض الي نزل عليك مرّة وحدة؟!

- هي من الله جدي!

قال:

- انزين! اسألك تبي تروح العيادة! لو المبنى؟

- بروح المبنى برتاح وببدل.. بعدين بروح العيادة!

قال الشرطي صلاح متخابثاً:

- أنت عيار! ما تبي تروح المحكمة وسويت هالمسرحية كلها!!

- أنا مريض! مافي مسرحية ولا شيء!

قابل محمد طوق رضا وأخبره بأن تلك الزاوية مفتوحة!

قال رضا متفائلاً:

- الحين عمليتنا وخطتنا كلها سليمة!

كان رضـا يسـتخير الله فـي كل خطوة يخطوها! عندمـا فكّر في عملية للهـروب مـن السـجن.. فتـح المصحـف فظهـرت آيـة تبشـره بالموفقيـة والنجـاح! وإلـى جانـب ذلـك كان يتصـل بأحـد أصدقائـه فـي مدينة قم ليستخير له عند السيد الأصفهاني وله شهرة واسعة في ذلك!

بقي تحديد ساعة الصفر وهذا الموضوع مرتبط بالحالة الجوية.. كان رضا قد قرر أن يكون يوم الهروب ووقت الهروب في وقت يتكاثف فيه الضباب.. لذلك كان رضا يتابع الأرصاد الجوية باهتمام.. كما كان يتابع تقدم العمل في قطع «البيب»!

قال رضا بعد أن أخبره محمد طوق بعدد رجال الشرطة ونوع السلاح:

- يجب أن يكون عددنا عشرة! لأن عددهم ستة وإذا كان عددهم عشرة لازم يكون عددنا ١٥!

- ليش؟!

- احتمال أن يصير اشتباك بالأيدي! ولين عددهم أكبر في احتمال أن هم يتغلبون علينه وعلى هالاحتمال لازم يكون عددنا أكثر وأقوى!

اجتمع الشباب في أول فرصة لوضع اللمسات الأخيرة.. خاصّة في انتخاب أشخاص آخرين ليكتمل العدد ويصبح «عصبة»!!

قال رضا:

- شباب! هني في قاعدة في هالعمل وفي كل عمل نقوم به وهي أنه لا يوجد تفكير بالقلب ولا بالعاطفة.. في العمليات يوجد عقل.. أنتون عندكم حرية في اختيار الأشخاص!

تداول الشباب مسألة اختيار أشخاص آخرين يشاركون في العملية في ضوء معايير مهنية بحتة!

اختار أحمد العرب حسين عطية «أبو حيدر» لأنه يستطيع أن يصنّع

داخل السجن أسلحة باردة للدفاع عن النفس وكذلك يستطيع أن يصنع الحبال لاستخدامها في النزول من المبنى! إضافة إلى شجاعته وبسالته!

واختار محمد طوق جعفر عبدالحسين بسبب لياقته البدنية العالية وسرعته في الجري.. وعندما فاتحه بقضية الهروب كان يكثر من الاسئلة إلّا أن محمد طوق حسم المسألة تماماً لدى إخباره بأن قائد العملية هو رضا الغسرة!

واختار رضا «حسن السواد»..

وهكذا أصبح العدد «عصبة» كاملة؛ وبقي اختيار وتحديد «ساعة الصفر»! وهذه ترتبط بالأجواء حيث تم التوافق على تكاثف الضباب على نحو يحجب الرؤية!

طلب رضا من الجميع مراجعة مخطط العملية والبحث عن ثغرات فيها!

وهنا اقترح جعفر عبدالحسين أن تكون ساعة الصفر في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل! بدل وقت الفجر بعد ارتفاع الأذان! قال جعفر:

- بعد صلاة الفجر يكون وقت تبديل الشفت! فيكون وقت الهروب بتواجد شفت كامل.. فيكون عددهم أكبر! فليش ما تسوونه الساعة ٢ ونص بكون شفت واحد والوضع آمن وهادئ

نقل محمد طوق الاقتراح إلى رضا الذي قال على الفور:

- أنا اشوف بعد صلاة الفجر يكون أنسب وقت لأن بعد صلاة

الفجر يكون في تسيّب من الشـرطة الموجودين.. حط احتمال ان الي في البرج ينزل عشان يتوضأ للصلاة! والي على الكاميرات نفـس الشـيء يقوم يصلي! فهذي فرصتنـا أن نعبر في وقت هم يكونون مشغولين فيه!

ومع ذلك قال رضا:

- بعد بنسوي خيرة على الوقت الي اقترحه جعفر!

تواصـل رضـا مـع أحـد اصدقائه فـي مدينة قـم للاسـتخارة على الذي اقترحه جعفر!

وجاء الجواب:

- كلش مو زينة.. ما بتسيطرون! وجهودكم كلها بتروح هباءً منثوراً..

وهكذا اتفق الجميع على الوقت السابق وهو بعد صلاة الفجر مباشرة!

بقي تحديد تاريخ العملية وهو مرتبط بتكاثف الضباب!!

كان رضا الغسرة يتمنى أن يكون تاريخ العملية في ذكرى مقتل الشهيد النمر على أيدي طغاة آل سعود المجرمين!

قال رضا:

- هذي العملية راح تكون ثأر لشيخ الشهداء الشهيد النمر!

وتحقـق مـا كان يتطلع إليه رضا الغسـرة! سـيكون التنفيـذ في ١ كانون الثاني-يناير.. في أول يوم من العام الميلادي الجديد!

قبـل تنفيـذ العملية بثلاثة أيام وفي يوم الخميس فوجئ محمد طوق

بالشـرطة يدخلـون المبنى ومعهم عاملون من شـركة لنصـب الكاميرات.. اتجهـوا مباشـرة إلـى الزنزانـة رقـم ٦ ودخلـوا الفنـس حيث قامـوا بنصب كاميـرا بيضاويـة تدور فـي ٣٦٠ درجة.. نصبوا الكاميرا وفـي زاوية الزنزانة الأولى نصبوا كاميرا ثانية! وراحوا يختبرون عمل الكاميرا!!

شـعر الشـباب بحالـة مـن الإحبـاط.. وكان العمـل علـى قطـع البيب يوشك على النهاية إلا أنه ما يزال غير مقطوع!

وفقـاً للمخطـط يكـون خـروج الشـباب من الغرفـة أو الزنزانـة رقم ٦ وهي زنزانة محمد طوق!

عندمـا رأى محمـد طـوق العاملين الهنـود يقومون بنصـب الكاميرات أسرع إلى مبنى العزل ليخبر رضا بما يجري!

- رضا! رضا!

جاء رضا:

- هلا!

- في مشكلة!!

- ويش صاير؟!

- ركبوا كاميرا على غرفتنا!!

استاء رضا من هذا الخبر المقلق!

- روح شوف بعد وين يركبون!

عـاد محمـد طـوق وكان يتصرف بطريقـة عادية.. اتجه إلـى العاملين

الهنود وسأل أحدهم:

- وين بعد تركبون كاميرا؟

- بنركب هني وبعد داخل المبنى في الممر وفي مبنى العزل!!

انهارت جميع الآمال! وذهبت كل الجهود أدراج الرياح!! وابتسم الحظ وأشرقت شمس الأمل لتضيء المشهد الحالك الظلام.. فاليوم كان يوم الخميس ويوم الجمعة عطلة!!

قال العامل الهندي إنّه لم يبق وقت لنصب بقية الكاميرات وسيعودون فيما بعد!

قال رضا:

- الله يفتح على عباده أبواب الرحمة من حيث لا يحتسبون!

إذن لم يبق من الوقت سوى ثلاثة أيام.. بدءً من يوم الجمعة والسبت عطلة رسمية.. يوم الأحد سيصادف رأس السنة الجديدة وهو يوم عطلة رسمية أيضاً.. هذه آخر فرصة لتنفيذ عملية الهروب!

قال رضا:

- الليلة بنسوي خيرة إن عمليتنا تكون بتاريخ واحد واحد رأس السنة!

قال محمد طوق:

- شلون؟! والجو؟!

- لا! الليلة بسوي خيرة على تاريخ واحد واحد ونمشي على

الخطة من غير الجو!

كانـت أمنيـة رضـا أن يكون هـذا التاريخ لأنه يصادف ذكرى استشـهاد الشيخ النمر!

ومن المؤكد أن رضا كان يدعو أن تكون العملية في هذا اليوم!

وافتـرق الشـباب.. عـاد محمـد طـوق إلـى زنزانتـه.. بعد صـلاة الفجر تمـدد محمـد في فراشـه وكان يدعو الله أن تكون الخيرة «زينة».. سـاوره القلـق لأن رضـا لم يرسـل إليه أحـد يخبره حول نتيجة الاسـتخارة! ربما لا يريد أن يصدم الشباب!

وفي الأثناء انفتح باب الغرفة وسمع صوت أحمد العرب يوقظه:

- أبو طوق!

قفز من سريره فقال أحمد:

- ويش فيك؟!!

قال محمد مرتبكاً:

- اطلع! اطلع!

وخارج الغرفة قال محمد:

- طمني! ويش صار؟!

- الخيرة ممتازة!! الخيرة زينة.. بتسيطرون وبكون ليكم توفيق من الله

شـعر محمد طوق بارتياح بالغ.. كان قد بقي ليلتان على موعد تنفيذ

العملية!

قال أحمد العرب أن رضا يقول: خبرو الشباب الي صوبكم بموعد العملية.. حق يجهزون روحهم!

كانت الكاميرات تنقل الصور إلى غرفة المراقبة ومن المفترض وجود عسكري أو اثنين وربما ثلاثة يراقبون ويتابعون أي تحرك غريب!

قام عيسى موسى وصادق تقي برش بطانية بالماء وقاما بتعليقها في البيبات الموجودة فوق في الفنس لملاحظة ردود الفعل من غرفة المراقبة!

بقي ينتظران لمدة عشر دقائق فاكتشفا وجود حالة تسيّب في المراقبة! فباشرا بعمل القطع وعندما فرغا من العمل ملئ الشق بالمعجون ليبدو البيب عادياً! ورفعا البطانية (البرنص)..

وهكذا فعلا في الليلة التالية وقبل موعد العملية بليلة واحدة فقط تم العمل في قطع البيب!

أحيط جميع الشباب بموعد العملية واستعد الجميع وقد بلغ التوتر أقصاه في أعماق محمد طوق.. حتى بات واضحاً على تصرفه.. كان متوتراً مشغول البال؛ حاول أن يجمع شتات نفسه لكنه أخفق.. سأله أحدهم:

- فيك شيء؟!

سرح به الفكر إلى تنفيذ العملية وراح يتصور عملية الهروب والاشتباك مع رجال الشرطة ومرتزقة النظام وأزيز الرصاص وقد يُصاب ويُعتقل!!

وإذا ما أصيب أحد رفاقه كيف يمكن اخلاءه ونقله وإنقاذه؟! جسده فقط كان داخل الزنزانة أما عقلة وخياله وفكره فقد كان في مكان آخر..

يتظاهر بأنه موجود ويبتسم للشباب في الزنزانة.. يحاول تبديد هواجسهم:

- لا! لا! مافي شيء!

لم يتحمل الضغط النفسي في أعماقه.. وقرر أن يلتقي رضا.. ففي داخله سؤال كبير!

قال له:

- بسألك سؤال!
- شنو! اسأل!
- من البداية.. أنت يوم قلت لي بتهرب؟ قلت ليك إن روحي اسلمها بين ايديك ورقبتي تحت أمرك! لكن بسألك سؤال محيرني! ما اقدر اصبر عليه!!
- اسأل! قول!
- أنت قلت بصير هجوم مسلح وبكون شباب موجودين بره! فاسمح لي على السؤال! هل الشباب بجون؟!!
- شلون يعني؟
- ما اتوقع أن أحد بهذي الجرأة بجي لباب السجن وبسلاح!!!
- لا في.. الشباب الي بتشوفهم بره هذلين بهالجرأة الي تتكلم

عنها وبهذي البطولة والثقة.. والأمانة لي يمسكوها بأدونها

قال محمد متسائلاً:

- متأكد بجون؟

- متأكـد بجـون.. ومثـل مـا أنا اشـوفك الحين اشـوفهم عنـد بوابة السجن وهم قابضين على الزناد!!

طلب محمد منه بعض التفاصيل عنهم ولكن رضا رفض بشدة:

- هـذي مهمتـي.. أنا ما اسـمح لأي أحد يسـألني عن الـي بره وكم شخص وشلون و...

- ليش؟!

- لـو لا سـمح الله انكشـفنا واحنـا داخـل! مـا دام الـكل يعرفهـم بتجيبون أساميهم.. يمكن واحد منكم ما يقدر يتحمل التعذيب

هزّ محمد طوق رأسه مؤيداً واستطرد رضا يقول:

- محمـد! احنـا عندنـا سـلاح! ولكن نحتاج إلى سـلاح زيـادة حق يكون دعم لينا!

- شنو الحل؟

بكلم السيد مرتضى وما اعتقد أن السيد يردنا

- اي ما اعتقد أن السيد يردنا.. كلمه!

تواصل رضا مع السيد في نفس اليوم:

- سيد أنا محتاج إلى سلاح ورصاص

وجاء الجواب على الفور ومن دون أية اسئلة واستيضاحات!

- متى؟

- اليوم المغرب

- تمام! الليلة تستلمهم من منطقة «س»

- بعد احتاج شغلة ثانية!

- تفضل؟

- احتاج سكن لليلة وحدة! في منطقة قريبة من دوار «ألبا»

- تمام

تم الحصول على المكان المطلوب وقد أيقن السيد مرتضى بأن الشباب عازمين على تنفيذ العملية في الساعات القليلة القادمة!

بدأ العد العكسي على بدء عملية «سيوف الثأر».. وبدت الساعات لدى محمد طوق تمرّ ببطء قاتل!!

كان يتصفح وجوه الشباب.. يحاول أن يملأ ناظريه بهذه الوجوه الطيبة.. ربما سيراها للمرّة الأخيرة!

تساءل في داخله.. ترى من الذي سيستشهد أولاً؟

تحوّلت بوابة السجن في خيالاته إلى بوابة للموت.. من يعبرها يعني أنه انتصر على الموت!

ترى من سيفوز بالشهادة أولاً؟

تصوّر نفسه شهيداً وراودته أفكار شتى..

من الذي سيخلي جثمانه؟! وأين سيدفن!

قبل أن تغيب الشمس فكر محمد طوق في أن يحلق ذقنه وإصلاح لحيته وفيما مشغول بالحلاقة جاءه أحمد العرب:

- محمد!
- نعم!
- احلقني!
- ليش؟
- أريد أن أقابل الله بوجه حسن!

هنا أدرك أن هواجسه قد سرت إلى الجميع! جميع الشباب كانوا يفكرون بنفس الطريقة!!

كانت النسبة في خروجهم سالمين تتضاءل باستمرار!

وكان محمد يقول في نفسه: إن هذه العملية هي عملية استشهادية..

لأن المعركة سوف تجري بين طرفين غير متكافئين.. شباب عزّل معتقلون وراء القضبان والأسلاك الشائكة وليس لديهم سلاح سوى الإيمان والإرادة في مواجهة نظام مدجج بالسلاح والإمكانات!!

كان محمد طوق وأحمد العرب يبددان هواجسهما بالمزاح، قال أحمد:

- ليش حلقت روحك اليوم؟

- صراحة أنا بعد نفس فكرتك.. حاط في بالي أن أحسّن نفسي للشهادة.. أن أقابل الله بوجه حسن!

أما موقف رضا فكان مختلفاً تماماً.. كان قد أعدّ نفسه للشهادة مئة بالمئة وكان جاداً في هذا الموضوع..

قبيل غروب الشمس.. خرج رضا وكانت البسمة تشرق على محياه.. لم تكن مشاعر للقلق تبدو على وجهه.. جاء إلى محمد وقال له:

- محمد! احلقني

وقام محمد بواجبه إزاء من يعتبره القائد والقدوة والبطل والرمز وحتى الأمل!

بعد ذلك ارتفع أذان المغرب فذهب الشباب للصلاة.. بعدها قال رضا:

- أنا بدش الحين العزل!

كان قبلها قد وزع على الشباب المهام؛ قال لصادق تقي وعمار السواد:

- بمجرد أن يرتفع أذان الفجر قائلاً: الله أكبر والشباب يدشون اللنقر للصلاة انتون تجون وتفتحون باب العزل حق اطلع واجي الغرفة!

كانت ملابس الجميع موحدة.. فقد اشتروا بدلات رصاصية من «الكانتين» من أجل عدم ترك أية ظلال ولأن الجدران كانت بلون رصاصي وهناك فائدة أخرى.. أن الشباب عندما يخرجون من البوابة

يكون زيّهم مختلفاً تماماً عن زي الشـرطة إذا ما وقعت اشـتباكات أو تقرر الهجوم من الخارج!

عمد رضا وقبل أن يغادر إلى مبنى العزل إلى الجلوس مع محمد على سريره في الغرفة ٦:

- تعال اقعد صوبي!

وهـذه أول مـرّة يفعل ذلك طيلة وجود محمد طوق في السـجن.. أي سنة وأربعة أشهر..

جلس إلى جانب رضا والتقطا صورة؛ ثم دخل «اليوتيوب» وقال:

- تعال طالع!

فأراه فيديوات حول الشهداء.. شهداء المقاومة في البحرين وشهداء المحنة في القطيف وشهداء الحشد الشعبي في ملحمة الدفاع المقدس ضد الدواعش الوهابيين!

التفت محمد طوق إلى رضا وسأل:

- ليش تراويني جدي؟!
- أريـد أحـرك دمـك واخليك مشـتاق إلى الشـهادة واليـن قابلناهم وجه بوجه.. ما يرف القلب ليهم ولا يهتز!

وقبل أن يغادر رضا الغرفة قال محمد:

- اوصني!
- أوصيك بوصيتين!

- شنو؟

- إذا نمت وقعدت اغتسل غسل الشهادة! واقرأ زيارة عاشوراء!

وعندما أوى محمد طوق ليلتها إلى النوم؛ لم يستطع.. تمدد على السرير وحاول أن يغمض عينيه للنوم.. قلبه يخفق وتسارع نبضه ودماؤه تغلي وقد ارتفعت حرارة جسمه.. كان ما يزال مستغرقاً في تفكيره بالشهادة والشهداء.. بعد ساعات معدودة قد يلتقي بصديق العمر وحبيبه علي فيصل رفيق الدرب!

من المحتمل أن الشهيد هو الآن بانتظار هذا اللقاء مستبشراً بقدومه..

ظل يتقلب في فراشه إلى أن حانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل!

نهض من فراشه ودخل الحمام ونفذ وصية القائد الأولى.. فاغتسل غسل الشهادة؛ بعدها أخذ المصحف وكتاب «مفاتيح الجنان» وخرج..

وهنا نهض صادق تقي ودخل الحمام وبعده عيسى موسى وبعده حسن السواد.. واكتشف محمد طوق أن الشباب كلهم نهضوا لغسل الشهادة..

خرج الشباب إلى «الفنس» وجلس كل منهم في زاوية من المكان وكانوا يترلون القرآن ترتيلاً..

قبل أن يبدأ محمد طوق بقراءة زيارة عاشوراء.. فكر أن يذهب إلى جعفر ليرى ما إذا كان قد استيقظ أم ما يزال نائماً؟! غادر ليقابل أحمد العرب عند الباب في غرفة رقم ١.. كان أحمد يصلي صلاة الليل.. كان يصلي خارج الغرفة لأنه لا يوجد مكان فيها للصلاة!

تقدم باتجاه الغرفة ٣.. نظر في داخلها ولم ير «أبو حيدر» في سريره.. اتجه إلى الغرفة ٨.. فتح الباب وكان جعفر قد غطّى وجهه باللحاف.. انتبه لفتح الباب ورفع اللحاف.. سأله محمد:

- واعي؟!
- ما نمت أصلاً
- يلا جهز روحك!
- إن شاء الله

عاد محمد أدراجه إلى «الفنس» وقرأ زيارة عاشوراء وأدى صلاة الليل.. بعدها جلس قليلاً وراح يدور على الشباب وكانوا جالسين بالقرب من بعضهم البعض فسألهم:

- ويش الوضع؟ ويش الأجواء؟
- إن شاء الله خير

كان محمد يحمل بيده المصحف فتوجه إلى الله بالدعاء أن يظهر له في آياته ما يدخل الطمأنينة في القلوب الحائرة! قال بخشوع:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. اللهم صل على محمد وآل محمد

وفتح المصحف فظهرت له سورة الأنفال.. سورة الحرب والقتال والمواجهة والجهاد والثبات.. وراح يقرأ السورة بخشوع وحماس وأمل:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[1]

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[2]

﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾[3]

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[4]

تدفق في قلبه نبع من الطمأنينة والشعور بالسلام.. قبّل المصحف ووضعه باحترام جانباً والتفت إلى الشباب يبشرهم:

- النصر حليفنا!

ابتسموا وقالوا:

- إن شاء الله

راحوا ينظرون إليه متسائلين! فقال لهم:

- لا تسألوني شلون! ولكن النصر حليفنا!

واصل الشباب تعبدهم في تلك الليلة وقد غمر الظلام جميع الأشياء وأحاطها بالأسرار.. هذا الظلام الحالك سينقشع مع فجر الحرية..

كان الشباب يترقبون ارتفاع الأذان وانطلاق «الله أكبر» في الفضاء..

---

١. الأنفال: ١٢

٢. الأنفال: ١٧

٣. الأنفال: ٩

٤. الأنفال: ٣٠

وحينها تكون قد بدأت ساعة الصفر!

ما إن انطلق نداء التوحيد: الله أكبر! حتى وقف الشباب جميعاً يكبرون تكبيرة الجهاد والشهادة..

ربما ستكون هذه الصلاة الأخيرة.. وبعد الفراغ من الصلاة خرج صادق وكان بصحبته عيسى مسرعين إلى مبنى العزل!

فوجئا بوجود شخصين كانا في الحقيقة قد اعتادا على انتظار «أبو حيدر» وكان أبو حيدر ينظر إليهما لكنه كان يريد التوجه إلى الغرفة رقم ٦!!

سألهما صادق:

- تحارسون ويش؟

- نحارس أبو حيدر

وعلى الفور قال صادق وكأنما الهم إلهاماً!

- أبو حيدر دخل الحمام بيسبح! بيتأخر! ادخلوا انتون لا تفوتكم صلاة الجماعة!

دخل الشخصان ونجحت فكرة صادق في إنقاذ الموقف..

أدخل صادق المفتاح في باب العزل قائلاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم

وأدار المفتاح وانفتح الباب! وخرج رضا وحسين البناء.. كان شباب العزل قد شاهدوا رضا وحسين قد أديا صلاة الفجر ولبسا «جواتيهم»

وتجهزوا ووقفوا عند الباب.. فكانوا مستغربين جداً!!

استدار إليهم رضا وقال:

- شباب! لحد يستغرب! تحملوا بروحكم جميعاً! وهذا وداع بيني وبينكم

وراح يصافحهم وعانق صديقه الحميم «علي السنكيس» وقال له:

- تحمل بروحك واجد

وهكذا غادروا مبنى العزل وأغلقوا الباب وتوجهوا إلى الغرفة أو الزنزانة رقم ٦..

دخل رضا الغرفة قائداً لأخطر عملية هروب من سجن «جو» الرهيب!

ومع دخول رضا دخلت الفرحة في نفوس الشباب المنتظرين ودخل معها الأمل؛ رضا هو العقل المفكر والمدبّر للعملية الخطيرة.. قال لهم:

- تمام كلكم؟!

- تمام!

وهنا ركب المايك في جهاز التلفون ووضع المايك على إذنه واتصل.. كانت الأبصار تتجه إليه وكان الشباب في حالة استعداد وتأهب:

- سلام وين وصلتون؟

- ....

- وصلتون عند البوابة؟

- ....

- وين أنتون؟ خلف السيارات بالضبط؟ كم عدد الشرطة؟ والطائرة المسيّرة وين؟ فوق السجن! خلها تكشف «براحة» السجن! الوضع آمن؟

التفت رضا إلى لشباب:

- العملية تبتدي.. يا فاطمة الزهراء!

وهكذا بدأت عملية الهروب إلى الحرية!

- يلا شقحوا!

كان أول من «شقح» أحمد العرب وتلاه أبو حيدر ثم محمد طوق وبعده صادق واستقروا جميعاً فوق المبنى..

كان رضا يقود العملية:

- كل واحد من يركب ينبطح فوق المبنى

وكان رضا في ختام الجميع وصل إلى السطح وانبطح وراح يزحف وهو يلتفت يميناً ويساراً!

الجميع ينتظر الأوامر من القائد الباسل الذي تقدم وأصبح أمامهم وأعطى الإشارة بيده أن يتقدموا!

وبدؤوا بالزحف وراءه إلى أن وصلوا زاوية المبنى.. قال رضا:

- الحبال! الحبال!

تقدم أبو حيدر لأنه كان المسؤول عن هذا الموضوع!

قـام بربـط الحبال مـع المبنى ونزل وبـدؤوا بالنزول الواحـد تلو الآخر وكان رضا آخر من نزل.. قال لهم قبل الشروع بالنزول:

- من تنزلون تسندون ويه الطوف

وهذا ما فعله الجميع.. نزلوا والتصقوا بالجدار..

عندما تأكد رضا من أن الوضع آمن أصدر أمره إلى أحمد العرب وعمار السواد:

- روحوا سريع إلى السكيب مال الخمام

كانـت المهمـة الموكلـة لهمـا هي قلب حاويـة النفايـات لتكون منصة لعبور الأسلاك الشائكة لذلك طلب من صادق تقي وكان يحمل البطانيات:

- اطلع وراهم

ركـض صـادق وصعـد علـى الحاويـة ونشـر البطانيـات فوق الأسـلاك الشائكة..

خاطب رضا محمد:

- اطلع محمد إلى السكيب ومن توصل اقعد!

وأوصى بقية الشباب أيضاً بذلك!

ونهـض الشـباب واحـداً بعـد الآخـر لتنفيذ أمـر القائد الشـجاع.. كانوا يجلسون عند «السكيب».. وصل رضا وقال:

- الحين لحد يشـقح على السـياج ويوقف! انسـدحوا وزحفوا لأنه إذا وقفنا بصير الوزن مال الجسم كله في محل واحد وبنطيح في

الأسلاك الشائكة.. افلتوا جسمكم كامل على الأسلاك وعقب اقلبوا روحكم

وهنا تقدم رضا ليريهم كيفية عبور الأسلاك!

نهض الشباب الواحد بعد الآخر.. كانوا يفلتون أجسامهم فوق الأسلاك ويقلبون أنفسهم للسقوط بين الجدارين!

وكان الشرطي في برج المراقبة لا يستطيع رؤيتهم لأنهم ما إن انزلقوا إلى الأسفل حتى التصقوا بالجدار وحينئذ تتعذر رؤيتهم؛ بقي عمار السواد وحسين البناء.. عندما صعد عمار السواد ارتكب خطأً في طريقة «الشقح» على السياج! وأصبح وزنه على قدميه وتعلقت رجلاه في السياج.. حاول رفعهما فاخفق.. القى وزنه في مكان آخر ليرفع رجليه.. وهنا ارتفع جسمه فانتبه الشرطي في برج المراقبة.. فصرخ الشرطي:

- اوقف! اوقف!

وكان حسين البناء ما يزال لم يعبر السياج؛ عمار أفلت نفسه.. كان محمد خلف رضا مباشرة.. وعندما صرخ الشرطي اطلق رضا نداءه:

- يا فاطمة الزهراء!

وهنا تناهى صوت إطلاق الرصاص نحو السجن.. قال رضا آمراً:

- يلا! اركضوا!

انزلق حسين البناء وراح الجميع يركض إلى أن وصلوا المنعطف الثاني الذي يؤدي إلى باب السجن.. كان رضا يتقدم الجميع وعندما انعطفوا باتجاه البوابة ظهر شرطي أردني على مسافة مترين ونصف.. وقد شهر

سلاحه بوجه رضا! ولم يكن رضا يحمل سلاحاً.. صرخ الشرطي:

- اوقف! لا اطخك!

وقف رضا ولعله رأى أبواب الجنة قد فُتحت.. لذلك صرخ بصوت عال جداً.. صرخ من أعماقه التي تضطرم بالغضب المقدس:

- يا فاطمة الزهراء!!

لقد تجلت الشجاعة في هذا القائد الشاب كأعظم ما تكون! كانت صرخته ومن ثم هجومه على الشرطي قد حسمت الموقف!

لو أن رضا قد تراجع خطوة واحدة لانتهت العملية بالفشل!

وحصلت المفاجأة أن الشرطي المسلح يرفع سلاحه إلى الأعلى فاعتنقه رضا وألقاه صريعاً على الأرض!

بادر محمد فضرب الشرطي بالبيب على رأسه لكي يفلت السلاح.. قاوم الشرطي الأردني! عيسى موسى ضرب الشرطي بالبيب فوقعت ضربته على ظهر محمد طوق الذي لم يشعر بالألم بسبب التوتر الشديد..

تقدم الشباب وبقي محمد وأحمد ورضا وأبو حيدر مع الشرطي.. وتمكن أبو حيدر من الإمساك بيد الشرطي وانتزاع السلاح.. وهنا خرج عدد من الشباب من البوابة.. رأى علي العرب وهو أحد المهاجمين أن الخارجين أقل من العشرة.. تقدم علي العرب إلى داخل السجن ونادى على الباقين:

- يلا! يلا! طلعوا! طلعوا!

رضا أفلت الشرطي واتجه إلى الباب.. وقف علي العرب كالأسد

وأشار إلى محمد طوق ورفاقه بالخروج فوراً.. وكان يتراجع وسلاحه باتجاه السجن لحماية الهاربين.. ركض الشباب نحو السيارة ليستقروا في داخلها..

وأخيراً ركب «علي العرب» الذي قام بتأمين الحماية لرضا ورفاقه!

أمر رضا سائق السيارة بالانطلاق بأقصى سرعة باتجاه «دوار ألبا».. وزع رضا السلاح على الجميع وقد تمركزوا عند النوافذ تحسباً لأي اشتباك قد يحدث!

اعترضت طريقهم «دورية أمنية».. قاد السائق السيارة ليصدم الدورية في إحدى الزوايا وكانت سرعته قصوى ووصلت السيارة منطقة «سند».. والشارع فيه كثير من المطبات.. صاح صادق وكان في المؤخرة:

- شباب! على سعة! على سعة!

التفت إليه رضا:

- ليش شصاير؟

- أبو حيدر مصاب

- وين إصابته؟

- في رجوله!

الحمدلله إن إصابته ليست خطيرة، لذلك قال رضا:

- مو مشكلة!

وصلت السيارة إلى النقطة المحددة في مخطط رضا.. واقتربت من

البيت الموعود، فتحت «الطبيلة» من بعيد بالريموت ودخلت السيارة واغلقت..

ترجل الشباب يهنئ بعضهم بعضاً.. بادر محمد طوق إلى رضا وعانقه مهنئاً:

- الحمدلله على السلامة

بعدها دخل الشباب! لقد نجحت عملية الهروب..

انتهى الفصل الأول.. ولكن بدأت فصول أخرى! ما يزال الخطر قائماً!

- هذا لا يعني أننا وصلنا إلى بر الأمان!

- لقد نجحنا في اقتحام بوابة الموت.. لكن الموت ما يزال يطاردنا!

- ماذا عن الكاميرات في الشوارع.. ربما صوّرت السيارة وعرفت وجهتها!

لذلك كانوا في الداخل وما يزال التوتر يسود الأجواء حتى أن محمد طوق كان يجلس لحظات ثم ينهض ليلقي نظرة من خلال النافذة!

ما تزال الأيدي على الزناد تحسباً لعملية اقتحام تقوم بها الشرطة والقوات الأمنية!

كان محمد طوق قد نذر أن يؤدي ركعتين ويهدي ثوابها إلى المعصومين الأربعة عشر وإلى أبي الفضل العباس والسيدة زينب الكبرى! إذا ا وفقهم الله في عملية الهروب..

لكن محمد طوق لا يستطيع الآن أداء النذر بسبب توتره الشديد وعصف الهواجس!

وهنا ظهر رضا وسط التوتر ووجود مصاب لا يعرف أحد كيف يعالجه!

ظهر رضا وهو يتوضأ ثم يفرش سجادته ويقف لأداء الصلاة.. إنها صلاة الشكر لله رب العالمين..

الجميع كان ينظر إلى رضا وينتظر التعليمات.. فهو قائد العملية وهو الذي يتواصل مع الآخرين في ترتيب أماكن آمنة..

لذلك كانت عيون الجميع شاخصة نحوه.. رضا يضع سلاحه فوق السجادة ويؤدي الصلاة بكل طمأنينة وسكينة وسلام!

كان الجميع باستثناء القائد في حالة توتر وترقب لردود فعل النظام! ترى ماذا جرى ويجري الآن في سجن جو؟! وماذا سيحصل و....

رضا جالس فوق سجادته وكان كتلة من الهدوء والسكينة! أي قلب شجاع ينطوي عليه صدر هذا الشاب؟!!

مرّت ستون دقيقة وما تزال الأجواء متوترة إلى أن يتم الحصول على بيت آخر وكان أهل الدار لا يعرفون شيئاً عن هذه العملية!!

إلى ما قبيل ارتفاع أذان الظهر كان الشباب ينتظرون رد فعل النظام.. وهنا صدر بيان لوزارة الداخلية الذي أشار إلى هروب عشرة من أخطر الإرهابيين في البحرين.. وتضمن البيان تهديداً ووعيداً لكل من يقوم بإيوائهم!!

وشعر أهل الدار بالخوف والذعر لذلك قالوا للشباب بكل احترام

وأدب:

- اننا ما نقدر نخليكم عندنا! فشوفوا ليكم مكان غير!

وراح رضا يتواصل مع بعضهم لتأمين ملاذ آمن للشباب..

كان رضا عندما يتواصل مع شخص يقوم بتحطيم الجهاز ورميه بعيداً ويستخدم جهازاً آخر.. وقد استخدم رضا في هذا اليوم الحافل بالحوادث المثيرة تسعة أجهزة وهو ما يزال يبحث إلى ما بعد الظهر! قال رضا:

- محمد! احنا عددنا كبير فإذا حصلنا مكان ثاني بننقسم.. بنصير قسمين.. فأنتون وخسمة اطلعوا الحين! بتجي سيارة وبتشيلكم بتنقلكم إلى مكان آخر..

- وأنتون؟!

- إذا ما حصلنا مكان بنجي ليكم

بعد دقائق وصلت سيارة وانتقل صادق ومحمد وعيسى وعمار وحسن السواد..

وصلت السيارة إلى المكان البديل.. دخل محمد دورة المياة وعندما خرج سمع صوت رضا، قال محمد:

- ما حصلتون مكان؟!

- حصلنا مكان.. لكن أنا غيّرت فكرتي.. إذا افترقنا سنكون في عدد أقل.. فكرت أن خلال اليومين أو ثلاثة أيام القادمة.. أن نكون مع بعض.. عشان نكون عدد أكبر وقوة أكبر في حالة حدث هجوم..

أصبح العدد الكلي أربعة عشر بعد إضافة قوة الهجوم المكونة من أربعة من الشباب المقاوم!

أحضروا ملابس واستحم الجميع وارتدوا ثيابهم الجديدة بعد أن تخلوا عن ملابس العملية الرصاصية اللون!

وهكذا تقرر البقاء في هذا المنزل جميعاً مدّة مؤقتة أياماً معدودة..

طلب رضا اجتماع الجميع لأنه يود الحديث معهم، قال رضا بلهجة جادة:

- هذه الجهود الي سويناها وبذلناها كامل ما نبغي تروح هباءً منثوراً.. احنا طلعنا من السجن وعندنا خيارين! ما عندنا خيار ثالث! أما الحرية أو الشهادة! رجعة للسجن ما بنرجع!

سأله محمد:

- ويش تقصد أبو حسن؟!

- احنا إن شاء الله بنكون في مأمن من الله.. ولكن أي هجوم علينا أو اي تحديد لموقعنا وبعدها بيهجمون.. ما بننتظرهم يدشون علينا! بل احنا بنطلع ليهم! يعني بمجرد أن يحاصرون المنطقة الي احنا فيها ويحاصرون البيت.. ما بننتظرهم يدشون داخل علينا! بل احنا بنطلع ليهم وبنقاومهم مقاومة الأبطال وما يشيلونه من الأرض إلا شهداء.. وإذا بيعتقلونه يعتقلون أجسادنا مو أرواحنا!

شطب رضا تماماً على خيار الاستسلام مهما كان الثمن.. لم يبق أمام

هـؤلاء الفتيـة الذين آمنوا سـوى الحريّة أو الاستشـهاد.. وضع رضا برنامج الشباب حتى في وقت النوم! قال:

- حتـى فـي وقت النوم ما يصير ننام كامل! ننـام بالمناوبة.. دفعة تنام ودفعة يكونون قاعدين يراقبون ويتابعون أي تحرك غريب في الخارج!

مكـث الشـباب فـي هذا البيـت ثلاثة أيـام! بينما الأوضاع فـي الخارج تموج بالحوادث!

دخلـت الأجهزة الأمنية حالـة الطوارئ وبدأت حملات التفتيش! وفي كل ثلاثيـن دقيقـة كان الشـباب يسـمعون صـوت الطائرة.. وكان الشـباب يتابعـون الأخبـار علـى التلفزيون وكانـت القنوات قد نشـرت خبر هروب الإرهابيين وقد رفعت الحكومة حالة الاستعداد وحالة التأهب إلى أعلى مسـتوى؛ وبذلـت كل جهودهـا مـن أجـل الكشـف عـن مخبـأ الإرهابيين العشرة!!

كانـت الأوضـاع فـي غاية الخطـورة.. ويصبـح الخطـأ الأول في هكذا ظروف الخطأ الأخير!

كان رضا جالسـاً في الصالة مسـتغرقاً بتنظيف سـلاحه وحوله الشـباب وإذا بـ«راعـي الشـقة» يفتـح الباب لتقع عيناه على مشـهد رضا وهو يقوم بتنظيف سلاحه!

واتجهت العيون إلى صاحب الشقة! وهو أيضا تسمر في مكانه تحت وقع المفاجأة!

راح الرجـل يتصفـح وجوه الشـباب الواحد بعد الآخر وما إن اسـتقرت عيناه على رضا أشار إليه قائلاً:

- أنت رضا الغسرة؟!!
- اي أنا رضا
- قوم اوقف!

نهـض رضـا واقفاً! وهنا اتجـه إليه الرجل واحتضنه بقوة وحب شـديد وراح يقبله بعدها، قال:

- مـن بدايـة انطـلاق الثورة إلى هـذي اللحظة كنت أقـول عن كل عمل مقاوم في البحرين هو عمل اسـتخباراتي أو مسـرحية! لكن الآن فـي هـذه اللحظـة تأكـدت وتيقنت أن كل عمـل مقاوم في البحرين هو مقاومة من رجالات المقاومة!

ثم خاطب رضا الغسرة:

- عندمـا رأيتـك الآن واقـف أمامـي عرفـت أنه فـي البحرين توجد مقاومة حقيقية!

كان رضـا يمتلـك كل قدرات وقابليات القيادة! في داخل السـجن كان يخفي نفسـه كقائد.. لا أحد يعرف ماذا كان يفعل وكيف يخطط ويقود العمل خارج السجن وهو وراء الأسلاك الشائكة والجدران القاسية!

أما الآن فقد تجلّت شخصيته القيادية على نحو ينتزع الإعجاب.. لقد أثبت أنه يستحق أن نقول عنه «القائد»..

بقـي رضا الغسـرة وهو مبتسـم الوجه متواضعاً مهذبـاً عطوفاً لم يترك

صلاة الليل ليلة واحدة.. مداوماً على قراءة زيارة عاشوراء في كل يوم، قال للشباب:

- إن كل عمل نقوم به داخل السجن لا يتغير الآن ونحن خارج السجن!

ولهذا استمر الشباب في قراءة زيارة عاشوراء يومياً بعد صلاة الظهرين!

بعد ثلاثة أيام قال رضا:

- وصلنا إلى مرحلة استقرينا وخطتنا الأمنية مشت بسلام.. وما في أي خيط عند الأجهزة الأمنية.. فجلوسنا مع بعض ما ينفعنا ولا يوصلنا إلى الهدف.. لازم ننقسم إلى مجموعات!

كان العدد ثلاثة عشر بعد أن غادر حسين البناء منذ اليوم الأول وفضّل أن يكون بمفرده!

قال رضا:

- محمد وصادق تقي وعيسى موسى في مجموعة! وعمار السواد وحسن السواد وحسين عطية وجعفر عبدالحسين في المجموعة الثانية..

أما المجموعة الثالثة فقد كانت تضم رضا وباقي الشباب والتفت إلى محمد قائلاً:

- محمد! أنت مار ببعض التجارب في المطلوبية وكيف أن النظام يسعى للقبض عليك وكيف يصل إلى الخيوط.. لهذا على عاتقك تكون هذه الأمور.. حاول أن تقطع كل خيط للنظام يوصله

إليكم

ثم سأله:

- أتواصل مع من؟

- تواصل مع السيد مرتضى

اتصل رضا بالسيد مرتضى وأخبره بأن محمد ورفاقه يحتاجون إلى مكان آمن وهذا ما تحقق لهم بسرعة..

حصلت مجموعة رضا ومجموعة عمار كلاً على مكان وملاذ آمن.. وبقي الشباب بانتظار السيارات التي تقلهم إلى أمكنتهم الجديدة!

كان محمد يطيل النظر إلى قائد العملية وكأنه أُلهم بأن هذه النظرات ستكون الأخيرة!

قال رضا:

- سنلتقي إن شاء الله وسنجتمع من جديد!

وصلت السيارة التي تقل مجموعة عمار السواد ورفاقه.. فنهضوا للوداع على أمل اللقاء قريباً!

وبعد حوالي نصف ساعة وصلت السيارة التي تقل مجموعة محمد طوق؛ وفي نفس الوقت وصلت السيارة الثالثة لنقل مجموعة رضا الغسرة.. ولم تكن أيّاً من هذه المجموعات الثلاث تعلم بالمكان الذي ستأوي إليه!

وحانت لحظات الوداع حيث ودع محمد طوق كلاً من رضا وأحمد

العرب بحرارة وحب وشوق!

- تحمل في روحك أحمد!

- تحمل بروحك.. لا تنسانا من دعائك

كان رضا آخر من ودعه محمد طوق؛ امتلأت عيناه بالدموع وفضّل الوداع بصمت لأنه إذا تكلّم فسوف يجهش بالبكاء وهو لا يريد أن يبكي في هذه اللحظات..

أوصاه رضا مرّة أخرى:

- محمد! تحمل بالشباب وتحمل بروحك.. ولا يصير أي غلط.. ما نبه نخسركم.. وإن شاء الله قريب نلتقي

وهكذا انتهى مشهد الوداع وافترق الأصدقاء ورفاق الدرب..

لنرجع إلى الحكاية[1]

تقافز الشباب إلى داخل السيارة وبأقصى سرعة قادها حسن شكر باتجاه «ح» حيث يقع المخبأ.. قام رضا بتوزيع السلاح والمهام على الشباب..

شمس غرة كانون الثاني من العام الميلادي أشرقت وراء جبال من السحب الجليد.. وقد تبدد تماماً رماد الفجر..

في تمام الساعة ٦:٣٨ تواصل رضا مع سيد مرتضى:

---

١. يُرجع المؤلف هنا إلى الاستمرار في سرد تفاصيل عملية التحرير - الناشر

- احنا بخير، عندنا إصابة واحد في رجوله ومكان دبّر لينا في «ح» ضروري ضروري، مكان ما نبغى يكون ليه ارتباط بأي واحد من المجموعة، لأن احنا رحنا مكان ليه شوي ارتباط، لو وصلوا لواحد من المجموعة بوصلون لينا، فأنت دبر لينا مكان ونبغى واحد لعلاج، في أسرع وقت ممكن، عندنا إصابة

كان السيد يتابع لحظة بلحظة مسار الحوادث.. قلبه على القلب الشجاع والقلب الشجاع على حجر.. ما يزال ينبض على نحو منتظم..

- سلام عليكم، الحمدلله، الحين اشوف بإذن الله

مشاهد ما بعد التحرير

السيارة تنهب الطريق نحو «ح».. وكان الشباب على أهبة الاستعداد للمواجهة.. الأصابع على الزناد.. والعيون تحدّق في كل اتجاه.. القلوب تخفق بشدّة باستثناء القلب الشجاع كان ينبض على نحو طبيعي.. الطمأنينة تملأ قلب رضا فتتألق في عينيه ابتسامة مفعمة بالرضا.. يحاول أن يبدد مشاعر الخوف التي اجتاحت رفاقه..

رضا يمزح مع أحد رفاقه:

- ها جعفر ندمان؟

ضحك جعفر وأجاب:

- لا شلون أندم.. الحمدلله ما خليتوني بروحي

أول إفطار

استقبلت ربّة البيت أبطال سيوف الثأر وبادرت لعلاج الجريح.. قال رضا لها:

- أنت بحق «طوعة» هذا الشعب.. لأنك الوحيدة الي آويتينا..

أحضرت ربّة البيت الإفطار.. وكان أول إفطار بعد العملية عبارة عن بيض مقلي مع الطماطم.. وما إن وقعت عليه عيون الشباب حتى كادوا ينفجرون ضحكاً.. لأن رضا قال لهم في ليلة العملية:

- باجر إن شاء الله احنا وياكم وريوقنا يكون بيض وطماطة!

حينها كان رضا يريد أن يشحذ هممهم وتعبئتهم لفجر التحرير..

تقارير من أرض المعركة

سرّ مكنون ينطوي عليه القلب الشجاع.. ما إن وصل الشباب إلى المأوى حتى تألقت في أعماق رضا الغسرة سورة الحمد وآيات الشكران.. تواصل مع سيد مرتضى في تمام الساعة ٧:١٦ صباحاً:

- الحمدلله.. تيسرت الأمور

ابتهج السيد في ذلك الصباح التاريخي.. إنه لم يفرح في حياته.. فرحته في هذا الصباح الدافئ رغم برودة كانون الثاني..

قال سيد مرتضى:

- الحمدلله.. يا الله

تساءل عن خطورة الإصابة فجاء الجواب:

- أي شوي
- الإصابة في رجل؟
- الإصابة في الفخذ

قال سيد مرتضى أنه بصدد البحث عن مأوى في «ح»

- بس بخصوص المكان الي احنا فيه، عندنا طائرة مسيّرة كانت للاستطلاع، وظلت فوق المبنى الي هو في السجن، فهي تطيح، نص ساعة وبتطيح، فيها بصمات الصبيان، فيها بصمة واحد من الي ويانا في المجموعة الي جو ويانا، نبغى مكان في «ح»، طبعا احنا عندنا هني اسعافات اولية، الظاهر ان الرصاصة صادته وشقت فخذه، يعني ما دخلت داخل بس هو ينزف شوي لان الشق غزير، خاصة أن يمكن يعرفون فيه إصابة أو شيء، فسيد رحم الله والديك تابع ويانا، نبغى محل وواحد يجي ينقلنا بأمان، نعطي إحداثية يجي يشيلنا ويودينا، يعني الصبي احنا وقفنا النزيف وقاعدين نحاول وياه، بس يبقى المكان عشان نضبط ونرتب أمورنا.

لم يقف السيد مكتوف الأيدي، كان يسابق الزمن من أجل تأمين الحماية للشباب الباسل وكان رضا على تواصل مستمر مع السيد..

كتب رضا:

- «د.ر» اعتقد صعب شوي نطوفه لأن يوم نطوف فيه كان مسكر

والـي ويانـا ضـرب الرصيـف لأن قبلنا فـي وجههم وطفنـا، فاحنا نبغـي مـن «د» وانتـه رايـح علـى «ج»، ليـن حصلنـا هنـي مكان واجـد ممتاز، حتى لو هذا الشـخص عنـده أحد من هني، مؤقت نقعـد فـي مجلس أو حجرة أو مخزن، ما يهم يعني، أهم شـيء نروح مكان آمن

- عندك من «د» إلى «ج»، ده الوادي، «و»، نقدر نوصل «م» وده الوادي، سهل ان نتنتقل، من داخل لداخل يصير

سيد:

- الحيـن قاعد اسـوي اتصالات بس لأن الصبح الشـباب أغلبهم ما يردون، نايمين
- بيت الأسماك في نقطة تفتيش
- «ع» زين؟

أجاب رضا:

- سيد بالنسبة لهالأماكن نقدر ننتقل لين أمان بس مو الحين، نبي مـكان لمثـلاً يومين أو ثلاثة يكون في هذا الشـارع، «ع» ما نقدر نوصـل لأن بتنتشـر النقاط، نبغى في الشـارع الـي احنا فيه، «د» إلى «ق» و«ف»، هاي كله تمام، «و» و«ج» بعد تمام
- سـيد ضـروري لأن الطائرة المسـيرة ظلت فوق السـجن وبتطيح، وليـن طاحـت بوصلـون لبصمات الصبي، ثاني شـغلة أنا شـبكت مكالمة ويه الصبي عشان الترتيب، فلازم نطلع من المكان

- نبغـي محـل في «ح»، لين ما حصلت، عطني «ص» أو واحد من الشـباب مالنا عنده وصلات اقدر اوصل ليه، حتى «أ» زين، اقدر اقول ليه عطني وصلة فلان وخلاص

السـيد مشـدود الأعصاب يحاول التنسـيق مع بعض الشـباب للتواصل مـع رضـا الـذي بـدا وكأنه يسـابق الزمـن وقد دخلـت الحـوادث منعطفاً خطيراً.. يتواصل مع السيد:

- سـيد أي شـيء خبرني، قاعد اتابع نفسـك بعد، في عندي واحد بس ما ابي اكلم أي أحد لأن لازم اكلم واحد عشـان أوصل ليه، لين كلمته هذا الصبي مو ثقة، يمكن يتكلم أو شيء

سيد:

- الي اتابع وياه قال في «ر» مكان جاهز

رضا:

- بعيـد مـا بنقدر نوصل، احنا ١٠ أشـخاص وويانـا ٤ بعد، يعني ١٤ واحد

سيد:

- بس «ح» للحين ما رد

رضا:

- يعني هذا ما بنقدر سيد، احنا قاعدين نتابع، انته تابع رحم الله والديك، سامحنا بس ما نبغى مجهودنا كله يروح

سيد:

- قاعـد اتواصـل ونشـوف إذا أحـد يرد، خلنـي اتابع وإن شـاء الله تفرج قريب

وصلت الحوادث مرحلة حساسة للغاية، وكان السيد يتابع التطورات.. حصـل علـى «وصلـة» لرصـد المداهمات ومتابعـة الأخبار السـاخنة.. بدأ الخبر بالانتشـار.. حالة اسـتنفار قصوى في سـجن جو.. أرسـل السـيد إلى رضا نقاط التفتيش في البحرين..

تواصـل رضـا مع السـيد وأخبـره أن أصحاب البيـت أخطروهم بضرورة المغـادرة فـي أسـرع وقت.. فقد انتشـر الخبر.. أخبـره بالوضع الحرج في تمام الساعة ١:٠٦ بعد الظهر.. تواصل رضا:

- أهـل البيـت خايفيـن واجـد يبغونـا نطلـع، رحـم الله والديكـم إحداثيتنـا «م»، ليـن وصـل تالي بنوصف ليه ويـن يجي لينا، بس ضروري ضروري تطلعونا

أجاب السيد:

- في أكثر من مكان تم ترتيبه الحين، بس قسّـم الشـباب عشان لا يصيرون كلهم في مكان واحد
- إذا تقدرون تتوزعون ٣ أو ٤ مجموعات، فعلا ٣ أماكن موجودين بس اتصل ليهم وارتب وياهم واعطيكم خبر

رضا:

- احنـا اوك جاهزيـن بـس عليكـم أنتـون، شـخص يجينـه ويشـيلنا

وخلاص

- احنا ترى ١٤ شخص ويه الشباب الي نفذوا العملية

أجاب السيد:

- انا رتبت وياهم الحين، كلمتهم على أساس يجون ٤ بس بصيرون مو في وقت واحد عشان لا يشوفون بعض ولا يلتقون ويه بعض، انتوا رتبوا أموركم بحيث تكونون ٤ مجموعات، كل سيارة تحاول تشيل مجموعة

- في سيارة قريبة توصل، خل مجموعة تكون جاهزة، السيارة قريبة بتوصل إن شاء الله، شوفوا خلو ٣-٤، شوفوا الي يناسبكم عشان تطلعون وياه

رضا يتابع سير الأمور وهاجسه إخلاء المصاب وتضميد جرحه والسيد يخبره أن السيارتين قريبتان من المكان ويعطيه علامات دالة ورضا يصف له العنوان.. والسيد يتواصل مع السيارتين..

تواصل السيد مع رضا ويتساءل أين وصلت الأمور:

- شفتون الأخوان؟ طمني بس

رضا:

- اخذوا دفعة من ٤ أشخاص، بطلع الجريح من جهة «ت» لأن بجيب لي واحد يعالجه وبجيب ليه كل شيء، وعندي اثنين مو مطلوبين بس احتياط بخليهم في مكان، واحد من صوبي مكان سفتي، بس اخلص منهم دلين طرش لينا، بنبقى أنا و ٣

أشخاص يشيلنا

في الساعة ٧:٠٨ مساءاً، السيد يتواصل مع رضا.. استفسر عن الأوضاع.. أجاب رضا حول أوضاع الشباب:

- واحد منهم اوك بس هذا الصغير جاف الرجال، وهذا الصغير يروح «ط» ومطلوب وعرف المجموعات كلها وين صايرة، فما في فايدة، احنا متفرقين بس مو اوك الوضع، المصاب الحمدلله حطوا ليه لصقة وجدي، يحتاج ٧٢ ساعة بصير زين، بس نبي بهدوء ترتبون لينا ويه جماعة مقطوعين ما ليهم حراك

أجاب السيد:

- في مجال الليلة إلى بكره ارتب شي أو الحين تريدون؟ لأن الليلة تعرف انته حاطين بالهم بشكل كبير، ومنتشرين في كل مكان، نقدر نغامر لكن إذا ترون في إمكانية تطولون لبكرة، بكرة نحاول ننقلكم إلى أماكن ثانية، الليلة اقعد ارتب وبكره نبدأ تنقيلكم

رضا:

- أنا مو مأمن على الصبيان، أنا اقدر اروح مكان بس أنا ابغى اضمن الصبيان، وهم ما يبون يصيرون مجموعة ويه بعض بس في نفس الوقت ما ابغى اخاطر ابهم ونفلتهم جدي
- سيد أنا بالنسبة ليي افكر نطلع كل المجموعة ونكون في مكان واحد وما يعرفه داك، والصبي الي جه لينا الكبير هو يضبطنا

وينخش، تضبطون لينا مكان لأن احنا مافي فايدة، تفرقنا صدق بس ضعاف صرنا، شخص واحد يدلي كل الأمكنة، صرنا ضعاف وموزعين

أجاب سيد:

- خلني اسوي اتصالات واجوف بس احاول ارتب الموضوع بالي نقدر عليه، إذا جفت في مجال الليلة، الليلة ننقل، بس الأخبار تقول ان نقاط التفتيش في كل مكان، وفي استنفار كبير، إذا في مجال الليلة بننقل الليلة، إذا مافي مجال بنرتب على بكره إن شاء الله
- الحين اسوي اتصالات

أجاب رضا:

- احنا بنروح مكان، بشوف الصبي ينقلنا لأي مكان حتى لو نقعد بروحنا، لكن ما يعرفه داك الصبي الصغير، احنا ١٢ الحين لأن ٢ تصرفت وياهم نفس ما قلت لك، وانت على راحتك عشان ما يسوي ربكة وجدي، نبغى ناس مقطوعة عشان نقطع الخيوط كامل، لان كلش مو في صالحنا يصير أي خطا لا سمح الله

سيد يبيّن وجهة نظره:

- انا وجهة نظري أن مو كلكم تصيرون في مكان واحد، عشان لا سمح الله أي خلل يصير لا تروح كل المجموعة، تقسموا أفضل إذا ممكن، أنا بتحرك الحين بحاول اشوف أماكن، بس نصيحتي

أنـه لا تكـون كل البيـض في سـلة واحـدة إذا طاحت يتكسـر كل البيض، خلنا نوزع الشـباب، كل مجموعة تكون في مكان، عشان يكون أسلم وائمن.

- انا الصبح كنت ابغي ارتب وياكم عشـان النقل لأن كانوا مرتبين مـكان والشـباب كانـوا ينتظـرون، حاولـت اكلمكـم فمـا شـفت تـردون، ابـي اتطمـن هـل حصلتـون مـكان او تحتاجـون ارتب؟ الجماعة جاهزين وعندهم مكانين اظن، يقدرون يرتبون ليكم

أجاب رضا:

- اعتذر سـيد لأن احنا شـفتات، شـفتي أنا الصبح، من بعد الصلاة إلى الساعة ٩، بالنسبة للمكان أنا ابي مكان لمحمد ومجموعته، ابي تحتك أنت وإدارتك لان ما بتطمن اوديهم لأي أحد، فاحنا جاهزين، ننقسـم مجموعتين، مجموعة محمد والي وياه، فرتبوا أمورهم وسـالفة النقل وقول ليي ترتيبك، بعطيك إحداثية، طبعا بعـد مـا تشـوف الوضع كل اوك بقـول لك احنا في وينه، بسـوي ترتيب صح عشان واحد يجيكم في مكان بالضبط

وفـي غمـرة الصـراع.. وقـد بدت الأجـواء مشـحونة بالخطر لـم ينسَ القلب الشجاع الصلاة.. لذلك أبلغ السيد بأنه سيرفع الأذان:

- طبعـا الحيـن بـأذن بـس أنا ويـاك، بخلي الشـباب يصلـون، أنت شوف ويش يصير وأنا موجود

- سـيد بالنسـبة للمحل أنا ابي ارتب محل إلى محمد ومجموعته، احنـا بنرتـب امورنـا، بس أنا مـا ابغي انتقل إلى أنـا متطمن على

محمـد والجماعة وما ابغـي اعطيهم أحد غيرك، وما كلمت أحد نهائياً عشان ما اخربط وأنته بتحافظ عليهم اكثر، فهم جاهزين فانقسمنا مجموعتين، بس باقي محمد و هو يبي من صوبك وأنا بعـد نفـس الشـي ما بتطمن لأحـد غيرك، رتـب أمورهم خلاص، ليـن جاهزيـن والجماعـة صـاروا فـي «ح»، أنـا بعطيـك إحداثية وبطرش لك واحد بالضبط مكان بتوقف أو مكان التنسيق

- احنا جاهزين وبالنسبة للحديد الي جبتونه، طبعاً مصدّي واجد، أنا أمس حصلنا في المحل الي قاعدين فيه ديزل وشوي اغراض، حاولـت انظفهـم بـس واجد مجيميـن، اعطيهم محمد لـو تبيني اشتغل عليهم وانظفهم وعقب تستلمونهم، وبالنسبة إلى محمد والشـباب ائمنهـم اعطيهـم شـيء لو انتـون بتئمنونهـم؟ يعني أنا باسـتطاعتي اعطيهـم فـرد يأمنـون روحهم للطريـق والمكان الي بيقعـدون فيـه بـس هـم يحتاجون تأميـن أكثر، فمـا ادري انتون بتأمنونهـم لـو لا؟ بـس احنـا عشـان لا يصيـر نقـص لا عندنـا ولا عندهم، جوف انته ويش الترتيب بالنسبة للموضوع

- او اقدر اعطيهم أي شـيء عقب ما تئمنونهم، نقدر ننسـق، هذا الترتيب مو مهم قد ما ان تحصل ليهم مكان آمن وجدي

أجاب السيد:

- بصلـي وبرتـب اتصـالات بجوف شـنو نقـدر نرتـب وراح اتواصل وياك، موضوع التأمين حق الجماعة نقدر نرتب ليهم شيء، بس نحتـاج يومين على مـا نطلعهم مـن مكانهـم دي الحدايد، لأن

شـفت انت، مدفونيـن، وبصعوبة طلعوهم لينـا، فاحتاج يوم أو يوميـن نجهـز ليهم حدايد ونخلي ليهم أمان، وإن شـاء الله يصير تيسيرات بإذن الله تعالى، الحين بس اصلي وارتب ويه الأخوان واعطيك الجواب، روحوا صلوا وارتاحوا وإن شاء الله نرتب الأمور

رضا:

- خيـر سـيد بـس لو صار مثـلا تعطيهم وصلة، احنـا محلنا اوك، إن شـاء الله أمـان والأمـان بـالله، بـس لـو مثـلاً يصير عقب سـاعتين التشديد أزيد، فبصير صعب التنقل

الفصل الخامس عشر

تسارعت الحوادث على نحو مثير وكانت الأجواء مشحونة بالخطر والنظام يحضّر لارتكاب جريمة جديدة في تنفيذ أحكام إعدام جديدة كرد فعل انتقامي من منفذي العملية البطولية التي أسفرت عن تحرير عشرة أسرى في سجن جو المركزي الرهيب.. جاءت عملية سيوف الثأر لتمثل صفعة قوية على وجوه الجلادين..

انتشرت مرتزقته في كل مكان بحثاً عن الفارين وعلى رأسهم «رضا الغسرة» المحكوم بأكثر من مئة عام..

٣ كانون الثاني-يناير ٢٠١٧

يُقال أن الضفادع لا تحسن سوى النقيق؛ نظام آل خليفة الإجرامي يستنفر كل قواه الأمنية بحثاً عن الشباب المقاوم الباسل، وهناك من داخل «البيت البحراني» من يحاول التشويش على هذه العملية البطولية.. يحاول أن يفرغها من مضمونها البطولي ويصفها بالمسرحية!

كان بإمكان السيد الكشف عن معلومات تثبت «براءة» عملية «سيوف الثأر» ووضع حد لنقيق الضفادع.. لكن الثمن سيكون باهظاً.. كان هاجس السيد المحافظة على أمن وسلامة الشباب المقاوم الذي مرّغ أنف النظام الخليفي بالوحل في ذلك اليوم الشتائي الساخن بالحوادث، تواصل رضا مع سيد مرتضى وتطرقا في الحديث عن التشويش على العملية البطولية:

- في أمر سيد بالنسبة للعمل الي صار، احنه مسمينه سيوف الثأر ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى رأسهم الشهيد النمر
- أنا مصور من داخل كلمة وعندي تصوير جوي كامل بطائرة مسيرة
- بتعلنون عن الاسم؟

السيد:

- الي ترغبون فيه نقدر نرتبه

رضا:

- براويك شغلة الآن

وهنا يرسل رضا رسالة نصها التالي:

- يفرج الله، راح الرايح، الناس قاعدة تهيئ الأجواء لمسرحية ضخمة على هذي البيانات، يعني حتى لو صار الشيء نحمل النظام سلامة الشباب والله أعلم بحالهم، ما قلنا مسرحية بس احنا نساعد النظام حق يسوي المسرحية بهذي البيانات، صار

الشيء نقول الحمدلله لا أكثر

- هـذا طبعـا أنا قبل خبرتكـم عنه، يتقمص شـخصية ثورية وحاط صـورة الأسـتاذ عبدالوهـاب وكان يـدش المجموعـات الثوريـة مـال المناطـق ويبث السـموم، أنـا اعرفه الشـخص، فهو يتقمص الشـخصية الثورية ولكنه يحـارب أي فكر من هالناحية، فاحنا ما نبغى نضيع السـالفة تحت دلين، احنا عادي بس نتشـاور وياكم عشان نجوف ويش الأنسب، طبعا الحين العالم متوجهة لقضية الشيخ النمر، نقدر نعطيك احنا أي معلومات عن العملية وويش الاستخدام
- طبعـا الأشـياء الـي انكشـفت، احنـا اسـتخدما طائرة مسـيرة في العمليـة وصـار طـارئ ومـا قدرنـا نرجعهـا، والشـباب أبطال بس بعـض التعليمـات ما اتبعوهـا فصارت بصماتهـم عليها وهذا الي دلهم على خيوط بعض الشباب الي نفذوا

السيد:

- مـن أول مـا صـار العمل والجماعـة قامت تعطـي تحليلات بأنه مسرحية، فاحنا صدرنا بيان باسم التيار أيدنا فيه الي صار، أمس أنـا كتبـت مقـال صغير ونشـرته، وبدزهم لـك الحين بعد شـويه تجوفهـم، احنـا نقدر نرتب الموضوع، سـهل جـداً ترتيبه بس كل خوفنـا أن يصيـر خيـط على الشـباب، يمكن نتأخر شـوي عشـان نأمن الشباب ونأمنكم وعقبها ننزلها بشكل قوي

رضا:

- هذا رد على البيان مالكم هو
- إن شاء الله، بس مجرد استشارة عشان لا تضيع الجهود وما بتضيع الجهود والأمر لك سيد وما قصرت، رحم الله والديك

السيد:

- فكرتي الأولية أن نصبر وما نعطيهم خيط أو أي شيء، إذا استقرت الأوضاع نقدر نرتب مونتاج مرتب واضح

أرسل السيد المقال الذي كتبه:

- أوجه التحية للقائد البطل الشجاع المقاوم «رضا الغسرة» وإلى رفاقه الأبطال الشجعان..

أفضل هدية قدمت لروح الشهيد المجاهد الشيخ نمر باقر النمر الطاهرة الزكية رحمه الله في ذكرى استشهاده الاولى هي هديتكم.. لقد كسرتم القيود في أنفسكم فاستطعتم تحطيم قيود السجان.. لقد حررتم أرواحكم بسلاح العزة والأنفة والارتباط بالله، والغيرة على كرامة شعب، فتحررت أجسادكم.

لقد حطمتم المستحيل في أعين الناس فأصبح بعد الآن ممكناً، وبوركت أياديكم السمراء، وبوركت أرادتكم الفولاذية.، وأنا أحييكم، وأقبل أياديكم، وجباهكم، وأنحني تقديراً لكم، ولقد أعدتم بعملكم هذا الروح للثورة والأمل في نفوس أبناء الشعب، وأزحتم عنهم شبح اليأس المعشعش في بعض الرؤوس. فأنتم القادة الحقيقيون، وأنتم من يصنع التأريخ، ويصنع مجد الأمم

والشعوب، وبكم يصنع النصر. فلكم مني ألف تحية.

السيد مستمر بالتواصل مع القلب الشجاع.. همّه سلامة الشباب الباسل الذي تمكن من تحطيم هيبة النظام الخليفي.. إن «سيوف الثأر» ستكون بداية لفصل جديد في قصة الصراع الدامي في هذه الجزيرة المقهورة.. قال السيد للقائد الباسل:

عملية أقل ما يقال عنها أنها بطولية

العملية البطولية أعادت الأمل لنفوس الناس، وسجلت هدفاً رائعاً على النظام وبينت حقيقته الكارتونية، وإنَّ ما جرى اثبت أنَّ ثلة قليلة مؤمنة واثقة بوعد الله ونصره يمكن أن تغيِّر كل المعادلات وتقلب الطاولة السياسية. قد تكون هذه العملية النوعية بداية وليست نهاية لعمليات نوعية، ولا أعتقد أن تكون العملية اليتيمة، واختيار الوقت «ذكرى استشهاد الشهيد النمر» مثّل ضربة قاضية للنظام، واختيار الأشخاص هز قصر الصافرية والرفاع. وقد وحان الوقت لشباب البحرين أن يستعيد ثقته بربه وبنفسه.

أجاب رضا:

- أحسنتم

السيد:

- أنتون الي أحسنتم وبوركتم وبارك الله في جهودكم

رضا يستعيد بعض تفاصيل العملية البطولية وخاصّة استنساخ مفتاح

الزنزانة.. ثمة فرح سماوي في أعماق القلب الشجاع، قال رضا:

- أكثر شيء فرحت فيه مو النجاح، هو رعاية الله لينا في كل المراحل، من نسخ المفتاح للأبواب وقطع الحديد كله صار ببركات واضحة من أهل البيت، لأن أنا سرقت المفتاح ثواني من الشرطي ونسخته على ورقة

السيد:

- الحمدلله

رضا:

- من بعد صلاة الاستغاثة بالحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وتوفقت في صناعته، ٥ أيام بليالها ونهارها اشتغل فيه، ما فتح القفل إلا بعد ما دخلته وياي مجلس عزاء الرسول صلى الله عليه وآله، خليته في جيبي، طلعت، خليت في القفل فتحه، أخير يومين الحسم خلو كاميرا مكان ما قصينه الحديد، الشباب أحبطوا، وبعد توسلنا وقلت بنطلع الأحد قدام الكاميرا، بعد الخيرة طلعنا صوبها بنص متر

- واجد تفاصيل عناية ربانية، غير التواجد الكثيف، وبطل التحرير شخص واحد الي تقدم بس، وثلاثين إلى أكثر من مرتزق مسلح في الباب كلهم تهاووا

رضا يتابع التطورات عن كثب وخاصّة حملة المداهمات في منطقة سار ومشاركة عناصر أجنبية في المداهمات..

- المداهمات في سار الحين، مستخفين

- شهود عيان في الديرة شافوا بريطانيين في المداهمة، والي اكد كلام الشاووش

السيد:

- هذا اعتقد تكتبه واجد زين

الفصل السادس عشر

ميادين الفداء

بـدا رضـا منذ الصباح الباكر هائماً مفكراً منسـحباً إلى أعماقه.. نظراته فيهـا قـدر مـن القلق.. لا يريـد أن يصدق أن أخوة الـدرب ورفاق الطريق الصعب سينفذ فيهم حكم الإعدام الجائر.. شباب في ربيع العمر..

النظـام الخليفـي القاتل يقـرر إعدام ثلاثة من شـباب المقاومة.. وكان واضحـاً للجميـع أنـه يريد بذلك اسـتعادة هيبته التـي تحطمت في الأول من كانون الثاني..

تواصـل رضـا مع سـيد مرتضـى وكان الأخيـر يتابع مجريـات الأحداث ويحـاول المسـتحيل لـردع النظام عـن الإقدام على تنفيـذ الجريمة، وكان رضا يعاني من قلق شديد حول مصير الشباب:

- السلام عليكم
- شخباركم، تتابعون الأمور؟

السيد:

- الحمدلله
- عزيزي قرار الإعدام مؤكد
- والليلة سيكون عدة عمليات
- إذا وفق الله

رضا:

امبلى[1]، اي يبين، لعنة الله عليهم

وكان السيد مستغرقاً في متابعة ما يجري في الداخل..

قال السيد:

- بس اخلص راح اتواصل معك إن شاء الله، اعتذر

رضا:

- سيد خذ راحتك، احنه بنسعى معاكم

الأحد ١٥ كانون الثاني-يناير ٢٠١٧

رضا تعتصر قلبه الهموم.. طار النوم من عينيه.. وبدأ القلق يساوره بشأن رفاق الدرب من شباب المقاومة الأسرى في سجن جو.. عباس السميع وعلي السنكيس وسامي مشيمع.. لم يهدأ له بال.. تواصل مع السيد فقد يكون لديه ما يطمئنه:

---

١. هكذا يتراءى لي

- سيد!
- احاتي، في أخبار بتنفيذ الحكم
- أنا مريض شوي

السيد:

- الأخبار غير مؤكدة عن التنفيذ
- بس من الآن للفجر بينفذون

رضا:

- الله يجعل الي فيه الخير

السيد:

- الله يواليك العافية وما تشوف شر

رضا:

- الشر ما يجيك، بهجع لي ساعة وبرد اقعد، نسألكم الدعاء

اقتربت الساعة.. ساعة القدر.. الوجوم والترقب يعم المشهد البحراني.. التوتر يهيمن على الموقف.. الأنباء العاجلة تحدث عن مضي الحكام القتلة في إجراءات تنفيذ أحكام الإعدام..

«سرايا الأشتر» تنفذ عملية جريئة لتوجيه رسالة تحذيرية وتصدر بياناً موجزاً يشتمل على تهديد واضح:

- نراقب الأوضاع عن كثب.. الأيدي على الزناد!

استنفار أمني واسع.. وانتشار واسع للمرتزقة في جميع الشوارع الرئيسية.. تم استهداف مجموعة من المرتزقة المتمركزين في منطقة البديع بالقرب من منطقة بني جمرة.. المنطقة التي ينحدر منها القلب الشجاع..

مواقع التواصل الاجتماعي تتناقل مقاطع فيديو تصوّر عوائل الشباب بعد زيارة الوداع لأبنائهم المزمع إعدامهم فجر الغد.. أمهات يذرفن دموع الحزن والأسى وأمهات يرفعن أكفهن إلى السماوات.. وآباء لشهداء رحلوا بالأمس يتضامنون مع أسر الشباب.. يواسون ويعزون ويسلّون خواطر أمهات شهداء الغد..

تواصل القيادي في سرايا الأشتر مع السيد مرتضى حول السلاح.. كان الوقت قبيل غروب شمس ١٤ كانون الثاني-يناير.. واستأذنه في إخراج السلاح:

- نطلع السلاح سيد!
- اخرجوا السلاح

القلب الشجاع يتواصل مع سرايا الأشتر.. يجهز السلاح والبندقية المقاتلة.. يعبّر عن استعداده لتنفيذ العملية التحذيرية.. جاء الجواب:

- رجال سرايا الأشتر حاضرون وجاهزون للتنفيذ.. المطلوب السلاح فقط..

رضا يعبئ السلاح ويجهزه.. سلّمه إلى «علي العرب».. ليقوم بتسليمه إلى رجال السرايا في منطقة آمنة.. تم تنفيذ العملية بنجاح..

الأنباء تنتشر حول تنفيذ العملية ضد القتلة المجرمين الذين استباحوا دماء الشعب ظلماً وعدواناً .

بيان إنذار أخير تصدره سرايا الأشتر..

التوتر في تلك الليلة يبلغ الذرى.. كانت ليلة طويلة.. العيون ساهرة.. القلوب واجمة.. آمال تتألق.. وآلام تموج.. وأخيراً اقتربت الساعة والصبح انفلق.. سلطات النظام القاتل تعلن عن تنفيذ أحكام الإعدام في الشبان الثلاثة:

- سامي مشيمع
- عباس السميع
- علي السنكيس

شباب بعمر الربيع عرجت أرواحهم صوب السماوات.. تاركين وراء أردية الطين.. والكلمات والذكريات..

وبعد مضي ساعات معدودة تواصل سيد مرتضى مع رضا ونقل إليه خبر تنفيذ حكم الإعدام بشباب المقاومة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله
- تم إعلان تنفيذ الإعدام

أجاب رضا:

- إنا لله وإنا إليه راجعون
- سيد عظم الله أجوركم

السيد:

- عظم الله أجورنا وأجوركم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
- إنا لله وإنا إليه راجعون

رضا:

- سيد حشدوا لخطوات العصيان، أنا بكون وياكم

السيد:

- الآن أصدرنا بيان مشترك للقوى الثورية، وبيان خاص باسم التيار للتحشيد للعصيان

رضا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

إنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين

إلى أمي الصابرة أم الشهيد البطل سامي مشيمع

إلى أمي الصابرة أم الشهيد البطل عبس السميع

إلى أمي الصابرة أم الشهيد البطل علي السنكيس

عظم الله لكم الأجر وتقبل الله منكم هذا القربان

كنتم ولا زلتم الأمهات الصابرات المحتسبات الذين قدموا فلذات أكبادكم في سبيل الله فداء للدين والعرض والوطن وإني لابنكم

الـذي لم تلـده بطونكم أعاهدكم على المضي فيمـا قدمتم من أجله حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

إلـى أبنـاء شـعبي الصابـر إن العـزاء لأهل العـزاء وإنـي لأخ وصديق وزميل وعزيز لأخوة الطوامير الشهداء الأبطال وما يقوله لسان حالهم الـذي واكبتـه لسـنتين عجـاف مليئـة بالقهر والألـم أن هبوا يا شـعب البحرين قاطبة لسلاحكم الأقوى الذي سيقصم ظهر النظام «العصيان المدنـي» الـذي كلٌّ منـا بوسـعه العمـل بـه ولا يكلـف الله نفسـاً إلا وسـعها، وهـذا تكليفكم وواجبكم للوفاء لدماء الشـهداء ومعكم الله نعم المولى ونعم النصير.

رضا عبدالله الغسرة

الأحد ١٥ يناير ٢٠١٧

الله يقدرنا على الوفاء لهم ولدمائهم الزكية

ويطلب سـيد مرتضى منه إرسـال صورة مع الشـهداء الثلاثة في سجن جو المركزي..

وانتشر النبأ العظيم في أنحاء البلاد وسرى سريان النار في الهشيم عبر مواقع التواصل.. وكانت السلطات قد استدعت أسر المحكومين بالإعدام لزيارة الوداع..

وكان وقع النبأ على رضا شـديداً هزّ كل خلاياه العصبية وسـادت حالة مـن الوجـوم ملامح وجهه وراح يتواصل مع أخوة الدرب في خارج البلاد فيما ينبغي فعله لردع النظام عن تنفيذ جريمته..

وانتفض الشعب البحراني رافضاً غاضباً متهدداً.. حينها كان أبطال عملية سيوف الثأر ينتقلون من مكان إلى آخر..

بدأت الاستعدادات لتنفيذ اعتصام في بلدة الدراز وتسارعت الأحداث.. حيث هاجمت قوات المرتزقة المدججة بالسلاح البلدة ودوّت أصداء الهجوم وعلا أزيز الرصاص الانشطاري.. ونهض الشباب بقبضاتهم المشدودة وبالحجارة يواجهون المرتزقة بصدورهم العارية ويشتبكون مع قوات النظام الخليفي.. جرت وقائع الهجوم في الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. وبعد أذان الفجر وقد أشرق الصباح حزيناً.. نشرت مواقع التواصل مقطعاً مصوراً يظهر فيه إصابة شاب برصاصة في رأسه أطلقت عليه من مسافة قريبة، حيث هوى الشاب «مصطفى حمدان» في ميدان الفداء مضمخاً بدمائه القانية..

كان رضا يتابع تطورات الحوادث باهتمام ولهفة وهو يبدي إعجابه الشديد بأولئك الشباب الباسل.. وأطلق آهة حرّى فقد كان يتطلع إلى مشروع لتسليح هكذا شباب شجعان..

قررت سرايا الأشتر الثأر للجريح مصطفى حمدان ووضعت خطة سريعة لاغتيال الضابط المجرم هشام الحمادي.. تم تحديد الهدف وتقرر مهاجمته في مزرعته الواقعة في «البلاد القديم»..

هشام الحمادي الضابط والمسؤول الأمني في منطقة السنابس الذي كان يشرف ويمارس بيديه القذرتين تعذيب مجاهدي السنابس.. هذا الضابط المجرم يمضي أوقاته مستمتعاً في مزرعته.. في غفلة عما خطط له شباب المقاومة في سرايا الأشتر.. تواصل القيادي في سرايا

الأشتر مع رضا الغسرة حول السلاح وقد كان صدئاً حيث مرّت فترة طويلة على دفنه..

قام رضا بتنظيفه كما قام بتنظيف الذخيرة..

وقد أسندت سرايا الأشتر مهمة الاقتصاص من المجرم هشام الحمادي إلى أحد شباب المقاومة الشجعان وهو الشاب الباسل أحمد الملالي.. ولم يكن بحوزته سوى سلاح الفرد.. تواصل القيادي في سرايا الأشتر مع رضا الغسرة وتم إيصال بندقية الكلاشنكوف التي قام رضا بتنظيفها من الصدأ كما قام بتنظيف الذخيرة وتم تعبئتها بثلاثين رصاصة، وعمد رضا إلى أن تكون في المقدمة ١٥ رصاصة السليمة تماماً ثم تعبأ ١٥ رصاصة من الذخيرة التي قام بتنظيفها من الصدأ.. وطلب رضا الغسرة من علي العرب بإيصال الكلاشنكوف إلى أحمد الملالي الذي نفذ العملية في ٢٨ كانون الثاني-يناير ٢٠١٧.. وفي اليوم التالي أعلن عن إنزال القصاص بالمجرم هشام الحمادي.. يومها التفت رضا إلى علي العرب وقال له:

- تدري إن السلاح الي استخدم في اغتيال الحمادي هو نفسه الي نفذوا فيه عملية بني جمرة قبل أسبوعين؟!

كان رضا يتطلع إلى نشر ثقافة المقاومة المسلحة على أوسع نطاق.. فقد بات واضحاً جداً أن نظام آل خليفة نظام جبان يستأسد أمام الإنسان الأعزل من السلاح.. ويقوم باضطهاده إلى أبعد الحدود ولمس هذه الحقيقة عن قرب من خلال التعامل معه داخل المعتقلات والسجون.. ولهذا عزم على البقاء داخل هذه الجزيرة المقهور أهلها.. غير أن السيد مرتضى السندي كان يرى مغادرة رضا الغسرة البلاد لأنه أصبح المستهدف

الأول من قبل النظام الخليفي.. ولذا يجب عليه أن يهاجر في أقرب وقت.. وأخيراً اقتنع بعد تواصل سيد مرتضى معه وإلحاحه وإصراره.. قال له السيد مرتضى:

- خروجك من البحرين سيكون انتصار كبير للشعب وسيرفع من معنويات الناس على نحو أكبر من خروجك من السجن.. لأنه خروج من السجن الأكبر

اقترح سيد مرتضى أن يكون في أول مجموعة تغادر عن طريق الساحل الشرقي..

اجتمع رضا مع رفاق الدرب واطلعهم على الموضوع.. فلاحظ الارتباك على وجوههم.. كانوا يشعرون بالأمان مع رضا.. فهو العقل المدبّر والمفكّر لـ«سيوف الثأر» وصاحب الحس الأمني.. لذلك تواصل مع سيد مرتضى وأخبره بصراحة:

- سيد إذا تعفيني وأن أكون آخر شخص يخرج..

عاد السيد فألح عليه وأوضح له كثيراً من أبعاد مسألة خروجه على وجه السرعة لكن دون جدوى.. بعدها أرسل رضا إليه رسالة ذكر فيها:

- أنا أخلاقياً لم أكن أقبل هذا الأمر الذي طلبته مني

أثبت موقف رضا الغسرة وإصراره على أن يكون آخر من يغادر البحرين..

إن القلب الشجاع ينطوي روح عظيم.. يتصرف كقبطان سفينة مشرفة على الغرق.. فهو آخر من يغادر السفينة.. والقائد الحقيقي تراه أول من

يضحي وآخر من يستفيد!

انبرى سيد مرتضى يسابق الزمن لترتيب خروج المجموعة الأولى..

محمد طوق مرّة أخرى

كان رضا آخر من ودعه محمد طوق؛ امتلأت عيناه بالدموع وفضّل الوداع بصمت لأنه إذا تكلّم فسوف يجهش بالبكاء وهو لا يريد أن يبكي في هذه اللحظات..

أوصاه رضا مرّة أخرى:

- محمد! تحمل بالشباب وتحمل بروحك.. ولا يصير أي غلط.. ما نبه نخسركم.. وإن شاء الله قريب نلتقي

وهكذا انتهى مشهد الوداع وافترق الأصدقاء ورفاق الدرب..

وصل محمد طوق ورفاقه في مجموعته إلى منطقة «س» وكان استقبال أهل الدار حاراً حتى أنهم وجدوا الغذاء جاهزاً فأدوا الصلاة وقرأوا زيارة عاشوراء وتناولوا غداءهم..

بعد الغداء مباشرة تناهى لهم صوت طائرة هلوكبتر تحلق قريباً جداً.. كان الصوت يهزّ الدار لشدة انخفاضها!

طلب محمد من «ي» الذي نقل المجموعة إلى هذا المكان:

- شنو الموضوع؟ شوف إلينا الموضوع!

كان لدى «ي» جهاز.. فدخل إلى «قروب المراقبة» في المنطقة وكانت الأخبار تدل على أن الشرطة يبحثون عن الهاربين!

قال «ي»:

- سكروا مداخل المنطقة كلها! وقوات الكوماندوز نازلين وفرق مداهمات كثيرة في المنطقة! وقد نصبوا نقاط تفتيش في شوارع وطرق القرية الداخلية!

قال محمد متسائلاً:

- من قبل هذا اليوم صار جدي؟ أو أول مرّة؟!

بدا الارتباك على وجهه:

- أول مرّة يصير جدي في المنطقة!!

خطر في ذهنه أن قوات النظام تمكنت من تحديد موقعهم وقد جاؤوا لمداهمة المكان!

استعد محمد طوق للشهادة وترددت في وجدانه كلمات رضا:

- يعتقلون أجسادنا مو أرواحنا

أمسك بسلاحه وضمه إلى صدره بقوة.. واستعد للمواجهة حتى النفس الأخير؛ التفت إلى رفاقه:

- مقاومة؟

- حتى الشهادة!

مرّت ساعة تقريباً وهم على أهبة الاستعداد لأي عملية اقتحام؛ تراجع صوت الطائرة وتضاءل تدريجياً إلى أن انقطع تماماً.. سأل محمد طوق «ي»:

- ويش صار؟ شوف ويش صار؟!

راح «ي» يتابع التطورات على مواقع التواصل للقرية وقال لـ«محمد»:

- انسحبوا! الوضع آمن

اتضح فيها بعد أنهم كانوا قادمين للقبض على أحد المطاردين من رجال المقاومة! وكان بيته قريباً من البيت الذي لجأ إليه محمد طوق ورفاقه! لذلك قال محمد لـ«ي»:

- لازم نبدل المكان! ما يصير نبقى في هذا المكان! من المحتمل أن الرجل المطارد قد أفلت وهم سيداهمون البيوت القريبة من بيته!

سعى «ي» في البحث عن مكان آخر وتمكن من الحصول على بيت آمن.. فانتقلت المجموعة إليه!

كانت المنطقة تنعم بالأمن وكان أهل البيت في غاية الطيبة والكرم والمحبة.. ولم يترددوا لحظة في دعم شباب المقاومة.. كان همهم حماسية شباب المقاومة ولذا احتضنوهم ولم يهابوا التهديد والوعيد!

مكثوا أسبوعاً وخلال هذه المدة كان محمد ورفاقه ينفذون وصايا القائد.. يتناوبون في النوم وكانوا دائماً على حذر واستعداد للمواجهة.. كانوا يتناوبون الحراسة..

واستمر برنامجهم الروحي كما هو عليه في السجن من صلاة الليل وزيارة عاشوراء.. بعد مضي أسبوع كامل فاتح محمد طوق «ي».. قال له:

- لازم نغيّر المكان وننتقل إلى مكان آخر!

طلب منه أن يتواصل مع الأشخاص الذين يتواصل معهم لاستلامهم ونقلهم إلى مكان آخر!

تواصل «ي» مع شخص معتمد من قبل السيد مرتضى السندي.. وتم الحصول على مكان آمن حيث مكثوا فيه لمدة أسبوعين..

كان محمد طوق دائم التفكير في أسرته.. في أبويه.. في أخواته وأخيه.. كلمات رضا ما تزال تدوي في وجدانه.. كان رضا قد قال للشباب قبل تنفيذ العملية:

- شباب الي يريد ينسحب من الآن ينسحب.. تعرفون عواقب هذه الأمور! وحطّوا اسوأ الاحتمالات الي بتصير عقب الهربة! يعتقلون بيتكم! يعتقلون أمك أو أختك أو أحد من عائلتك! لازم كل واحد منكم يحط اسوأ الاحتمالات.. لأن عقب ما نمسك البيب مال الهربة مافي تراجع عقبها!

كان محمد طوق يعي جيداً أن للحرية ثمن وأن الحرية لا تأتي إلا بالتضحيات!

لقد وضع في حساباته أن النظام سيعتقل عائلته وأصدقائه وأحبته ولكنه لن يستسلم أبداً.. فهذا هو طريق الحرية والكرامة!

بدأت أجهزة النظام بالتشويش على العملية وحاولت توحي بأنها مفتعلة.. فقد تضمن البيان الأمنى إشارة إلى احتمال وجود بعض الشرطة المتعاونين مع «الإرهابيين»..

شباب المقاومة ينفذون عملية بطولية ولكن ثمة من يُشكك فيها!

الشباب لا يستطيعون الاتصال بعوائلهم خوفاً من عواقب هذا الاتصال وهناك من يشكك فيهم!!

محمد طوق يمر بأزمة نفسية فقلبه وعواطفه تشدّه للاتصال بأسرته وعقله يحذره من العواقب!

محمد ورفاقه يتلهفون من أجل الاتصال بأسرهم وأحبتهم وهناك من يشكك في مصداقيتهم!

وإنها من مفارقات المحنة أن يختار الشباب المقاوم العيش في غرفة ضيقة من أجل الانطلاق في رحاب أوسع وأن يعملوا تحت جنح الظلام من أجل نشر النور!

فتح محمد طوق التلفزيون من أجل متابعة الأخبار والتطورات.. وظهر الخبر المثير أن النظام يمهد لتنفيذ أحكام الإعدام بكل من علي السنكيس وعباس السميع وسامي مشيمع.. كل القنوات الأخبارية أشارت إلى هذا الخبر؛ وقد تأكد ذلك عندما أجرت إدارة السجن اتصالاً بعوائلهم من أجل الحضور وزيارة أبنائهم في يوم السبت وكان عطلة رسمية؛ عمّ الحزن نفوس الشباب.. كان حزنهم حزناً مقدساً لأنه امترج مع بشرى الشهادة في سبيل الله وهو أعلى وسام يمكن أن يناله الإنسان الرسالي المؤمن!

ساد صمت حزين أجواء الغرفة الصغيرة واتسحب كل إلى أعماق نفسه.. يسترجع ذكرياته مع الشباب..

ظل الشباب ساهراً يترقبون.. إلى أن حط طائر الكرى فوق أجفانهم!

طلع الصبح! وهب محمد طوق مذعوراً على صوت غراب ينعق.. قال في نفسه منزعجاً من هذا الصوت المنكر!

- ويش هالصوت المشؤوم! غراب الشوم

أغمض عينيه المثقلتين نعاساً وإجهاداً ليهب من غفوته مذعوراً على صوت انفتاح الباب!

ظهر وجه صاحب البيت غارقاً في الحزن!

سأله محمد:

- شنو صاير؟!
- عظم الله أجوركم في الشباب!!
- أعدموا الشباب؟!
- اي.. انتشرت الأخبار بأن أعدموهم واتصلوا إلى أهاليهم
- شنو ردة الفعل من الناس؟! صار شيء من المقاومة.. في ردة فعل؟
- أمس كان في عملية للمقاومة في «بني جمرة» بسلاح وانصاب أحد المرتزقة في رأسه
- ويش الأوضاع في الخارج
- للحين مافي شيء

- شوف شنو يصير في الخارج وتعال خبرنا أول بأول!

تفجر بركان غضب في نفوس الشباب وكانوا يفكرون بالثأر للشهداء من هذا النظام القاتل!

كان صاحب البيت ينقل إلى الشباب الأخبار أولاً بأول:

- الناس بدت تطلع في الشارع

كان محمد طوق ورفاقه متأكدين أن النظام سيقوم بإعدام الشباب انتقاماً لمقتل الضابط الإماراتي والنظام لا يريد أن يفرط بهذا الحليف!

لكن توقيت الإعدام جاء ردّاً على عملية الهروب الكبرى!

فالعملية أحدثت زخماً واسعاً في نفوس شباب المقاومة وألهمتهم الجرأة والاندفاع في طريق مقارعة هذا النظام المجرم.. حتى الشباب الذين كانوا بعيدين عن المقاومة أثارت العملية المثيرة روح الحماس في نفوسهم!

أراد النظام الخليفي كسر شوكة المقاومة وتحطيم آمال الشباب وتهديد الشعب بأن ثمن هكذا عمليات سيكون باهظاً جداً!

كان التلفزيون الصغير هو النافذة الوحيدة لـ«محمد طوق» ورفاقه.. فقد كانوا منعزلين عن العالم وعما يجري في خارج هذه الغرفة الصغيرة التي تحولت إلى كهف أوى إليه الذين آمنوا حتى يجعل الله لهم من أمرهم رشداً!

وذات ليلة جاء صاحب البيت وكان يحمل كيساً فيه عشاء للشباب.. قال لـ«محمد»:

- محمـد! تعشـوا وعقـب تعـال ويايـي الغرفـة الي تحـت.. امبي اتكلم وياك!

- مو مشكلة!

بعد تناول العشاء جاء صاحب البيت وقال لـ«محمد»:

- حياك!

نهـض محمـد وذهـب مـع صاحـب البيـت إلـى الغرفـة فـي الطابـق السفلي..

وقبل أن يفتح باب الغرفة قال صاحب البيت:

- محمـد! فـي تلفـون داخـل مغطـي كاميراتـه.. وليـن دخلـت لا تتكلم ولا كلمة.. خذ التلفون سيد مرتضى السندي يباك!

- مو مشكلة!

أخـذ محمـد الجهاز وتحدث مع سـيد مرتضى.. وبعـد تبادل التحيات واطمئنانـه علـى الشـباب.. حيّـا شـجاعة الشـباب فـي عمليتهـم البطولية وأثنى على قيادة رضا الغسرة ثم قال:

- محمـد! مـا أطـوّل عليك! جهز روحـك بكره أنت وواحـد من الي وياك!

- ليش؟!

- بكره بنطلعكم خارج البحرين!

بادر محمد على الفور:

- ورضا الغسرة؟ ويانه؟!
- أنا مكلم رضا قبل لا أكلمك ورضا قال: أنا امبي اطلع بالمجموعة الي ويايي كامل.. فهو الي قال كلم محمد خلوه يطلع!
- رضا موافق؟!
- اي! رضا الي خبرنا
- ما يصير احنا ثلاثة وبس اثنين نطلع؟!
- لا أنت لا بد تخرج وورياك شخص! والشخص الي يبقى بعد أيام قليلة راح نسعى نطلعه ويه دفعة رضا الغسرة

وقع محمد طوق في حيرة من أمره.. فالجميع معرضون للقتل!!

والخطر قاب قوسين أو أدنى من كل الشباب! وهنا تتجلى أروع صور الإيثار والفداء.. قال سيد مرتضى لمحمد وهو يحاوره:

- أنت تواجه حكم إعدام.. فراح يكون أسهل إعدامك وعندهم الحجّة.. فلازم تخرج!

قال محمد في نفسه كيف يخرج ويترك رفاقه معرضين للخطر!!

إنه لا يستطيع فعل ذلك.. لن يتخلى عنهم مهما كانت النتائج!

اتفق محمد مع صاحب البيت أن يتم نقل صادق وعيسى إلى جزيرة سترة تمهيداً لخروجهم عن طريق البحر!

صعد محمد إلى الغرفة الصغيرة.. قال لرفيقيه:

- صادق! عيسى! بكره راح تطلعون وأنا راح اطلع بعدكم مع

الدفعة الثانية!

رفض صادق بشدّة:

- أنـا مـا اطلـع مـن دونك! أنـت اطلع وأنـا اقعـد! أنت اطلـع وأنا بحارس الطلعة الجاية!

قال محمد ليقنعه بالخروج:

- أنا بعد ثلاثة أيام بطلع!

- يا أنت تتقدم.. أو نقعد ويه بعض!

وأخيـراً اقنـع محمـد رفيقيه بالخروج أولاً.. فتقرر نقل صادق وعيسـى إلى سترة غداً.. وقد اضمر محمد عدم إخبار سيد مرتضى بذلك فالمطلوب هو خروج شخصين فقط!

وأطل صباح اليوم التالي وجاء صاحب البيت.. فتح باب الغرفة وقال:

- شباب جاهزين؟!

قال محمد لرفيقيه:

- يلا قوموا

وقال لصاحب البيت:

- جاهزين الشباب!

قال صاحب البيت:

- لا مو شخصين! السيد كلمنا وقال ثلاثة أشخاص!!

وهكذا انطلق الشباب نحو «سترة» في ذلك الصباح.. في الطريق تساءل محمد عمن سيستقبلهم هناك ويتبنّى عملية خروجهم!

خطر في باله اسم «س.ح» رجل المهمات الصعبة!

وصلت السيارة إلى النقطة المحددة لتقف قرب سيارة مظللة!

- يلا شباب نزلوا!

انتقل الشباب إلى تلك السيارة وهناك رأى محمد «س.ح» وكانت بينهما علاقة صداقة! التزم الشباب الصمت وانطلقت السيارة إلى المكان وهناك عندما وصلوا رحب بهم «س.ح» وحمد الله على سلامتهم..

قال محمد:

- تعرف أن قبل وصولي إن أنت مو غيرك الي راح يستلمنا!

رأى «س.ح» أن الشباب لا يملكون الملابس المناسبة.. طلب منهم الاستراحة ريثما يذهب ويعود بـ«الغداء»:

- قعدوا أنا بروح أجيب غدى وبشتري ليكم ثياب!

وغادر «س.ح» ليعود وهو يحمل الغداء والثياب!

في هذا البيت كانت هناك مجموعة من الشباب تقرر أن تخرج معهم.. وفيهم صديق حبيب لـ«محمد طوق» حتى أنهما استبشرا باللقاء!

كانت ليلة جمعة.. قرأ فيها محمد طوق «دعاء كميل» ودعا الله فيها أن يسهل مهمة خروج الشباب من البحرين.. هذه البلاد المقهورة التي يحكمها الغرباء!

وارتفع أذان الفجر حيث أدى الشباب آخر صلاة لهم في هذه الجزيرة الأسيرة! أرض سترة الطيبة..

قلبه يحدثه بأنها هذه الصلاة ستكون هي الصلاة الأخيرة سواء وصلوا إلى إيران بسلام أو استشهدوا في عرض البحر بعيداً عن سواحل البحرين!!

حضر سائق الطراد.. قال لهم:

- جاهزين؟!

قال محمد طوق:

- جاهزين بسم الحسين.. توكل على الله

قام «س.ح» بنقل الشباب ومعهم سائق الطراد إلى الساحل حيث نقطة الصفر!

كانت ظلمة الفجر ما تزال تغمر الساحل والصمت يسود الأجواء..

محمد يصغي إلى صوت ارتطام الأمواج بالطراد الذي انطلق إلى عرض البحر!

الشباب يتجهون بقلوبهم الطاهرة إلى الله سبحانه أن تكون رحلتهم آمنة وأن يصلوا الساحل الإيراني بسلام.. كان صادق تقي جالساً إلى يسار محمد طوق.. التفت محمد إليه:

- عدّينا الأمور الصعبة وهذا من الأصعب!

- شلون؟!

- أنا اشوف أن هذي من أصعب المراحل!! ما ندري ويش قدامنا

واحنا رايحين.. لكن ندعو الله أن تمر الأمور بخير!

كان القارب يشـق عباب البحر ومع بزوغ الشـمس زادت سـرعة الرياح وراحت تثير الأمواج..

كان القارب عبارة عن علبة كبريت تتقاذفها الأمواج في عمق البحر..

الآفاق زرقاء وقد التقت زرقة السماء بزرقة الماء!

والأمـواج ثائـرة متلاطمة.. وفـي هذه اللحظات يدرك الإنسـان أنه لا منقذ إلا الله سبحانه وتعالى..

الطـراد يشـق طريقـه وسـط الأمـواج الثائـرة والميـاه تتسـاقط داخل القارب الذي كان يفقد اتجاهه نحو الشرق من شدّة الأمواج الغاضبة!

وعندمـا تصطـدم الموجـة العاتية بالقـارب وتنخفض مقدمتـه باتجاه البحر.. كان محمد ورفاقه يسـمعون بوضوح صوت المروحة في الهواء.. وتأتي الموجة الأخرى لتصطدم وترش مياه البحر داخل القارب.. الأمواج المتلاطمة في وسط الأجواء الزرقاء.. المشهد كان ثائراً والبحر كان غاضباً والقارب استحال إلى ريشة في مهب العاصفة المزمجرة!!

قال صادق بلهجة فيها قلق وتوجس:

- محمد! تشهّد!
- ليش؟!
- ظاهراً ما بنوصل

طمأنه محمد:

- إن شاء الله بنوصل!

البحر يزداد ثورة والأمواج تزداد جنوناً! وكان الشباب يتمسّك بعضهم ببعض قرب مقدمة القارب.. لذلك لم يتسنّ لهم رؤية الأمواج وهي ترتطم بالطراد!

حانت لمحمد التفاتة إلى جهة اليمين فرأى ما ينخلع له القلب خوفاً ورعباً!! رأى موجة عاتية تتقدم نحو القارب كالجبل الشاهق!!

لقد حانت النهاية وقد اقتربت الساعة وانفلق البحر.. وضع محمد طوق رأسه بيت ركبتيه وراح يدعو الله الخالق العظيم:

- أنت المنجي يا الله! هذا البحر لا يمتلك القوة وأنت الوحيد الذي يستطيع أن ينجينا!!

تساءل صادق بخوف:

- محمد ويش تقول؟

- احتمال نوصل! قول إن شاء الله نوصل!

كانت تلك اللحظات من أصعب اللحظات التي مرّ بها محمد طوق في حياته! حتى عملية الهروب من السجن لم تكن بهذه الخطورة!

في تلك اللحظات المصيرية كانت الذكريات تبرق في خاطره.. ذكريات الأهل والأصدقاء.. ذكريات الطفولة وكان يشعر أنه يتجه نحو النهاية..

مضت خمس ساعات والقارب يصارع الأمواج في رحلة خطيرة ومصيرية!!

فـي تلـك اللحظـات المصيرية عندما يقـف المرء على حافـة النهاية.. عندمـا يشـعر باقتـراب سـاعة الرحيل إلى عالـم ما وراء الطبيعـة.. تتجلى مكنونات النفس!!

محمـد طوق وجد نفسـه يتجـه إلى كريم أهل البيت عليه السلام .. إلى سـبط رسول الله الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام :

- يـا إمامـي! أنـت الملقب بكريم أهـل البيت! وأنا طـول عمري لم أطلـب منـك شـيء! والآن اطلب منـك! فاخرجنا من هـذا الوضع الذي نحن فيه!

راح يكرر هذه الكلمات وهو يخاطب فيها سـبط رسـول الله المجتبى.. كانـت أمـواج البحر مـا انفكت ترش الميـاه المالحة فـوق المهاجرين إلى الشرق! قال صادق:

- محمد! أنت خرجت من البحر من قبل!! مرّ عليك مثل هذا؟!

- اقسـم بـالله لـو كان خروجي من قبـل مثل هذا لما ركبـت الطراد أصلاً وما ادخل البحر من جديد!!

كانت ثقته بالله وكان يتوسل إلى الله بأهل البيت.. فهم الوسيلة إليه.. بين الفينة والأخرى كان محمد يسأل السائق:

- شنو صار طمنّه؟

- لا تحاتون إن شاء الله بنوصل

كان السـائق خبيـراً بالبحـر؛ لذلك كان يقود القارب بثقة.. مضت سـبع ساعات وما يزال البحر ثائراً!!

قال محمد للسائق:

- طمنا! ويش الوضع؟!

نظر السائق إلى محمد نظرات لها معنى:

- ادعوا الله ينجينا!

كان السائق يبذل قصارى جهده لقيادة القارب وسط الأمواج الغاضبة التي لا تهدأ، قال:

- الأمر بيد الله!

سأل محمد:

- وصلنا المنطقة الآمنة؟!

- خلاص طفنا البحرين

القارب يشق طريقه نحو الشرق والأمواج يتراجع عنفها واستعاد البحر هدوءه النسبي..

وأشرقت الابتسامة.. ابتسامة الأمل على وجوه الشباب.. الأمواج كانت قد هدأ غضبها وقد سكنت صفحة المياه الزرقاء وظهرت في الأفق الأزرق طيور النورس البيضاء.. كان منظرها لوحة رائعة من الأمل المشرق والفرح والسلام!!

قال محمد للسائق:

- في نورس هني.. يعني في جزيرة قريبة؟!

وجاء جواب السائق صادماً:

- ما في جزيرة هني! دي الطيور تكون مع البواخر! احنا للحين في عمق البحر!!!

القارب يواصل طريقه وسط المياه الزرقاء إلى أن لاح ما يشبه سلسلة جبال.. قال محمد يسأل صادق:

- تشوف الي اشوف؟!

- اشوف كأنه جبال!

ابتسم محمد بأمل وفرح:

- وصلنا إلى إيران!

القارب يقترب من لوحة الجبال إلى أن لاح سيف البحر!!

استبشر الشباب؛ لقد نجحت عملية الهروب نحو الحرية.. بقي خروج بقية الشباب..

وصل القارب إلى الساحل الإيراني ووضع الشباب أقدامهم على الساحل الرملي وسجدوا كلهم أجمعون شكراً لله رب العالمين الذي سخّر لهم البحر وأنجاهم من الغرق!

كان للشباب أخوة ينتظرون وصولهم على أحرّ من الجمر، وعندما لاح القارب يقترب من الساحل هرعوا إليه مسرعين.. واستقبل الشباب بحرارة وفرح.. كانوا قلقين جداً بسبب ثورة البحر الهائج:

شلون وصلتون؟ شلون طلعتون في هذا الجو؟!!

الحمدلله رب العالمين هو الي وصلنا

كان الجو بارداً جداً وكان الشباب مبتلّين ويرتجفون من شدة البرد..

نُقل الشباب إلى غرفة واحضروا لهم المدافئ والبطانيات وملابس جديدة وخلعوا ثيابهم المبتلة وتركوهم ليرتاحوا من عناء هذه الرحلة المثيرة المحفوفة بالأخطار..

بدت مدينة قم المقدسة مرفأً يرفل بالسلام وحيّا محمد طوق كريمة أهل البيت عليهم السلام السيدة فاطمة المعصومة.. كان في استقبال الشباب السيد مرتضى السندي وبعض رجالات المقاومة..

كان أول سؤال لمحمد طوق في اللقاء:

- رضا! متى بيطلع؟!
- خلال هذي الأيام إن شاء الله.. نسعى في هذي الأيام رضا يخرج.. لكن خلال هذي الفترة.. يجب ألّا يعلم أحد بوصولكم حتى أهاليكم! إلى أن يصل باقي الشباب!

في فجر كل يوم كان محمد طوق يترقب خروج رضا الغسرة القائد الباسل والقلب الشجاع..

الفصل السابع عشر

كان خروج رضا الغسـرة الذي اسـتحال إلى رمز ملهم لشباب المقاومة في هذه الجزيرة المقهور أهلها.. الشغل الشاغل للسيد مرتضى السندي..

سـعى السـيد كثيـراً فـي إقنـاع رضـا بشـتى الطـرق مـن أجـل مغـادرة البحرين.. لكن رضا كان يصرّ على البقاء.. في داخل القلب الشـجاع عزم على مواصلة القتال حتى النهاية..

أخبره السـيد أن هجرته لا تعني هروباً.. إنها مجرد تغيير في أسـاليب الصـراع.. البحريـن اتسـعت رقعتهـا.. لـم تعـد تلـك الجزيـرة الصغيـرة.. البحريـن باتـت قضية كبيرة.. البحريـن في قلوب الأحرار أينما كانوا.. ربما يضطـر المـرء لمغـادرة بلاده لكن عزمه في مواصلـة الصراع يتأجج أكثر.. ألـم يهاجـر رسـول الله ﷺ؟ ألم يغادر مكة؟ فكانت هجرتـه انتصاراً كبيراً وفتحاً عظيماً..

تواصل مع الشهيد القائد قاسم سليماني وبشره بنجاح عملية «سيوف الثـأر» البطوليـة وتحريـر عشـرة أسـرى مـن أسـر النظـام الأمـوي الدمـوي

الحاكم.. أبدى الشهيد سليماني إعجابه وقال:

- يجب أن أقابل هذا الشاب شخصياً.. إن عقلية بهذا المستوى من التخطيط والتدبير والقيادة ينبغي ألّا تبقى مقتصرة على البحرين.. يجب أن تكون على مستوى المنطقة.. إن هؤلاء الشباب هم مستقبل المقاومة في البحرين

السيد مرتضى السندي يحاول المستحيل من أجل إنقاذ القلب الشجاع.. القوات الأمنية في كل مكان ونقاط التفتيش والدوريات المسلحة تمشط المناطق المحتمل وجوده فيها.. وتضاربت التقارير حول مكان تواريه عن الأنظار..

أحيل مدير سجن جو واثنين من كبار المسؤولين في وزارة داخلية النظام إلى التحقيق..

وأدى انتشار نقاط التفتيش إلى إرباك حركة السير في العديد من الشوارع العامة..

السيد مرتضى السندي قلبه على «القلب الشجاع» والقلب الشجاع على حجر السيد السندي.. عين على رياح البحر وأمواجه وعين على زوبعة الحوادث والتطورات في البحرين!

نظام آل خليفة يقهر البحرين ويعاقب بالسجن مدّة خمس سنين عجاف على كل من «يغرّد» معلناً رفضه الحرب والعدوان السعودي ضد اليمن.. فكيف بـ«رضا الغسرة» الشاب البالغ من العمر ٢٩ عاماً الذي مرّغ كبرياء النظام الأموي الدموي بالوحل؟!

بعـد نجـاح العمليـة الأولـى وعبور مجموعـة محمد طوق ميـاه البحر والخـلاص مـن نظـام آل خليفـة.. انبعـث الأمـل فـي التخطيط مـن أجل تأمين هجرة القلب الشجاع ورفاقه إلى الأرض التي تشرق منها الشمس..

تواصل السيد مرتضى مع رضا الذي طلب الخروج مع المجموعة التي قامت بالعملية البطولية.. سأل السيد:

- كم عددهم؟
- خمسة أشخاص وأنا سادسهم
- سوف نهيئ الأمر

كان الربّان الذي تقرر أن يقود قارب الهجرة هو مصطفى يوسف الذي بدا متحمسـاً جداً إلى درجة لم يكن سـيد مرتضى ليثق باسـتطلاعه حول حالـة البحـر.. لذلك كان يكلف أشـخاصاً آخرين لا علاقة لهم بالموضوع.. أحـوال البحـر فـي مطلع شـباط-فبراير لـم تكن تبعـث علـى الطمأنينة.. الريـاح عاتيـة والبحـر مـوّاج.. والبحريـن تعيـش أجـواء أمنيـة مشـحونة بالخطر.. رضا الغسرة في حالة تنقل من مكان إلى آخر..

هدأت الرياح في البحر.. وبدت المياه ساكنة والأجواء هادئة آمنة!

تواصـل أحـد رفـاق سـيد مرتضـى مـع مصطفـى يوسـف وطلـب منـه استطلاع حالة البحر.. تلقى سيد مرتضى نتائج الاستطلاع:

- أنـا ذهبـت إلـى البحـر.. والبحر جيـد وآمن.. مسـألة الأمـواج أنا أسـتطيع أن أقـود القـارب فـي هذه الأمـواج! لماذا هـذا الانتظار والتأخير؟! لنخرج الأخوة ونسرع في الأمر!

حماسه جعل سيد مرتضى لا يطمئن.. طلب من شخص أن يستطلع حالة البحر وتلقى رسالة منه: الحمدلله.. البحر هادئ

استخار سيد مرتضى وكانت الاستخارة جيدة جداً وكان فيها خير كثير.. تواصل المنسّق للرحلة مع مصطفى يوسف وطلب منه الخروج؛ كما تواصل مع رضا وطلب منه الاستعداد للرحلة.. المنسّق لم يخبر رضا بهوية السائق ولا كيفية الخروج! وكذلك لم يتحدث إلى مصطفى عن رضا الغسرة ورفاقه.. تم نقل الشباب إلى شقة في منطقة سترة.. وتأجلت الرحلة ثلاث مرّات بسبب الأحوال الجوية أو بسبب الاستخارة وكان البحّار مصطفى يوسف يختبر الإحداثية المقصودة..

٨ شباط-فبراير ٢٠١٧ - منتصف الليل

تواصل رضا مع سيد مرتضى وأخبره بأنه طلب من الشباب تنظيف الشقة وغسلها ليكسر الروتين.. كما حدثه عن أحوالهم النفسية.. هذا مرتبك وآخر خائف متوجس.. أمضوا أيام الاختفاء ولياليه يترقبون واستحالت الشقة إلى زنزانة انفرادية كانوا يراقبون رضا عندما يدخل للاستحمام ويخرج فإذا رأوه يرتدي السروال يصابوا بالإحباط..

بعدما تم تنظيف الشقة والاستحمام.. أخبرهم رضا بساعة الصفر.. وسيكون فجر التاسع من شباط-فبراير ٢٠١٧ بداية الإبحار.. وذلك يوم الخروج!

أمضى رضا ليلته يتلو آيات القرآن الكريم.. ويدعو الله عز وجل بالنصر.. رضا يتمتم بالآيات ونهمس شفتاه بالمناجاة والصلاة..

جسمه في أرض «أوال» وروحه تحلّق بعيداً في آفاق السماوات.. هناك من يناديه.. من يتبشر بلقائه.. رفاق الدرب الدامي الذين سبقوه في الرحيل..

تواصل رضا مع سيد مرتضى:

- بعد الانتهاء من تنظيف الشقة والاستحمام وأداء صلاة الليل.. اقرأ زيارة الإمام الحسين يوم عاشوراء وبعد أذان الفجر نتحرك

ظل رضا ساهراً بين صلاة ودعاء ومناجاة.. قرأ زيارة عاشوراء وتصوّر نفسه في كربلاء وتجسدّ في خياله مشاهد من الملحمة الخالدة.. وكانت كلمات الحسين تدوّي في وجدانه:

- لا أرى الموت إلا سعادة

- والحياة مع الظالمين إلا برما

كان القيادي في سرايا الأشتر في تواصل مع البحار مصطفى يوسف ومع رضا.. ولأسباب أمنية لم يكن مصطفى يوسف يتواصل مباشرة مع رضا ورفاقه من شباب المقاومة.. وهكذا بالنسبة إلى رضا.. لم يكن هو الآخر على تواصل مع مصطفى يوسف كما أنه لا يعرف كيف ستكون عملية الإبحار..

توجه مصطفى يوسف «أبو غايب» من منطقة الدراز إلى جزيرة سترة بالمركب «الطراد» وجاء شباب المقاومة مستقلين سيارتين.. لهذا أمضى رضا يبحث عن القارب «الطراد» مدة ربع ساعة ثم ترجل من السيارة وأبلغ رفاقه في حال حدوث طارئ بالانسحاب..

كان القيادي حريصاً جداً على مغادرة رضا للبحرين.. ووجد في إقناع رضا صعوبة.. كان رأي رضا الغسرة البقاء في البلد:

- أعمل من داخل البحرين.. بعد مدّة تهدأ الأوضاع وينسى النظام وسأبدأ العمل من جديد!

قال له القيادي وهو يحاوره:

- أنت ليك مشروع.. كيف راح تسيّره وأنت داخل البحرين؟ وأنا أعدك أن ترجع البحرين بعد أن تسيّر هذا المشروع!

- أريد ضمانات

قال له مؤكداً:

- نعدك أن نبذل كل ما بوسعنا من أجل ذلك.. لكن مغادرتك البحرين الآن نصر كبير للمقاومة وضربة موجعة لنظام آل خليفة.. هجرتك ليست هروباً من ساحة الصراع والمواجهة..

هنالك أذعن رضا إلى فكرة مغادرة البحرين والهجرة إلى الأرض التي تشرق منها الشمس..

تم تجهيز رضا بجهاز ثريا لمعرفة الإحداثيات.. وتم الاتفاق بين السماوات والبحر..

بعد البحث.. وجد رضا القارب وبعث برسالة صوتية إلى القيادي أبلغه فيها بـ«نقطة الصفر» وانطلاق قارب المهاجرين إلى الشرق.. كان ذلك في الساعة ٤:٤٥ فجراً.. وصل القارب النقطة الثانية في ٥:١٥ والنقطة الثالثة في ٥:٢٩ والنقطة الرابعة ٥:٣٩..

وبعد مضي ٤٥ دقيقة أجرى رضا اتصالاً من خلال جهاز الثريا بعد أن اجتاز القارب الإحداثية الثانية..

تواصل القيادي في سرايا الأشتر مع السيد مرتضى السندي.. فأخبره أن الشباب اجتازوا الإحداثية الثانية.. في طريقهم إلى المياه الإقليمية..

كان القيادي ينتظر الاتصال الثاني ولكن دون جدوى.. شعر بالقلق.. مرّت ساعة ونصف ومن المفترض أن يكون القارب قد وصل إلى المياه الإقليمية.. حاول الاتصال بـ«رضا» لكن دون جدوى..

النهاية

اتجه القارب يساراً مبتعداً عن الساحل باتجاه جزيرة صغيرة.. الساعة تشير إلى ٦:١١.. وفي تمام الساعة ٦:٢٤ حوصر القارب من قبل قوات خفر السواحل.. لم يتردد رضا في الاختيار.. تصدى رضا للمرتزقة وكانت الشمس تبعثر أشعتها الذهبية خلف غيوم متراكمة في الأفق البعيد بين السماوات والبحر..

كان سيد مرتضى قد تلقى آخر تواصل من بطل عملية سيوف الثأر وذلك بعد صلاة الفجر بدقائق معدودة:

- السلام عليكم.. غفر الله لك سيد

اجتاحته موجة حزن بحراني ودمعت عيناه:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. أنا لله وإنا إليه راجعون

كان البحر هادئاً وقارب الحرية يشق المياه باتجاه الشرق.. ظهرت

طائـرة هيلوكوبتـر تحوم كنسـر فـوق مياه البحـر.. واندفعت قـوارب خفر السـواحل باتجاه قارب الحرية الذي اسـتمر يشـق طريقه.. رشـاش المياه ينثـال علـى جانبيـه ناصعـاً.. لاحـت فـي الأفق الغائـم إرهاصـات معركة وشيكة.. قوات النظام الخليفي تطلق الرصاص بكثافة والقارب يمعن في طريقـه.. الرصـاص ينهمر بغزارة.. قـارب الحرية تتراجع سـرعته.. يتوقف وسط صحراء المياه المالحة.. لقد قال القدر كلمته..

القلب الشـجاع يواجه وحيداً قوات النظام المدجج بالسـلاح.. يهتف عالياً بين السماوات والبحر:

- يا زهراء!

العدو يكثّف النار..

رضا الغسـرة ذلك القلب الشـجاع يوجه سـلاحه الذي كان يوماً دفيناً تحـت ركام التـراب.. السـلاح الـذي أمضـى الليل في شـحذه مـن الصدأ.. السلاح الذي صرع به أحد المرتزقة في منطقة بني جمرة.. السلاح الذي هلك به المجرم هشام الحمادي..

وها هو الآن يخوض به معركته الأخيرة..

القلب الشجاع يشنّ هجومه الأخير..

رصـاص العـدو الجبان ينهمـر بغـزارة.. البطل يهوي صريعـاً.. مضمخاً بدماء الشـهادة.. الشـمس التي بزغت من الشـرق.. ترسل أشعتها الذهبية من بين ركام الغيوم..

وسرب من الطيور المهاجرة.. يحلّق عالياً في الفضاء..

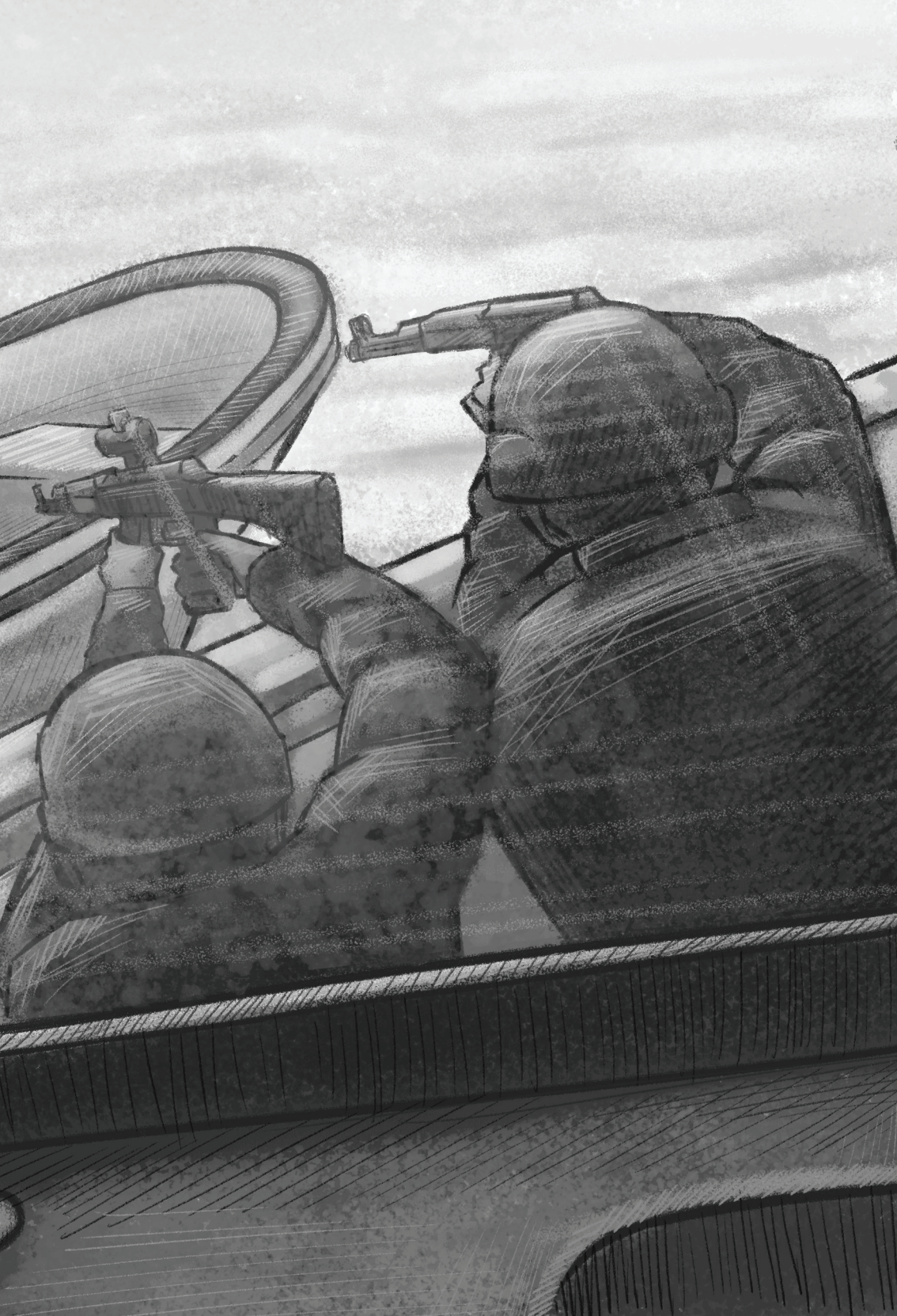

القيادي ينتظر بقلق الاتصال الموعود! وفي الأثناء ظهر خبر في حساب وزارة الداخلية والصحائف البحرينية يتحدث عن إحباط عملية هروب مطلوبين.. تمتم بأسى:

- إنا لله وإنا إليه راجعون

وانتشر الخبر الصاعقة على مواقع التواصل في أنحاء البلاد:

«بعد أربعين يوماً من تنفيذ عملية الهروب الجماعي من سجن جو المركزي، أعلنت السلطات الخليفية اليوم الخميس ٩ فبراير أنها أحبطت فجر اليوم ما وصفتها بعملية تهريب عدد من المطلوبين في قضايا إرهابية والهاربين من سجن جو بتاريخ الأول من يناير الماضي»

وقد أجّلت الوزارة الخليفية موعد عقد مؤتمر صحفي لذكر تفاصيل الحادثة حيث كان يفترض أن يعقد عصر اليوم..

تراجع الجلادون عن عقد المؤتمر الصحفي فماذا يريدون أن يتحدثوا.. عن كربلاء ثانية بين السماوات والبحر؟! دارت معركة فريدة بين القلب الشجاع وقوات مرتزقة من الضباع.. هشمت ثلاث رصاصات رأسه.. واستقرت رابعة في كتفه الأيمن.. قاتل رضا حتى النهاية.. قاتل إلى أن خسر الجميع ليفوز بالشهادة..

هذا ما قاله الشهيد قاسم سليماني من قبل:

- عندما تنتهي المعركة يخسر الجميع ويفوز الشهداء

ألم يطلقها صرخة مدوّية نمر المقاومة:

- أنا نمر باقر أمين النمر!

- أقر أنه لا سمع ولا طاعة لمن يسلب حرّيتي ويسلب أمني!
- أقر أن الدولة ليست أهم من كرامتي.. بل أن حياتي أيضاً ليست أهم من كرامتي..

أجل قاتل رضا قتالاً ضارياً.. إلى أن أرداه رصاص الجبناء صريعاً في مشهد كربلائي فريد بين السماوات والبحر..

الأحد ١٢ شباط-فبراير ٢٠١٧

كان الوقت عصراً في بيت الشهيد.. وقد مضت ساعة على مواراة الجثمان الدامي الثرى.. البيت غارق في الحزن والأسى لوعة المصاب الجلل هدّت الجميع.. لم يسمحوا لأهله بحضور مراسم الدفن.. سمحوا فقط لأخيه غير الشقيق «ياسين» وعمّه.. أشقاء رضا جميعهم في معتقلات آل خليفة..

البيت الصغير يعجّ بالنسوة لا يكاد يجد المرء مكاناً يقف فيه.. مدخل الدار زاخر بالجالسين.. الغرف الصغيرة مكتظة والممر المؤدي إلى الغرف كذلك.. أصداء آهات وحسرات تتجرّعها النسوة..

أم رضا جالسة عيناها تدوران في أنحاء المكان.. لا شيء سوى السواد وثياب الحداد.. كانت تتحسر ملتاعة غارقة في حزنها.. لم يسمحوا لي بوداعه.. لم أحضنه لم أقبل ما بين عينيه.. رفعت رأسها إلى السماء:

- الله على الظالم! الله على الظالم!

قالت امرأة من الأقارب: رجوتهم أن أودعه! قالوا من زمان دفناه وأداروا ظهورهم هازئين..

أم رضا:

- قلت ليهم لما منعوني من الدخول لتوديع ابني: احنا اليوم نبكي وأنتم تضحكون باجر أحنا نضحك وأنتم تبكون

على الجدار صورة رضا وهو يبتسم ابتسامته المحببة.. أم رضا تقول: الشهيد ما يموت..

النسوة يطلقن النعي الذي يحرق القلوب ويثير حزناً قادماً من هناك.. من كربلاء.. من يوم عاشوراء..

النسوة يتناوبن النعي:

- يا مجهز حسين قل لي القبر وين؟!

يصرخن جميعاً بصوت واحد: يا حسين! يا حسين! يا حسين!

- هذا حسين بلا غسلٍ ولا كفن.. عارٍ تجول عليه الخيل ميدانا

تستذكر أخرى مأساة الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقد وضع جثمانه الطاهر مكبلاً بالسلاسل والأغلال فوق الجسر ببغداد..

عاد ياسين من المقبرة.. وجهه شاحب.. يتعالى الصراخ والبكاء.. أخواته يستقبلونه ويحتضون بذراعيه ويغرق الجميع في البكاء والنحيب.. رفع يأسين رأسه؛ رضا كان متعلقاً بالسيدة الزهراء.. اليوم ذكرى وفاتها..

يضيف ياسين:

- في مثل هذا اليوم دُفن والدي قبل سنة.. لم يسمحوا لرضا

بحضور مراسم التشييع والدفن والعزاء..

يتعالى البكاء..

ياسين يغادر المشهد الغارق في حزن كربلائي..

صورة رضا.. وجهه يتألق فرحاً وسعادة.. ابتسامة ملائكية تطوف على ملامحه ومن عينيه يشعّ الرضا.. وقد آن للقادم من هناك أن يعود إلى أرض الوطن.. فيما ثارت أمواج البحر عند الساحل الشرقي.. حيث يجثم سجن «جو» الرهيب..

كمال السيّد

عاشق الشهادة

بإيمان المتوكلين وبصدور مليئة بالثأر مقبلون على عملية «سيوف الثأر» بنداء الصديقة المظلومة يا فاطمة الزهراء ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى رأسهم شيخ الشهداء المجاهد آية الله نمر باقر النمر.
أدى الثوار الذين اغتسلوا غسل الشهادة صلاة الفجر مع ارتفاع النداء الخالد: الله أكبر! الله أكبر!
كانوا عشرة شبان بواسل بقيادة شاب في التاسعة والعشرين من العمر ..